

الكتاب السنوى

اثبتوا فى المسيح

بقلم

أندرو مورى

تعريب

الدكتور رمزى سعد

يناير ١٩٨٦

لجنة خلاص النفوس للنشر

اثبتوا في المسيح

بقلم

أندرو موري

تعريب

الدكتور رمزي سعد

يناير ١٩٨٦

ويطلب من

لجنة خلاص النفوس للنشر

١٢ شارع قطة بشبرا مصر



باسم الآب والابن والروح القدس
إله واحد. آمين

مطبعة الخلاص

مقـــدمة

أثناء حياة يسوع على الأرض ، كانت الكلمة التى استخدمها أكثر من غيرها عند التحدث عن العلاقات التى ربطت التلاميذ بشخصه هى «اتبعنى». وعندما أوشك الرب أن يتركهم ويصعد الى السماء ، أعطاهم كلمة جديدة ، تحمل في ثناياها التعبير عن اتحاد أكثر ألفة وروحانية معه في المجد . وكانت الكلمة التى اختارها هى :« اثبتوا في ».

ويخشي أن هناك كثيرين من أتباع يسوع الغيورين ، قد خفى عليهم لدرجة كبيرة معنى هذه الكلمة ، مع ما تعد به من الاختبارات المباركة .

وبينما يثق هؤلاء في مخلصهم أنه قد غفر خطاياهم فيلجأون اليه لمساعدتهم ، ويسعون من جهتهم ليكونوا طائعين له الى حد ما ، لكنهم بالجهد يدركون أن دعوة الرب لهم في القول « اثبتوا في »، انما هى دعوة الى اتحاد أوثق ، والى شركة أعمق ، والى وحدانية من نوع عجيب فى الحياة والاهتمامات . ومثل هذا الجهل من جانب أولئك لا يمثل فقط خسارة لا تعوض بالنسبة لهم ، لكن تلك الخسارة تسبب المعاناة لكل من الكنيسة والعالم .

ولو أننا أردنا أن نعرف السبب فى عجز أولئك الذين قبلوا المخلص حقا ، وصاروا شركاء الروح القدس ، عن التمتع بالخلاص الكامل المعد لهم ، فاننى لعلى يقين بأن الأمر سيكون مرجعه في حالات عديدة كثيرة الى الجهل الذى هو السبب في عدم الايمان ، والذى بدوره يجعل صاحبه عاجزا عن التمتع بالميراث . ولو أننا كرزنا ، فى كنائسنا ذات المعتقد الصحيح ، بالثبات في المسيح ، والاتحاد الحى معه ، واختبار حضوره وحفظه لأولاده اليوم كله ، بل كل ساعة من ساعات اليوم ، وكانت كرازتنا بنفس الوضوح والالحاح كما نفعل في أمر كفارته وصفحه بواسطة الدم الكريم ، فاننى أثق أن الكثيرين سيقبلون بفرح الدعوة لمثل هذه الحياة ، مما سيظهر تأثيره في اختبار النقاوة والقوة ، والمحبة والفرح ، وحياة الثمر ، وكل أنواع البركة التى ربط المخلص بينها وبين الثبات فيه .

لقد طبعت هذه التأملات بهدف مساعدة أولئك الذين حتى الآن لم يعوا تماما المعنى الذى قصده المخلص من وصيته ، وأيضا أولئك الذين تعتريهم المخاوف بأن مثل هذه الحياة ليست في متناول أيديهم . ان

الطفل يتعلم دروسه عن طريق تكرار هذه الدروس من حين لآخر . ونحن اذ نركز الذهن بصفة مستمرة ، ولوقت محدد ، على واحد من دروس الايمان ، فاننا نضمن بهذه الطريقة وحدها ، أن تساعدنا تدريجيا على استيعاب هذه الدروس ومن ثم تحويلها الى سلوك وحياة . واننى آمل أنه بالنسبة للبعض ، وخاصة المؤمنين الأحداث سيكون امرا نافعا أن نأتى كل يوم ولمدة شهر لنتهجى معا معنى الكلمات الثمينة ،« اثبتوا في »، وما يرتبط بها من دروس مستفادة من مثل الكرمة ، الوارد في (يو١٥). ورويدا رويدا سوف نأتى لرؤية كيف أن هذه قد قصد بها الرب فائدتنا حقيقة ، الوصية بوعد ، وأن الله قد أعطى بالتأكيد نعمة كافية لتعيننا حتى نطيع ، وسنرى كيف أنه لا غنى للحياة المسيحية القويمة عن اختبار بركة هذه الوصية عندما نطيعها ، وكيف أن البركات التى تتدفق منها هى بركات تفوق الوصف . واذ نصغى ، ونتأمل ، ونصلى — واذ نخضع ذواتنا، ونقبل بالايمان يسوع ككل كما يقدم هو ذاته لنا في هذه الكلمات — عندئذ سوف يحول الروح القدس الكلمة فينا لتصبح روحا وحياة ، وسوف تصير كلمة يسوع هذه ، بالنسبة لنا قوة الله للخلاص ، ومن خلالها سوف يأتى الايمان الذى يمسك بالبركة التى طال انتظارنا وشوقنا اليها .

اننى أصلى بكل غيرة بأن يرتضي ربنا ويبارك هذا الكتاب ، ليساعد أولئك الذين يطلبون أن يعرفوه معرفة كاملة ، كما بارك فعلا هذا الكتاب في طبعته الأصلية بلغة مختلفة (يقصد المؤلف الطبعة الهولندية التى طبع بها الكتاب لأول مرة). ولا تزال صلاتى بأكثر لجاجة الى الله أن يتنازل ، بالوسيلة التى يراها ، ليكشف عن عيون الجموع من أولاده الأعزاء من لا يزالون يحيون حياة منقسمة ، ليروا كيف أن الرب المبارك يريدهم بالكامل لذاته ، وأن التسليم القلبى الكامل للثبات فيه وحده يجلب لنا ذلك الفرح الذى لا ينطق به ومجيد . آه ، يا ليت كل من بدأ يختبر ويتذوق حلاوة هذه الحياة يخضع نفسه بالتمام ليصبح شاهدا لنعمة ربنا وقوته ليحفظنا متحدين مع شخصه ، فنسعى بالكلام وبالسلوك معا لنربح الآخرين ليتبعوه تماما . ان ثباتنا فيه يمكن أن يستمر مصانا ومدعما في حياة مثمرة من هذا القبيل فحسب .

وفي الختام أرجو ان يسمح لى القارىء ان أوجه اليه كلمة نصح ، وهى هذه : اننا نحتاج الى وقت لكى ننمو في يسوع الكرمة . اياك ان تتوقع الثبات فيه ما لم تعطه اولا ذلك الوقت . لا يكفى أن نقرأ كلمة الله ، أو التأملات التى قدمناها في هذا الكتاب ، ثم عندما يتصور لنا أننا قد فهمنا ما جاء بكلمة الله ، وأننا وقد سألنا من الله أن يباركنا ، نذهب وقد توطد

رجاؤنا بأن البركة قد استقرت وثبتت . كلا ، ان الأمر يحتاج الى وقت نقضيه يوما فيوما مع يسوع ومع الآب . كلنا يعلم حاجتنا الى الوقت بالنسبة لما نتناوله من الطعام يوميا ، وليس مفيدا لنا على الاطلاق أن نلتهم كمية كبيرة من الطعام ونحن في عجلة من امرنا . واذا كنا نريد أن نحيا في يسوع ، علينا أن نتغذى عليه (يو ٦:٥٧) فيكون هو طعامنا وشرابنا اليومى . يجب علينا أن نأكل على مهل ونهضم هذا الطعام السماوى الذى أعطانا اياه الآب في حياته التى قدمها لأجلنا . لذلك ، أيها العزيز ، اصرف وقتا كل يوم ، قبل أن تقرأ كلمة الله ، وفي أثناء القراءة ، وبعد أن تقرأ ، لتضع نفسك في اتصال حى مع يسوع الحى ، لتسلم نفسك بوضوح وبوعى كامل لتأثيره المبارك . وبهذه الكيفية سوف تعطى الرب الفرصة ليمسك بك ، ويجذبك اليه ، ويحفظك سالما في قوة حياته القادرة .

وانني اقدم الآن ، لكل أولاد الله الذين أعطاني الله امتياز ارشادهم الى الكرمة السماوى ، محبتى الأخوية وسلامى ، متضرعا في صلواتى الى الله لأجل كل واحد لكى يتمتع بذلك الاختبار الغنى والكامل للبركة التى ينشئها الثبات في المسيح . وليت كل واحد من أولاد الله ينال نصيبه اليومى في نعمة ربنا يسوع ، ومحبة الله ، وشركة الروح القدس . آمين .

أندرو موري

(يوحنا ١٥ : ١ – ١٢)

١ – أنا الكرمة الحقيقية وأبى الكرام .

٢ – كل غصن في لا يأتى بثمر ينزعه ، وكل ما يأتى بثمر ينقيه ليأتى بثمر أكثر .

٣ – أنتم الآن أنقياء لسبب الكلام الذى كلمتكم به .

٤ – اثبتوا في وأنا فيكم . كما أن الغصن لا يقدر أن يأتى بثمر من ذاته ان لم يثبت في الكرمة كذلك أنتم ايضا ان لم تثبتوا في .

٥ – أنا الكرمة وأنتم الأغصان . الذى يثبت في وأنا فيه هذا يأتى بثمر كثير . لأنكم بدونى لا تقدرون أن تفعلوا شيئا .

٦ – ان كان أحد لا يثبت في يطرح خارجا كالغصن فيجف ويجمعونه ويطرحونه في النار فيحترق .

٧ – ان ثبتم في وثبت كلامى فيكم تطلبون ما تريدون فيكون لكم .

٨ – بهذا يتمجد أبى أن تأتوا بثمر فتكونون تلاميذى .

٩ – كما أحبنى الآب كذلك أحببتكم أنا . اثبتوا في محبتى .

١٠ – ان حفظتم وصاياى تثبتون في محبتى كما انى أنا قد حفظت وصايا أبى وأثبت في محبته .

١١ – كلمتكم بهذا لكى يثبت فرحى فيكم ويكمل فرحكم .

١٢ – هذه هى وصيتى أن تحبوا بعضكم بعضا كما أحببتكم .

اليوم الأول

اثبتوا فى المسيح

يا كل الذين قد أتوا إليه

« تعالوا الى » (مت ١١:٢٨).

« اثبتوا فى » (يو ١٥ : ٤).

ان هذه الدعوة الجديدة « اثبتوا في » موجهة اليك انت يا من سمعت واصغيت الى ندائه القائل « تعالوا الى ». فالرسالة تأتيك من المخلص المحب ذاته . لا ريب انك لم تندم ابدا انك لبيت نداءه هذا . وقد اختبرت ان كلامه هو حق ، وانه قد حقق كل ما وعد به ، وانه قد جعل منك شريكا في بركات وفرج محبته . الم يكن ترحيبه بك من القلب ؟ والم يكن صفحه كاملا ومجانا ، وحبه احلى ما يكون وثمينا ؟ انك ، عندما اتيت اليه في الأول ، كنت صادقا عندما شهدت اكثر من مرة قائلا : « هوذا النصف لم اخبر به ».

ومع ذلك ها انت الآن مضطر ان تشكو خيبة املك ، فان انتظاراتك وتوقعاتك لم تتحقق بمرور الوقت . والبركات التى تمتعت بها مرة قد ضاعت منك ، والمحبة والفرح اللذين غمرا لقاءك الأول مع مخلصك ، بدلا من ان يزدادا عمقا وقوة ، قد اخذا في التضاؤل والوهن . وغالبا ما اخذتك الدهشة لماذا يحدث هذا ؟ وماذا يمكن ان يكون السبب في ان اختبار الخلاص الذى تمتعت به مع مخلص كهذا ، له هذه القدرة وهذه المحبة، لم يصل ، كما ينبغى له ، الى حد الكمال .

ان الاجابة سهلة جدا . انك قد ابتعدت عنه ! فالبركات التى يمنحها ترتبط كلها بدعوته « تعالوا الى »، اما التمتع بها فيكون حيث تصبح الشركة وطيدة مع شخصه المبارك فحسب . وانت يا صديقى اما انك لم تفهم تماما ، او لم تتذكر حقيقة ان النداء الذى وجهه قصد به : « تعالوا الى لتبقوا معى ». ومع ذلك فان هذا كان بالفعل والحق غرضه وقصده عندما دعاك اولا لشخصه . لم يكن القصد اذا ان ينعشك بضع سويعات قليلة بعد تجديدك بفرح محبته وخلاصه ، ثم يتركك بعد ذلك لتتجول في الخطية وفي الأحزان . حاشا !. لقد قصد لك الله شيئا

أفضل من مجرد بركة قصيرة الأمد ، تستمتع بها فقط في أوقات اهتمامات خاصة أو فى فرص صلاة ، ثم بعد ذلك تنتهى وتضمحل عندما تضطر للعودة الى تلك الواجبات التى تأخذ منك الوقت الأكبر من الحياة . كلا، في الواقع . لقد أعد لك اقامة ثابتة معه ، حيث يمكنك أن تقضى حياتك بأكملها بل وكل لحظة من لحظاتها ، وحيث تستطيع تأدية عملك اليومى المعتاد، وحيث يمكنك أن تستمتع كل الوقت بشركة لا تنفصم مع شخصه. لقد كان هذا عين ما قصده عندما أضاف لذلك النداء الأول «تعالوا الى»، دعوته «اثبتوا في». وكما كانت عواطفه ، التى بثها في تلك الكلمة المباركة «تعالوا»، ممتلئة بالغيرة والاخلاص ، وبالمحبة وبالحنان ، كذلك أيضا كانت نعمته التى أضافت قولا له لا يقل بركة هو :«اثبتوا». وكما كانت لتلك الكلمة الأولى جاذبيتها المقتدرة التى استطاعت أن تجذبك وتأتى بك اليه ، كذلك أيضا نطق بهذه الدعوة «اثبتوا» ولها من الربط القوية ما يستطيع أن يحفظك ، لو أنك فقط انتبهت اليها . وكما كوفيء مجيئك الأول اليه ببركات عظيمة بهذا المقدار ، كذلك فان الثبات فيه يقودنا الى كنوز من البركات عظيمة جدا ، نعم ، وأعظم بكثير ، لو اننا اطعنا وصيته.

ولاحظوا بنوع خاص ، أنه لم يقل « تعالوا الى واثبتوا معى »ـ بل انه قال « اثبتوا في ». وهذا يعنى أن الصلة به لن تنفصم قط ، ذلك لأنها علاقة وحدة أكثر ألفة وكاملة . لقد فتح ذراعيه ليضمك الى أحضانه ، وفتح قلبه لك مرحبا بك هناك ، لقد كشف لك كل ملئه الالهى من الحياة والحب ، وأبدى استعداده ان يأخذك الى الشركة معه ، ليجعلك واحدا مع شخصه المبارك . ان هناك عمقا لا يسبر غوره لمعنى تلك الكلمات التى نطق بها فمه الكريم في قوله « اثبتوا في ».

ولو أنك لاحظت فقط هذا الأمر ، ان دعوته « اثبتوا في » قد قدمها اليك في حماس لا يقل عن ذلك الحماس الذى نادى به قائلا « تعالوا الى ». وهو في طلبه اليك أن تثبت فيه انما يحثك بكل أنواع المشجعات التى اثرت فيك عندما اتت بك اليه في البداية . هل كان الخوف من الخطية ولعنتها هو أول ما جذبك اليه ؟ ان صفحه عنك وغفرانه لخطاياك الذى تمتعت به عندما أتيت اليه في البداية ، مع كل ما اقترن به من بركات نبعت منه ، سوف يتثبت وتستمتع به استمتاعا كاملا فقط عندما تثبت فيه . أم هل كان مجيئك اليه تلبية لشوق عارم أن تعرف ومن ثم تستمتع بذلك الحب اللانهائى الذى يدعوك ؟ ان مجيئك الأول اليه لم يعطك سوى قطرات قليلة لتتذوقها ـ اما الثبات فيه فهو فقط الذى يمكنه بحق أن يروى النفس العطشى ، ويهبها ان تشرب من أنهار البهجة والحبور التى تفيض منه . أم

ترى كان قدومك اليه في البداية يتمثل في الشوق المضنى لأن تتحرر من قيود الخطية ، وأن تصبح نقيا وطاهرا ، وهكذا تجد راحة لنفسك ، راحة الله التى يهبها للنفس المشتاقة ؟ ان هذا أيضا يمكن تحقيقه وبصفة دائمة عندما نثبت فيه — انه فقط عندما نثبت في يسوع ، هذا يعطينا راحة فيه . أم هل كان رجاء الميراث في المجد ، والسكنى في بيت أبدى في حضرة الاله السرمدى هو الدافع لمجيئك اليه عند دعوته لك : تعال ؟ ان الاعداد الصحيح لهذا الأمر ، والتذوق مقدما من البركة التى يتضمنها هنا في هذه الحياة ، الأمرين كليهما معا ، يهبهما الله لأولئك الذين يثبتون في المسيح.

وفي حقيقة الأمـر ، ليس من حافز أيا كان نوعه قـد حفزك أولا الى القدوم اليه ، الا ويستحثك الآن أكثر وبقوة أعظم ألف مـرة أن :« اثبت فيه ». لقد فعلت حسنا عندما قبلت دعوته وأتيت اليه ، وانك تفعل احسن عندما تثبت فيه . من هو يا ترى ذلك الانسان الذى بعد أن كان قصر الملك هو غايته ومطلبه ، يرضي الآن بأن يقف خارجا بالباب ، في حين أنه قـد دعى ليسكن في حضرة الملك ، ويتقاسم معه كل المجـد الذى يخص حياته الملكية ؟ آه ، يا ليتنا ندخل الى داخل ونثبت ، ونتمتع الى التمام بكل الغنى الوفير الذى هيأه لنا حبه العجيب !.

ومع ذلك فانني أخشى أنه يوجـد الكثيرون الذين قد أتوا فعـلا الى يسوع ، والذين رغم هذا يتوجب عليهم أن يعترفوا نائحين بأنهم لا يعرفون الا النذر اليسير عن هذا الثبات المبارك في شخصه . وبالنسبة للبعض فقد يكون السبب أنهم لم يكونوا يفهمون تماما أن هذا هو عين ما قصده المخلص من وراء دعوته لهم . وبالنسبة للبعض الآخر فانهم يتعللون بالقول بأنه رغم سماعهم لتلك الكلمة المحبوبة « اثبتوا في »، فانهم لم يكونوا يعرفون أن حياة الشركة المستقرة هذه هى في حيز الامكان ، وأنها حقيقة في متناول أيديهم . وآخرون سوف يقولون انهم بالرغم من ايمانهم بأن مثل هذه الحياة ممكنة، وانهم جادون في طلبها ، بيد أنهم لم ينجحوا أبدا حتى الآن في اكتشاف السر الذين يكمن في الوصول اليها . وآخرون أيضا ، ويا للأسف ! سوف يقررون انه بسبب عدم أمانتهم شخصيا فقد حرموا أنفسهم بأنفسهم من التمتـع بالبركة . فبينما المخلص يود أن يحفظهم فيه لم تكن تتوفر لديهم الرغبة في البقاء ، ولم يكونوا على استعداد أن يسلموا له الكل ، على الدوام ، وبقلب كامل حتى يمكنهم أن يثبتوا في يسوع .

الى أمثال هؤلاء جميعا أتقدم الآن في اسم يسوع ، فاديهـم وفادى ، وأقدم لهم الرسالة المباركة « اثبتوا في ». واننى أدعوهم في اسمه ليـأتوا ، وأن يتأملوا معى يوميا،ولوقت محدد ، معنى هذه الكلمة المباركة،والدروس المستفادة منها، وما تطلبه منا وتتطلبه فينا، وكذلك المواعيد التى تتضمنها.

وانا أعرف الأسئلة التى سوف تطرح نفسها متعلقة بهذا الموضوع ، وهذه الأسئلة كم هى عديدة ، بل كم هى صعبة خاصة بالنسبة للمؤمنين الأحداث. وهناك بنوع خاص السؤال ، المتعدد النواحى ، والذى يدور حول امكانية الاحتفاظ بهذه الشركة الثابتة ، أو بالأصح كيف نحفظ فيها ، وسط ظروف العمل المرهقة وعوامل تشتيت الذهن المستمرة . وانا لا اتعهد بأن أزيل كل العقبات ، فهذا ما سوف يفعله حتما يسوع المسيح نفسه بواسطة روحه القدوس . لكن رغبة قلبى وسرورى أن يسمح لى الهى بنعمته ، ان أكرر يوما فيوما وصية السيد المباركة « اثبتوا في »، حتى تدخل القلب وتجد لها مكانا هناك ، فلا تعود تنسي أو تدرج مدرج الاهمال .

ان رغبة قلبى هى أننا في نور كلمة الله المقدسة ينبغى علينا أن نتأمل في معناها ، الى أن ينفتح الذهن ، ذلك الباب الذى يوصل الى القلب ، حتى ندرك ونفهم شيئا مما تقدمه لنا وما تنتظره منا . لذا فاننا سوف نكتشف وسائل الحصول على بركة الثبات في المسيح ، ونتعلم أن نعرف ما هو الذى يحجزنا عن هذه البركة ، وما الذى يمكن أن يساعدنا لكى نصل اليها . وهكذا سوف نشعر بما تفرضه علينا من واجبات ، وسوف نكون ملزمين بالاعتراف بأنه لن يكون هناك امكانية الولاء الحقيقى لملكنا وسيدنا ما لم نقبل ببساطة ومن كل قلوبنا ، هذه الوصية أيضا ، من ضمن وصاياه . لذا فسوف نثبت أنظارنا على ما فيها من بركة ونعمة ، حتى يحتدم الشوق في قلوبنا ، وتنهض فينا الارادة بكل ما فيها من طاقات لنطالب بهذه البركة التى تفوق الوصف بل ونمتلكها أيضا .

تعالوا يا اخوتى ، ودعونا يوما فيوما نأتى بنفوسنا عند قدميه ، ونتأمل في كلمته هذه التى فاه بها ، وعيوننا مثبتة على شخصه وحده . دعونا نضع نفوسنا امامه في ثقة تامة ، منتظرين لنسمع صوته المقدس — ذلك الصوت الهادىء المنخفض الذى هو أقوى في تأثيره من العاصفة التى تحطم الصخور — وهو ينفخ روحه المحيى فينا ، اذ يتكلم الينا قائلا « اثبتوا في ». ان النفس التى تستمع حقا الى يسوع نفسه يتكلم اليها ، هى التى تنال مع كلمته القوة لقبول البركة التى يقدمها ، وتمسك بها .

ولعله يكون مرضيا لديك ، يا مخلصنا المبارك ، أن تتكلم الى قلوبنا حقيقة . دع كل واحد منا يستمع الى صوتك المبارك . وليت احساسنا بحاجتنا الملحة العميقة ، وايماننا بحبك العجيب ، مقترنين برؤيتنا لتلك الحياة العجيبة والبركة التى انت على استعداد لتمنحها ايانا ، ليت كل هذا يحصرنا لنصغى ونطيع ، على قدر عدد المرات التى تتكلم الينا فيها قائلا : « اثبتوا في ». ولتكن الاجابة التى تخرج من قلوبنا يوما فيوما وتتزايد وضوحا وكمالا هى :« ايها المخلص المبارك . اننى أثبت فيك ».

اليوم الثانى

اثبتوا فى المسيح
تجدوا راحة لنفوسكم

« تعالوا الى ... وأنا أريحكم . احملوا نيرى عليكم

وتعلموا منى ... فتجدوا راحة لنفوسكم »

(مت ١١ : ٢٨و٢٩).

« راحة لنفوسكم » . لقد كان هذا الوعد هو أول ما نطق به فم المخلص ساعيا وراء الخاطىء المثقل بحمل خطاياه لكى يربحه الى شخصه الكريم . ورغم أن الوعد يبدو بسيطا حسب الظاهر ، الا أنه في الحقيقة وعد عظيم له من العظمة والشمولية أبعاد تمتد حسبما يمكن للانسان أن يتصور . « راحة لنفوسكم » ـ ألا يتضمن هذا الوعد التحرر من كل خوف ، وملء كل احتياج ، واشباع كل رغبة ؟ والآن فليس أقل من هذا تكون المكافأة التى وعد بها المخلص الكريم كل من ضل وابتعد عنه وهو ينوح ويندب حظه بأن الراحة التى حصل عليها أولا لم تدم له ولم تكمل كما كان ينتظر ويرجو، وذلك بشرط أن يرجع ذلك الانسان المسكين الى المخلص المبارك من جديد ويثبت فيه . فليس من سبب يحرم الانسان من الراحة أصلا سوى عدم الثبات في شخصه . وحتى وأن وجدت هذه الراحة في بادىء الأمر ، فان عدم الثبات في المسيح يتسبب في قلقلتها أو ضياعها . ذلك هو السبب ، أيها الانسان المسكين ، فأنت لم تثبت في المسيح وبالتالى لم يثبت المسيح فيك .

هلا لاحظت أبدا الدعوة الأصلية التى قدمها المخلص كيف كرر فيها وعده بالراحة مرتين ، بكيفية تختلف مع الظروف التى قدمها فيها ، وبما يوحى بأن الراحة الدائمة لا يمكن أن توجد الا في القرب الدائم منه فقط ؟ فأولا المخلص يقول :« تعالوا الى وأنا أريحكم »، ففى ذات اللحظة التى تلبى فيها النداء ، وتؤمن ، سوف تنال الراحة ـ تلك هى راحة الغفران والقبول ـ « راحة في محبتى ». لكننا نعلم أن كل ما يهبه الله ويغدقه من عطايا يحتاج الى وقت حتى يصبح ملكا لنا ، اذ يجب علينا أن نمسك به تماما ، ونخصصه لنفوسنا ،ونستوعبه في أعمق أعماق كياننا ، وبدون هذا لن يمكن للمسيح نفسه مع كل ما يقدمه أن يجعل هذه العطايا ملكا لنا ، نحوزها ونستمتع

بها . لذلك فان المخلص يكرر الوعد ، وفي كلمات تتكلم بغاية الوضوح ليس عن الراحة المبدئية التى يعطيها للشخص المثقل بخطاياه عندما يقبل اليه ، لكن المخلص يتكلم بالأحرى عن راحة أعمق يخصصها لنفسه الشخص الذى غفرت خطاياه وذلك عندما يثبت في شخص المسيح . فهو الآن لا يقول « تعالوا الى » وحسب ، لكنه يردف بالقول :« احملوا نيرى عليكم وتعلموا منى ». أى كونوا لى تلاميذ ، أخضعوا ذواتكم لتعليمى وتدريبى ، أخضعوا في كل شيء لمشيئتى ولتكن حياتكم بأكملها واحدة معى ــ وبعبارة أخرى يقول :« اثبتوا في ». ثم يضيف الى ذلك ليس قوله « فسأعطيكم راحة »، بل يقول « فتجدوا راحة » لنفوسكم . فالراحة التى وهبها لك عندما اتيت اليه في البداية سوف تصبح بعد ذلك نوعا من الراحة تجده أنت لنفسك وتجعله ملكا خاصا لك أنت . هذه هى الراحة الأعمق أثرا والأكثر ثباتا واستمرارا والتى تتولد من الشركة العميقة الأكثر ألفة وقربا ومن المعرفة الأطول امدا . هذه الراحة تكون نتيجة التسليم الكامل والمشاركة الوجدانية والانسجام العميق . « احملوا نيرى عليكم وتعلموا منى »،« اثبتوا في ». ذلك هو الطريق الى الراحة الدائمة .

الا تكشف كلمات المخلص هذه ما قد تكون أنت قد حاولته عبثا لتعرف كيف أن الراحة التى تمتعت بها وقتا ما قد أصبحت غالبا فى حكم المفقودة؟ لابد أن يكون الأمر هكذا : انك لم تفهم كيف أن التسليم الكامل ليسوع هو سر الراحة الكاملة . فتسليم الحياة بأكملها له ، وله وحده ليحكمها وينظمها ، وحمل نيره ، مع الخضوع لقيادته وتعليمه ، لنتعلم منه ، بل لنتعلمه هو ، مع الثبات فيه ، حتى تتشكل حياتنا حسب ارادته ونفعل مشيئته ــ هذه هى شروط التلمذة للمسيح والتى بدونها لن يكون ممكنا لنا أن نحتفظ بالراحة التى وهبها لنا أولا عندما أتينا اليه . ان الراحة هى في شخص المسيح ، فهى ليست شيئا يعطيه منفصلا عن شخصه ، ولذلك فانه بامكاننا أن نحتفظ بهذه الراحة حقيقة ونستمتع بها عندما نمتلك شخصه فحسب .

ولأن كثيرين من المؤمنين الأحداث لا يمسكون بهذه الحقيقة فان الراحة سرعان ما تهرب منهم وتتبدد . وبالنسبة للبعض فانه للحق نقول انهم لم يكونوا يعلمون ، فلم يعلمهم احد ابدا كيف ان يسوع يطالب بالولاء الذى لا يتجزأ وهو يريد القلب كله والحياة بأكملها ، كيف أنه لا توجد نقطة واحدة في الحياة بأكملها الا وهو يريد أن يملك عليها ، وكيف أنه في أصغر الأمور شأنا كما في أكبرها يجب على تلاميذه وتابعيه أن يسعوا فقط لارضائه . « نحترص أن نكون مرضيين عنده » (٢كو ٥: ٩). هؤلاء لم يكونوا يعرفون

أن يسوع يطالب بالتكريس الكامل . وبالنسبة للبعض الآخر ، أولئك الذين لديهم فكرة ما عن ضرورة أن يحيا المسيحى حياة القداسة ، فقد وقعوا في خطأ من نوع آخر : فهم لم يقدروا أن يصدقوا أنه بامكانهم الحصول على مثل هذه الحياة . فمسألة أخذ نير المسيح ، وحمله ، وعدم تركه جانبا ولا لحظة واحدة ، بدا لهم أنه أمر يحتاج الى جهد مضن هكذا ، والى قدر من الصلاح ليس في متناول أيديهم على الاطلاق . ان فكرة الثبات في المسيح ، على الدوام ، وكل اليوم ، تعلو جدا عن افهامهم ـ وهم يتصورون أنه بامكانهم أن يصلوا اليها يوما ما بعد حياة طويلة من ممارسة القداسة والنمو ، فيظنون أن هذا مستحيل على مؤمن مبتدىء ضعيف . انهم لم يعرفوا كيف أن يسوع ، عندما قال : « نيرى هين » انما كان يقول الحق ، فمجرد حمل نير المسيح يعطى الراحة ، ذلك لأنه في اللحظة التى تخضع النفس ذاتها لتطيع ، اذا بالرب نفسه يعطى القوة والفرح لاتمام العمل . ان أولئك لم يلاحظوا كيف أنه عندما قال « تعلموا منى » قد أضاف قائلا « لأنى وديع ومتواضع القلب » ، وذلك حتى يؤكد لهم أن لطفه يمكنه أن يواجه أى احتياج ، فيحملهم كما تحمل الأم ابنها الواهن . آه ، انهم لم يعلموا أنه عندما قال « اثبتوا في » انما طلب فقط الخضوع لشخصه ، حيث يستطيع أن يحفظهم ثابتين في محبته القادرة ، ويصونهم ويباركهم . وهكذا ، فبينما زاغ البعض عن مطلب التكريس الكامل ، فان هؤلاء أصابهم الفشل لأنهم لم يظهروا الثقة الكاملة . وهذان الأمران ، التكريس والايمان أو الثقة ، هما عماد الحياة المسيحية ـ تسليم الكل ليسوع ، وقبول الكل من يسوع . وكل واحد من هذين الأمرين متضمن في الآخر ، وكلاهما متحد في ذات الكلمة ـ التسليم . فالتسليم الكامل هو أن تطيع وأن تثق ، والثقة تحملك على الطاعة .

وعندما يتوفر سوء الفهم لدى المؤمن منذ البداية ، فليس عجيبا أن تكون حياة تلميذ المسيح خالية من الفرح والقوة اللذين كانا مناط الأمل والرجاء . في بعض الأمور تجد نفسك منقادا الى الخطية دون أن تعرف ، ذلك لأنك لم تتعلم كيف أن يسوع يريد أن يحكمك ، وأنه من غير الممكن بالنسبة لك أن تبقى على صواب ولا حتى لحظة واحدة ما لم تحتفظ به . وفي أمور أخرى كنت تعلم ماهية الخطية ، لكن لم تكن لديك القوة لكى تنتصر ، لأنك لم تكن تعرف أو تؤمن كيف أن يسوع يمكنه أن يتعهدك بالتمام حافظا اياك معينا لك . وفي أى من الحالتين ، لم يمض وقت طويل حتى ضاع منك ذلك الفرح المشرق الذى ارتبط بمحبتك الأولى ، وبدلا من أن يكون سبيلك هو سبيل الأبرار ، كنور مشرق يتزايد وينير الى النهار الكامل ، اذا به يصبح كتيهان اسرائيل في البرية ـ حيث كانوا دائما على الطريق ، ولم يكونوا أبدا بعيدين عن الهدف ، ومع ذلك فقد كانوا دائما عاجزين عن

أن يجدوا الراحة الموعودة . أيتها النفس المعيية ، لقد تخبطت سنين هذا عددها هنا وهناك كالقلب الخافق الواهن . آه ! تعالى وتعلمى اليوم هـذا الدرس بأن هناك مكانا حيث الأمان والانتصار ، والسلام والراحـة ، وأن هذا المكان مفتوح أمامك على الدوام ـ انه قلب يسوع .

ولكننى ، ويا للأسف ! أسمع بعضهم يقول ان هذا الثبات في المسيح، وحمل نيره على الدوام ، والتعلم منه ، هو شيء في غاية الصعوبة ، وأن ذات المجهود الذى أبذله لكى أحقق هذه الأمور هو غالبا الذى يقلقل الراحة أكثر مما تفعل الخطية أو العالم . ويا له من خطأ أننا نتكلم هكذا ، ومع ذلك فكم سمعنا هذه الكلمات تتردد مرارا كثيرة ! وهل يتعب المسافر أن يرتاح فى البيت أو في الفراش حيث ينشد الراحة من تعبه ؟ أم هل هو جهد شاق ان الطفل الصغير يرتاح بين ذراعى أمه ؟ أو ليس المنزل هو المكان الذى يأوى المسافر تحت سقفه ؟ أو ليست ذراعا الأم تصونان وتحفظان الصغير ؟ وهكذا الأمر مع يسوع . ليس على النفس الا أن تخضع ذاتها له ، أو تسكن ذاتها وترتاح في الأمان الذى أخذت محبته على عاتقها توفيره ، ولتعلم النفس ان أمانته سوف تتكفل بحفظها سالمة في حمى احضانه .

آه ! فلأن البركة عظيمة بهذا المقدار لذلك لا تستطيع قلوبنا الضيقة أن ترتفع الى مستوى البركة ، كأننا لا نستطيع أن نؤمن بأن المسيح ، ذلك الشخص القادر على كـل شيء ، سوف يحفظنا ويعلمنا بخصوص كل مـا نفعله اليوم كله . ومع ذلك فهـذا هو عين ما قد وعـدنا به ، لأنه بدون أن يتمم هذا لنا فلن يمكنه حقيقة أن يهبنا راحة . وفقط عندما تقبل قلوبنا هذه الحقيقة أن السيد يعنى ما يقول ، وأن قوله « اثبتوا في »، و« تعلموا منى »، يعنيان أن صميم عمله هو أن يحفظنا فيه ثابتين عندما نطيعه ونسلم ذواتنا له في خضوع ، عندئذاك سوف نرضي بأن نلقى بنفـوسنا بين ذراعى محبته ، ونستودع أنفسنا لحفظه المبارك . فليس النير اذا هو الذى يشكل العقبة ، بل المقاومة للنير ، لأن التسليم القلبى الكامل ليسوع ، كمن هـو سيدنا وحافظنا معا ، هو الذى يجعلنا نجد الراحة ونضمنها .

تعال ، يا أخى ، ودعنا هذا اليوم بالذات نبدأ بأن نقبـل كلمة يسوع بكل بساطة القلب . انه لأمر واضح :« احملوا نيرى عليكم وتعلموا منى »، « اثبتوا في ». والأمر يجب أن يطاع . ان التلميذ الطائع لا يقدم أسئلة عن الاحتمالات أو النتائج ، فهو يقبل كل أمر صادر اليه تحدوه الثقة بأن معلمه قد عمل حسابا لكل احتياج . فالقوة والمثابرة للثبات في الراحة ، والبركة الناشئة عن ثباتنا فيه ـ هذا الأمر هو اختصاص المخلص ليباشره . فعلى أنا الطاعة ، وعليه هو أن يقوم بالعمل . دعونا هذا اليوم في طاعة فورية نقبل

أمره ، ومن ثم نجاوب بشجاعة :« يا مخلصي ، انني اثبت فيك ، وانني أحمل نيرك طوع أمرك ، وسأقوم بواجبي دون تأخير ، انني أثبت فيك ». وعندما يصيبنا الفشل من جهة هذا الأمر فليكن هذا دافعا جديدا لنا يدفعنا أكثر لكي نتمم الوصية ، ومعلما لنا لنصغي بأكثر اجتهاد ، أكثر من أي وقت مضي ، حتى يعطينا روح الله القدوس من جديد أن نستمع الى صوت يسوع « يا بني ، اثبت في »، يقولها في حب وبسلطان ملهما ايانا الرجاء والطاعة معا . وعندما نصغي الى هذه الكلمة كأنها آتية الينا من شخصه مباشرة ، فان هذا سوف يضع حدا لكل شك ـ لأن هذا وعد الهي بما سوف يمنحه الله لنا بكل يقين . وسوف يتضح لنا المعنى ببساطة تتزايد على الدوام . ان الثبات في يسوع ليس الا تسليم النفس له ليهيمن عليها ويعلمها ويقودها، ومن ثم تستريح بين أذرع المحبة الأبدية .

يا للراحة المباركة ! اننا فيها نتذوق سلفا راحة الله ذاته بما تتضمنه من ثمار وتشتمل عليه من شركة ! وهذه الراحة يجدها أولئك الذين يأتون الى يسوع ليثبتوا فيه . انها سلام الله ، والهدوء العظيم الذي يميز عالم الأبد ، والذي يفوق كل عقل ، والذي يحفظ القلب والفكر . واذ تصبح هذه النعمة مضمونة لنا ، تصبح لدينا القوة لأداء كل واجب ، ونؤتى الشجاعة لمواجهة كل صراع ، ونتال البركة لحمل كل صليب ، وفرحة الحياة الأبدية سوف تشملنا حتى في الموت ذاته .

آه يا مخلصي المبارك ! لو أن قلبي داخله أي شك أو خوف ، في تصور واهم بأن البركة أعظم مما أتوقع ، أو أعلى من أن أصل اليها ، فدعني أسمع صوتك ينعش من جديد ايماني وطاعتي لك :« اثبتوا في »،« احملوا نيري عليكم وتعلموا مني ، فتجدوا راحة لنفوسكم ».

اليـوم الثالث

اثبتـوا فى المسيح
واثقين فيه أنه يحفظكم

« ... ولكننى أسعى لعلى أدرك الذى لأجله أدركنى أيضا المسيح يسوع » (في ٣: ١٢) .

أكثر من واحد تراه يعترف بأنه واجب مقـدس وامتياز مبـارك أن يثبت في المسيح ، لكنك ـ في نفس الوقت ـ تجده يتراجع باستمرار أمـام هذا السؤال : هـل في الامكان أن يحيا حيـاة الشركة التى لا تنفصم مـع المخلص ؟ ان الاعتقاد السائد لدى مثل هؤلاء أن الوصول الى حياة من هذا القبيل هو ممكن فقط للمؤمنين البارزين الذين أتيحت لهم فرص خـاصة لتنمية هذه النعمة ، أما بالنسبة للغالبية العظمى من التلاميذ ، الذين امتلأت حياتهم هكذا بمشغوليات هذه الحياة ، حسبما حتمها الله عليهـم ، فان حياة الشركة المستمرة هذه نادرا ما تقوم ، هكذا يقولون ! وهم كلما سمعوا اكثر عن هذه الحياة ، تعمق الاحساس لديهم بمجد هذه الحياة وبركتها، ويبدون استعدادهم للتضحية بالغالى والنفيس ليكونوا شركاء فيها . لكنهم يقفون عند حد التمنيات فقط ، لاعتقادهم بأنهم في غاية الضعف ، أو غـير أمناء في حياتهم ـ لذلك لا يستطيعون أبدا البلوغ الى هذه الحياة المجيدة.

يا للنفوس العزيزة ! ما اقل ما يعرفون أن الثبات في المسيح قصد به أن يكون للضعيف بالذات ، وهو يناسب ضعفهم بشكل رائع . فهو لا يعنى الاتيان بأشياء عظيمة ، وهو لا يتطلب أن نحيا حياة مقدسة فريدة ومكرسة كشرط مبدئى . كلا ، ان الأمر يعنى ببساطـة أننى أنا الشخص الضعيف أستودع نفسى للقادر على كل شيء ليحفظنى ، وأن أطرح نفسي أنا الانسان غير الأمين على ذاك الذى هـو الاله الأمين والحق الجدير بثقتنـا المطلقة . فثباتنا فيه ليس عملا نضطر أن نعمله كشرط لتمتعنا بخلاصه، لكنه مصادقة منا على السماح لشخصه المجيد بأن يفعل الكل لنا ، وفينا ، ومن خلالنا. انه عمل يعمله هو لأجلنا . انه الثمر والقوة ينبعان من محبته الفادية . أما دورنا نحن فهو ببساطة : أن نخضع ذواتنا له ، وأن نثق به ، وأن ننتظر ما قد وعد بأن يتممه . انه ذلك الترقب الهادىء والثقة بأن فيه يوجـد مكان

للاستقرار مهيأ لمن يؤمن بكلمته ، الأمر الذى يفتقر اليه الكثيرون من أولاد الله وبشكل محزن . فهم قلما يجدون الوقت أو يكلفون أنفسهم ليدركوا أنه عندما يقول « اثبتوا في »، فانما بذلك يقدم نفسه ، ذاك الذى هو حافظ شعبه والذى لا ينعس ولا ينام ، وهو بكل ما يملك من قدرة وحب يقدم نفسه كالملجأ المنيع للنفس ، حيث المؤثرات المقتدرة لنعمته أقوى وأقدر على حفظ أولاده من كل ضعفهم الذى يأخذهم بعيدا ويتيههم .

ان تصور هؤلاء بخصوص نعمة الله هو هذا : انهم يعتبرون تجديدهم وغفران خطاياهم عملا يتم من جانب الله ، أما الآن ، وبعد أن غفرت خطاياهم فهم — اعترافا منهم بفضل الله عليهم — يتصورون بأن عليهم أن يعملوا شيئا من جانبهم بأن يعيشوا كمسيحيين ويتبعوا يسوع . فهناك دائما الاعتقاد بضرورة القيام بعمل ما ، ورغم أنهم يصلون طالبين العون ، فلا زال المجهود الذاتى هو رائدهم . وهم يخيبون باستمرار ، وينقطع رجاؤهم ، وقنوطهم هذا يزيد من عجزهم ليس الا . أيها الشخص التائه ، كفى ! فكما أن يسوع هو الذى اجتذبك اليه عندما قال «تعال»، فهو أيضا الذى يحفظك عندما يقول لك «اثبت». فالنعمة التى اتت بك اليه هى ذات النعمة التى تثبتك فيه ، وهذه النعمة وتلك كلاهما صادرتان منه وحده الذى هو اله كل نعمة . فتلك الكلمة «تعالوا»، اذ قد أصغيت اليها ، وتأملت فيها ، وقبلتها كانت لك بمثابة حبل المحبة الذى جذبك وقربك اليه . والكلمة «اثبتوا» هى كذلك أيضا الرباط الذى عن طريقه يمسك بك جيدا ويربطك الى نفسه . ليت كل نفس تصرف وقتا لتصغى الى صوت يسوع . انه يقول :« في — مكانك بين ذراعى القادرتين . اننى انا الذى أحببتك بهذا الحب ، أنا بنفسي الذى أقول لك : اثبت في — ولا شك أنك بكل يقين تستطيع أن تثق بى ». ان صوت يسوع الحلو اذ يدخل ويسكن في النفس لا يمكن الا أن تردد النفس صداه قائلة :« نعم يا مخلصى العزيز ، اننى فيك أستطيع أن أثبت ، بل اننى لسوف أثبت بالفعل ».

« اثبتوا في ». ان هذه الكلمات ليست من شريعة موسي ، تلك الشريعة التى تطلب من الخاطىء ما لا يستطيع أن يقوم به . انها كلمات تكون أمرا من أوامر المحبة ، وأوامر المحبة هى دائما وعود في شكل مختلف . ركز الفكر في هذا حتى يزول عنك كل احساس بالأحمال والأثقال والمخاوف والقنوط ، ويصبح أول فكر يرد على ذهنك ، عندما تسمع عن الثبات فى يسوع ، هو فكر مشرق يحمل معه رجاء مفرحا فتقول : هذا الوعد هو لى، وانا أعرف أننى سوف أتمتع به . نحن لسنا تحت الناموس ، حيث كلمة «افعل» التى لا ترحم ، لكننا تحت النعمة ، حيث كلمة «آمن» المباركة ، والتى تعنى آمن بما سوف يفعله المسيح من أجلك . واذا ما ورد هذا السؤال

على لسان السائل يقـول : لكن بالتأكيد هناك شيء علينـا أن نفعله ، يكون الجواب : ان ما نفعله ونعمله ليس الا ثمرة عمـل المسيح فينا . انه فقط عندما تصبح النفس سلبية تماما ، متطلعة ومستريحة على عمـل المسيح فيها ، عندئذ تتحرك طاقات النفس الى أقصي نشاطها ، وعندئذ نعمل بأكثر كفاءة لأننا نعرف أنه هو العامل فينا . وكما نرى فانه في تلك الكلمـة «في» تنطلق كل طاقات محبته القادرة مادة الينا يد المساعدة لتأخـذ بناصيتنا وتمسك بنا ، الأمر الذى يستحث كل قوة الارادة فينا لتجعلنا نثبت فيه.

ان هذه الرابطة التى تربط بين عمل المسيح فينا وعملنا نحن عبر عنها الرسول بولس أجمل تعبير في قوله :«... أسعى لعلى أدرك الـذى لأجله أدركنى أيضا المسيح يسوع ». فلأن الرسول قد عـرف أن ذلك الشخص القدير الأمين قد أمسك به بقصد مجيد وهو أن يجعل منه واحدا معه ، لذا فهو ـ أى الرسول ـ يبذل قصارى جهده ساعيا ليمسك بالجعالة المجيدة. فايمانه ، واختباره ، ويقينه الكامـل ، الواضح في قـوله « ادركنى أيضا المسيح يسوع »، أعطاه الشجاعة والقوة لكى يسعى ويدرك الذى لأجله ادركه أيضا المسيح يسوع . وكلما تمتع بولس برؤيا جديدة تتعلق بالغاية العظيمة التى لأجلهـا ادركه المسيح يسوع وأمسك به ، كان هذا دافعا جـديدا له يستحثه ليسعى هو أيضا لعله يحقق ما ليس أقل .

ان الايضاح الذى قدمه الرسول بولس ، وتطبيقه في الحياة المسيحية، يمكن أن نفهمه جيدا لو أننا تصورنا أبا يساعد طفله في تسلق هـوة شديدة الانحدار . فالأب قد وقف من أعلى ، وقد أمسك بيد ابنه ليساعـده في هذه المهمة . والأب يدل ابنه على المكان الذى عليه أن يثبت قدمه فيه ليتمكن الأب من مساعدته في زحفه الى أعلى . فلو ترك الطفل وحده ليزحف الى أعلى المنحدر فان الحركة التى يقوم بها في هـذا المضمار تكون عالية جـدا بالنسبة له وشديدة الخطورة ، لكن يد الأب هى المسند الذى يتكل عليه، وهكذا يقفز الطفل ليضع قدمه في المكان الذى أشار اليه الأب أنه سيأخـذ بيده فيه . ففى قوة الأب الضمان ، وهى القوة التى ترفع هـذا الطفل ، والتى بها يستحث الأب طفله أن يستخدم أقصى قوة لديه .

أيها المؤمن الضعيف والمرتعب ، ان العلاقة التى تربطك بالمسيح هى أشبه شيء بهذه العلاقة بين الأب وطفله ! ركز أولا انظارك على المكانة أو المكان الذى لأجله أدركك المسيح يسوع . ان يسوع يسعى ليرفعنـا الى حيـاة الثبات فيه والشركة التى لا تنفصم مع شخصه المجيد المبارك ، هـذه هى الحياة التى يسعى المسيح ليعطيها لنا ، وليس اقل من ذلك . ان الغفران والسلام ـ والروح القدس ونعمة ربنا يسوع المسيح ـ كل هـذه العطايا

التى قبلتهـا حتى الآن ليست سوى التمهيد لحيـاة الثبات . أما حيـاة القداسة والثمر والمجد الدائم ـ وكل ما وعدت به في المستقبل ـ فليست سوى انتاج الطبيعى لحياة الثبات في المسيح . ان قصد المسيح الأسمى هـو أن يتحدك بشخصه ، ومن ثم مع الآب . دعونا نثبت أنظارنا على هذا الأمر ، ونستمر متفرسين فيه حتى يتجسم أمام عيوننا ويرتسم أمام أنظارنا بشكل واضح لا لبس فيه . ان قصد المسيح هو أن يجعلنى أثبت فيه .

ثم دع هذا الفكر الجديد يدخل الى قلبك : لقد أدركنى المسيح يسوع لأجل هذه الغاية ـ أى حياة الثبات فيه ـ فقوته القادرة قد أمسكت بى ، وهى مستعدة الآن أن ترفعنى الى أعلى حيث يريدنى هو أن أكـون . ثبت نظرك على شخص المسيح . تفرس في المحبة التى تشع من عينيه الحانيتين وهو يتساءل ما اذا كان بوسعك أن توليه ثقتك الآن حتى يحفظك ، ذاك الذى بحث عنك ووجدك وأحضرك الى موضع القرب منه . تفرس فى ذراع القدرة تلك ، وقل ما اذا كنت على حق في يقينك بأنه قادر حقا أن يحفظك ثابتا فيه .

واذ نتفكـر في المكان حيث يشير السيد ـ ذلك المكان المبارك الـذى وصفه الرسول بالقول « الذى لأجله أيضا أدركنى المسيح يسوع »، ولأجله أيضا أدركنا نحن كذلك ـ ثم نستمر متفرسين في شخصه الكريم ، ممسكا بنا ومنتظرا أن يرفعنا اليه ، ألا قولوا لى ، كيف لا يمكننا بعد كل هذا أن نتخذ من جانبنا هذه الخطوة الى أعلى ، وفي هذا اليوم بالـذات ، ونرقى لندخل هذه الحياة المباركة عينها ، حياة الثبات في المسيح ؟ نعم ، دعـونا نبدأ في الحال ، ونقول :« آمين أيها الرب يسوع . طالما أنت قـد أمرتنى ، وطالما قد تعهدت بأن ترفعنى وتحفظنى هناك ، فاننى سأتجاسر ، وسوف أقول في ثقة ، وان كان أيضا بارتعاد : ربى يسوع ، ها أنا أثبت فيك حقا».

يا عزيزى وشريكى في الايمان ، اذهب واصرف وقتا على انفراد مـع يسوع ، وقل هذا الكلام له . اننى لا أتجاسر على الحديث معك عن الثبات في المسيح لمجرد اظهار عاطفة دينية ترضى الاحساسات والمشاعر . ان الحق الالهى يجب أن تتم ممارسته عمليا وفي الحـال . آه ! ليتك تخضع نفسك هذا اليوم بالذات للمخلص المبارك وتسلم له ذلك الشيء الواحد الذى يسأله منك : أن تسلم نفسك له لتثبت فيه . وهو نفسه سوف يعمل فيك . وأنت تستطيع أن تثق به أن يحفظك متوكلا عليه وثابتا فيه .

ولو حدث أن ساورتك الشكوك ابدأ من جـديد ، أو منيت باختبار الفشل المرير يغريك بالتراجع والقنوط ، فتذكر أين وجـد بولس قـوته فحسب :«... أدركنى أيضا المسيح يسوع ». وفي هذا اليقين يوجد نبع

للقوة . ومن هناك يمكنك أن تتطلع الى الهدف الـذى سعى المسيح وراءه وجعل قلبه عليه ، ذلك الهدف الذى وصفه الرسول بالقول « الذى لأجله أدركنى »، وهنـاك تضع قلبك أنت أيضا لتحقـق نفس القصد . ولك أن تستجمع ثقتك على أساس هذا الحق واثقا أن الذى ابتدأ فيك عملا صالحا هو أيضا يكمل ما بدأه . وبهذه الثقة تستجمع شجاعتك ، يوما فيوما ، قائلا من جـديد :« اننى أسعى ، لعلى أدرك الـذى لأجله أدركنى أيضا المسيح يسوع ». ولأن يسوع قد أمسك بى ، ولأن يسوع يحفظنى ، فاننى أخاطر بالقول : مخلصى ، اننى اثبت فيك .

اليوم الرابع

اثبتــوا فى المسيح

كما يثبت الغصن فى الكرمة

« أنا الكرمة ، وأنتم الأغصان » (يو ١٥:٥)

أول ما استخدم الرب هذا التعبير « اثبتوا في » كان مرتبطا مع مثل الكرمة الوارد في (يو ١٥). وهذا المثل ، رغم بساطته الشديدة ، هو مــع ذلك غنى جدا في التعليم ، ويعطينا التوضيح الأفضل والأكثر كمالا لمعنى أمر الرب ، والاتحاد الذى يدعونا اليه .

فالمثل يعلمنا عن طبيعة هذا الاتحاد . فالعــلاقة التى تربط الغصن بالكرمة هى علاقة حية . فليس كافيا أن يكون الاتحاد خارجيا ، مــؤقتا . والبشر لا يمكنهم احداثه بواسطــة عملهم ، فالغصن سواء كــان أصليا أم مطعما في الكرمة ، فهو يثبت بعمل الخالق وحده ، الذى بفضله يوصل الى الغصن كل ما في الكرمة من حياة ، وعصارة ، ودسم ، ومن ثم يصبح غصنا مثمرا . وهذا عين ما يحدث مع المؤمن أيضا فاتحاده مــع المسيح سيده ليس من عمل الحكمة الانسانية أو الارادة البشرية ، وانما هو عمــل الله ، وبواسطته يتم اتحاد حيوى من أوثق ما يكون وأكمل مــا يمكن بين ابن الله والانسان الخــاطىء . « أرسل الله روح ابنه الى قلوبكم ». وهــذا الروح القدس الذى هو بذاته روح الابن يصبح هو نفسه حياة المؤمن ، وعنــدما يتحد المؤمن بذلك الروح الواحد ، وتكون له الشركة في ذات الحياة التى في المسيح ، يصبح عندئذ واحدا معه . وهكذا الحال مــع الغصن والكرمة ، فان ما يجعلهما واحدا هو وحدة الحياة التى تسرى فيهما .

ويعلمنا المثل أيضا كمال هذه الوحــدة . فذلك الاتحــاد بين الكرمة والغصن هو من المتانة والصلة الوثيقة ، لدرجة أنه لا غنى للغصن عن الكرمة ، فالغصن لا شيء بدون الكرمة ، وكل من الغصن والكرمة هو بجملته للآخر وله وحــــده .

فبدون الكرمة لا يقدر الغصن أن يفعــل شيئا . فالكرمة هى التى أعطت الغصن حق الوجود في الكرم ، واعطته الحياة أيضا والاثمار . ولذا يقول الرب :« بدونى لا تقدرون أن تعملوا شيئا ». فالمؤمن يستطيع كل

يوم أن يكون مرضيا عند الله فيما يقوم به وذلك فقط من خلال قوة المسيح الساكن فيه . كما أن تدفق عصارة الحياة التى للروح القدس يوميا في المؤمن هى قوته الوحيدة لكى يأتى بثمر . فالمؤمن يحيا في شخص المسيح لا سواه ويتكل عليه وحده في كل لحظة يعيشها .

وبدون الغصن لن تفعل الكرمة شيئا . فكرمة بدون أغصان لا تقدر أن تحمل ثمرا . فبقدر ما أنه لا يمكن للغصن أن يستغنى عن الكرمة ، كذلك الكرمة لا تستغنى عن الغصن . هكذا تفاضلت نعمة ربنا يسوع جدا وتنازلت ، حتى كما أن شعبه يعتمد عليه ، بل ان ذات وجودنا متعلق بشخصه الكريم ، كذلك أيضا فانه ـ تبارك اسمه ـ قد جعل نفسه معتمدا على شعبه . فبدون تلاميذه وأتباعه لا يمكن ليسوع أن يوزع بركته على العالم المحتاج ، وهو لا يقدر أن يقدم للخطاة عنب كنعان السماوية . لا تتعجب من هذا ! فهذا هو ما قصده الرب . انه التكريم السامى الذى دعا اليه مفدييه ، فكما أنه لا غنى للمؤمنين عن المسيح في السماء ، لانه من قبله يوجد ثمرهم ، فكذلك أيضا هو ـ تبارك اسمه ـ لا يستغنى عن أولاده على الأرض ، حتى يمكنه ـ من خلالهم ـ أن يعرض ثمره . يا أولاد الله ، تأملوا في هذا ، حتى تنحنى نفوسكم في اجلال لتتعبد فى حضرة ذلك السر المجيد للاتحاد الكامل بين المسيح والمؤمن .

بل أن هناك أكثر من هذا : فبما أن الكرمة والغصن مرتبطان معا وغير منفصلين ، فان الكرمة كرمة لأجل الغصن ، والغصن غصن لأجل الكرمة ، وكل منهما على حالته لأجل الآخر فحسب ، فكل ما تمتلكه الكرمة انما يخص الأغصان . فالكرمة لا تجمع ما في التربة من دسم وحلاوة لنفسها ، وانما تضع تحت تصرف الأغصان كل ما تملك . فكما أن الكرمة هى علة الأغصان ومصدرها ، فهى كذلك أيضا الخادم للأغصان . ويسوع أيضا ، الذى ندين له بحياتنا ، كم يعطى نفسه لأجلنا ولنا :« المجد الذى أعطيتنى أعطيتهم »،« من يؤمن بى فالأعمال التى أنا أعملها يعملها هو أيضا، ويعمل أعظم منها »!. أيها المؤمن ، ان كل ملء المسيح وكل الغنى الذى له هو لك ، فالكرمة لا تعيش لنفسها ، ولا تبقى شيئا لنفسها ، لكنها تعيش لأجل الأغصان فحسب . ان كل ما يمثله يسوع في السماء هو لنا نحن ، فليس من اهتمام أو منفعة له هناك بالاستقلال عما يهمنا أو ينفعنا ، اذ هو يقف أمام وجه الآب كالنائب عنا والممثل لنا .

وكل ما تمتلكه الأغصان يخص الكرمة . فالغصن لا يعيش لذاته ، ولكنه يحمل الثمر الذى يمكنه أن يبين ويعلن عن عظمة الكرمة . فليس من غرض للغصن في الوجود الا أن يكون في خدمة الكرمة . هذه صورة

مجيدة للدعوة التي دعى بها المؤمن ، وما هو مطلوب منه من تكريس كامل لخدمة سيده وربه . فكما أن يسوع يعطى نفسه هكذا بالكامل للمؤمنين به ، كذلك المؤمنون بيسوع يحسون في أنفسهم بضرورة أن يكونوا بجملتهم للرب . فكل قوى المؤمن وكل لحظة من لحظات حياته ، وكل فكر وكل عاطفة ، انما هى ملك ليسوع ، حتى يمكن للمؤمن به أن ينال فيه الثمر الذى يتكاثر لمجده . واذ يدرك المؤمن ماهية الكرمة بالنسبة للغصن ، وما قصد أن يكون الغصن عليه بالنسبة للكرمة ، عندئذ يحس بأنه لا يملك سوى شيء واحد ليفكر فيه ويحيا لأجله ، وهذا الشيء هو ارادة الرب المبارك ، ومجده ، وعمله ، وملكوته ــ أن يأتى بثمر لمجد اسمه .

ويعلمنا المثل أيضا غرض الاتحاد . فالأغصان قصد بها أن تحمل الثمر ، والثمر وحده . « كل غصن في لا يأتى بثمر ينزعه » . والغصن يحتاج الى الأوراق لتحفظ عليه حياته الخاصة ، لاكتمال الثمر الذى يحمله . والثمر ذاته الذى يحمله الغصن انما يعطيه للذين من حوله . واذ يدخل المؤمن الى دعوته كغصن ، يرى أنه عليه أن ينسي ذاته ، ويعيش كلية لأجل بنى جنسه . أى اخوته في البشرية . لقد جاء يسوع الى هذا العالم بالمحبة لبنى البشر ، يفتش عليهم ويسعى لخلاصهم ، وكل غصن في الكرمة الحقيقية عليه أن يحيا لأجل هذا الغرض ذاته بالقدر الذى جاء لأجله يسوع الكرمة الحقيقية وعاش . نعم ، انه من اجل الثمر ، والثمر المتكاثر ، قد جعلنا الآب واحدا مع يسوع .

يا له من مثل عجيب مثل الكرمة هذا ! انه يزيح الستار عن أسرار المحبة الالهية ، والحياة السماوية ، وعالم الروح القدس . ما أقل ما ندركه عنك أيها الكرمة الحقيقى ! يسوع هو الكرمة الحى في السماء ، وأنا الغصن الحى على الأرض ! ما أقل ما فهمته عن شدة احتياجى ، بل أيضا صحة وسلامة مطلبى ، بخصوص الامتلاء الى كل ملئه ! بل وأيضا صحة ما اعلنته بخصوص ما أنا عليه من جهل ! ألا ليتنى في نور هذا المثل البديع أدرس الاتحاد العجيب بين يسوع وشعبه ، حتى يصبح هذا لى بمثابة الدليل الى حياة الشركة الكاملة مع مخلصى وربى المحبوب !. الا ليتنى أصغى وأؤمن ، حتى يصرخ كيانى بأكمله قائلا :« يسوع هو بالحقيقة الكرمة الحقيقية بالنسبة لى ، يحملنى ، ويطعمنى ، ويمدنى بما أحتاج اليه ، ويستخدمنى ، ويملؤنى الى كل ملئه ، وهكذا يجعلنى آتى بثمر كثير ويدوم ثمرى . عندئذ لن أخاف أن أقول : اننى بالحقيقة غصن ليسوع وفي يسوع ، الكرمة الحقيقية ، فيه أثبت ، وعليه أتكل ، واياه أنتظر ، وأخدمه ، وأعيش فقط لأحقق قصده بأن يظهر للآخرين ، من خلالى ، غنى نعمته ، فأعطى من ثمره للعالم الهالك من حولى » .

وهكذا اذ نحاول أن نفهم معنى المثــل ، عندئذ تعمل هــذه الكلمات « اثبتوا في » بقوتها الحقيقية داخل قلوبنا . وعندما تمتلىء قلوبنا بالمعنى المقصود عن الكرمة بالنسبة للغصن ، ويسوع بالنسبة للمؤمن ، فسوف يعطينا هذا المعنى قوة جديدة للكلمات « اثبتوا في ! ». وكأنى بيسوع يقول : « أيتها النفس ، فكرى كيف أننى أنا بجملتى لك . لقد ربطت نفسي بك بغير انفصال ، وكل امتلاء الكرمة وما فيها من دسم هــو في الحقيقة ملك لك . وحالما تصبحين أيتها النفس في ، لك أن تتيقنى بأن كل ما أملك هو بكامله لك أنت . ان ما يهمنى ويمجد اسمى أن تكونى لى أيتها النفس غصنا مثمرا، فقط اثبتى في . ورغم أنك ضعيفة لكننى أنا قوى ، ورغم أنك فقيرة ، لكننى أنا غنى . فقط اثبتى في ، أخضعى نفسك بالتمام لتعليمى وسيادتى ، لتكن لك الثقة البسيطة بمحبتى ، ونعمتى ، ومواعيدى . أيها المؤمن ! آمن فقط اننى بجملتى لك ، أنا الكرمة ، وأنت الغصن . اثبت في ».

والآن ماذا تقولين ، يا نفسي ؟ هل أتردد طويلا أم أمتنع عن القبول ؟ أم أننى ، بدلا من أن تساورنى الظنون عن صعوبة الحياة كغصن في الكرمة الحقيقية كما كنت أتصور سابقا عن ضرورة القيام بشيء من ناحيتى ـ أبدا بالحرى الآن أتطلع الى هذه الحياة باعتبارها أكثر الأشياء بركة تحت السماء ومبعثا للفرح ؟ الا أومن الآن أننى حالما أصبحت فيه فانه هــو ـ بذاته ـ سوف يحفظنى ويعيننى على الثبات فيه ؟. فمن جهتى ، لا يعنى الثبــات في شخصه أكثر من قبول وضعى فيه ، ورضائى بأن أبقى هناك ، مؤمنا في خضوع بأن الكرمة القوية لا تزال تحمل وتحفظ الغصن الضعيف . نعم ، اننى أريد أن أثبت ، وأثبت فيك حقا يا مخلصي المبارك ربى يسوع .

آه يا مخلصي ، ما أعظم حبك الذى يفوق الوصف !« عجيبة هــذه المعرفة ، فوقى ارتفعت لا أستطيعها ». اننى أستطيع فحسب أن أخضع نفسى لمحبتك مصليا أنك ، يوما فيوما ، سوف تذيع وتكشف لى بعضا من أسرار محبتك النفيسة ، وهكذا تبث الشجاعة والقوة فى تلميذك المحب ليفعل ما يشتاق قلبه أن يفعله بالحق ـ بأن يثبت فيك وحدك ، وبالتمام، والى الأبد .

اليوم الخامس

اثبتوا فى المسيح

كما أتيتم إليه ، بالايمان

« فكما قبلتم المسيح يسوع الرب اسلكوا فيه . متأصلين ومبنيين فيه وموطدين في الايمان كما علمتم » (كولوسي ٢ : ٦و٧).

في هذه الكلمات يعلمنا الرسول درسا قيما له وزنه ، فالايمان لم يكن فقط أساس مجيئنا في الأول الى المسيح وارتباطنا به واتحادنا معه ، لكننا بالايمان أيضا نتأصل ونتأسس في اتحادنا معه . فالايمان الذى به نتقدم في حياتنا الروحية لا يقل ضرورة وأهمية عما كان عليه عند الابتداء . ان الثبات في يسوع يصير ممكنا فقط عن طريق الايمان .

هناك مسيحيون غيورون لا يفهمون هذا ، أو ، اذا أقروا به نظريا ، يفشلون في تحقيق تطبيقه فى الحياة العملية . انهم متحمسون جدا لانجيل النعمة المجانية ، حيث قبلنا المسيح في البداية ، وتم تبريرنا بالايمان وحده . أما بعد ذلك فانهم يتصورون أن كل شيء يتوقف على اجتهادهم وأمانتهم . وبينما هم يتمسكون بقوة بالحق الذى يقول ان « الخاطىء يتبرر بالايمان »، تجدهم بالكاد قد أفسحوا في برنامج حياتهم مجالا للحق الأعظم الذى يقرر بأن « البار بالايمان يحيا ». انهم لم يفهموا أبدا أى مخلص كامل هو يسوع، وما سوف يفعله كل يوم من أجل المؤمنين به بنفس المقدار مثلما فعل في أول يوم عندما أتوا اليه . انهم لا يعرفون أن حياة النعمة هى دائما حياة الايمان وحسب ، وأنه فيما يختص بعلاقتنا بيسوع فان واجب التلميذ الدائم والأوحد هو أن يؤمن ، ذلك أن الايمان هو القناة الوحيدة التى من خلالها تتدفق نعمة الله وقوته الى قلب الانسان .

عندما يأتى المؤمن الى مخلصه كل يوم ، في حالة العجز والخواء الكامل، عندئذ يقبل من بين يدى المخلص المبارك حياته وقوته ، وبهما يمكنه أن يأتى بثمر البر لمجد الله وحمده . لذلك يقول بولس بالوحى :« فكما قبلتم المسيح يسوع الرب اسلكوا فيه ، متأصلين ومبنيين فيه ، وموطدين فى الايمان كما علمتم ، متفاضلين فيه بالشكر ». فكما أتيت الى المسيح بالايمان ، اثبت فيه كذلك عن طريق الايمان .

ولو انك أردت أن تعرف كيف يمكنك ممارسة الايمان لثبات كهذا في يسوع ، حتى تتأصل بأكثر عمق ورسوخ فيه ، فليس عليك الا أن تلقى نظرة الى الوراء الى الوقت الذى تقابلت فيه معه وقبلته مخلصا شخصيا لك . انك تتذكر جيدا كم من عقبات في ذلك الوقت ظهرت في طريق ايمانك بشخصه . فأولا كان هناك اثمك ورذيلتك ، وقد بدا مستحيلا أمامك أن الوعد بالعفو والحب يمكن أن يكون لخاطىء نظيرك . ثم كان هناك الاحساس بالضعف والموت ، فلم تكن تحس بقوة تدفعك للتسليم له والاتكال عليه كما طلب منك . ثم جاء بعد ذلك أمر مستقبل حياتك ، لم تكن لتجرؤ أن تأخذ خطوة بأن تصير تلميذا ليسوع بينما احساسك يؤكد لك تماما بأنك لن تستطيع البقاء أو الاستمرار ، وانك سرعان ما تعود فتسقط من جديد وتخون العهد . مثل هذه الصعوبات كانت تقف كالجبال في طريقك . لكن كيف أزيلت هذه من طريقك ؟. ببساطة حدث هذا بواسطة كلمة الله . فكلمة الله ، كما وصلت اليك عندئذ ، الزمتك بأن تؤمن بأنه رغم آثام الماضى ، وضعفك الحاضر ، وعدم أمانتك في المستقبل ، لكن الوعد أكيد بأن يسوع مستعد أن يقبلك ويخلصك . وعلى هذه الكلمة خاطرت بالمجيء اليه ، ولم يكن هناك خداع في الأمر ، ذلك أنك وجدت بأن يسوع قد رحب بك حقا وقبلك وخلصك .

طبق هذا الاختبار الذى اختبرته في مجيئك الأول الى يسوع على حالة الثبات فيه الآن . وكما كان حينئذ كذلك الآن ، فان المحاولات والمعوقات التى ستقف في طريقك لمنعك من الايمان ستكون كثيرة . فأولا عندما تفكر في خطاياك منذ أصبحت تلميذا يملأ وجهك الخجل ، ويسقط قلبك ، ويبدو لك كما لو كان أمرا بعيد المنال أن يسوع يمكن أن يقبلك حقيقة في علاقة حميمة كاملة وأن تتمتع بملء حبه المقدس . وعندما تتوارد على ذاكرتك وقائع فشلك الذريع في ماضي أيام حياتك ، بشأن عدم حفظك لأقدس العهود التى تعهدت بها ، عندئذ يجعلك احساسك بضعفك الحاضر ترتعد لمجرد فكرة محاولة الجواب على أمر المخلص بأن تعده بأنك من الآن فصاعدا سوف تثبت فيه . وعندما تتمثل أمام ناظريك حياة المحبة والفرح، حياة القداسة والثمر ، تلك الحياة المبهجة التى سوف تتدفق في المستقبل نتيجة الثبات فيه ، فان هذه تبدو لك كما لو كانت تعمل على دفعك الى مزيد من اليأس ، فأنت على الأقل لن تستطيع البلوغ الى تلك الحياة أبدا . ذلك لأنك تعرف نفسك جيدا . فلا فائدة اذا أن تتوقعها ، حتى لا يكون نصيبك الاخفاق ، فحياة تثبت بجملتها وبالتمام في يسوع ليست لك ولست لها !!

آه ! ليتك تعلمت درسا منذ الوقت الذى جئت فيه أولا الى المخلص! تذكرى ، أيتها النفس الغالية ، كيف اقتنعت عندئذ ، بأن تأخذى يسوع بكلمته ، ضدا لكل ما أشار به عليك فكرك ومشاعرك الخاصة ، وحتى اقتناعك العقلى وكيف أنه لم يخب رجاؤك ولم تخزى . لقد رحب بك الرب حقا ، وصفح عنك . لقد بين حقا محبته لك ، وانقذك ـ أنت تعلمين ذلك أيتها النفس ! واذا كان الرب قد فعل هذا لك وقد كنت في حالة العداوة معه وكنت غريبة عنه ، فماذا تظنين وقد أصبحت الآن ملكا له، أليس بالأحرى جدا ينجز وعده لك ؟ آه ! ليتك تأتى وتبدئين ببساطة فى الاصغاء الى كلمته ، وتسألين فقط هذا السؤال الواحد : هل يعنى المخلص حقا أن أثبت فيه ؟ والجواب الذى تعطيه لنا كلمته هو غاية في البساطة ومؤكد جدا : انك الآن فيه بفضل نعمته القادرة ، وهذه النعمة القادرة ذاتها سوف تساعدك بكل يقين للثبات فيه . اننا بالايمان صرنا شركاء نعمته في البداية ، وبواسطة الايمان ذاته يمكننا أن نتمتع بنعمة مستمرة للثبات فيه الى النهاية .

واذا سألت : ماذا على الآن بالضبط أن أفعل حتى يمكننى أن أثبت فيه ؟ فالاجابة ليست عسيرة . آمن أول كل شيء بكل ما يقوله : « أنا الكرمة ». فالغصن يعتمد على قوة الكرمة لسلامته وأمنه ، وكذا لاتيانه بالثمر . لا تفكر كثيرا في نفسك كغصن ، ولا في ثباتك فى الكرمة كواجب عليك أن تفعله ، حتى تمتلىء نفسك أولا بالايمان بيسوع وما هو عليه كالكرمة . انه سيصبح حقا بالنسبة لك كل ما يمكن للكرمة أن تكونه . ممسكا بك بثبات ، مطعما ومغذيا اياك ، وجاعلا نفسه كل لحظة مسئولا عن نموك وثمرك . اصرف وقتا لتعرف ، وأعد نفسك بعزم القلب لتؤمن : ان المسيح هو كرمتى ، الذى عليه أستطيع أن أعتمد في كل ما أحتاجه . ان الكرمة القوية العظيمة هى التى تحمل الغصن الضعيف ، وتمسك به اكثر مما يمسك الغصن بها . وبالروح القدس اسأل الآب ليعلن لك أى مسيح قدير ، محب ، مجيد هو ، ذاك الذى فيه قد صار لك مكان وصارت لك الحياة . نعم ، ان الايمان بمن هو يسوع ، هو الذى يحفظك ثابتا فيه ، اكثر من أى شيء آخر . فالنفس عندما تمتلىء بالأفكار العظيمة عن الكرمة سوف تصبح غصنا عظيما ، وسوف تثبت بلا تردد فيه . انشغل كثيرا بيسوع ، وآمن به ايمانا بلا حدود ، كمن هو الكرمة الحقيقية.

وبعدئذ ، عندما يستطيع الايمان أن يقول « يسوع هو كرمتى »، دع نفس هذا الايمان يقرر فضلا عن ذلك :«أنا غصن في الكرمة،أنا في يسوع». هذا يجعل أمر الثبات فيه غاية في البساطة . واذ أتأمل وأدرك بوضوح

انني الآن فيه ، سأرى حالا انه لا ينقصني شيء سوى أن أصادق فحسب على ما قد جعلني اياه ، وأن أبقى حيث وضعني هو . أنا في المسيح . هذه الفكرة البسيطة ، عندما أرددها بايمان ، وبروح الصلاة ، وباعتناء ، سوف تزيل كل صعوبة كما لو كنت قد أتممت انجازا عظيما من نوع ما . نعم ، أنا في المسيح ، مخلصي المبارك . ان حبه قد أعد لي منزلا مع شخصه الكريم ، عندما يقول « اثبت في محبتي »، وقوته العظيمة قد تعهدت بحراسة الباب ، وحراستي بالداخل ، فقط لو أنني قبلت . أنا في المسيح وليس على الآن سوى أن أقول :« مخلصي ، أباركك لأجل نعمتك العجيبة هذه . انني أوافق وأقبل . انني أسلم نفسي لحراستك المنعمة ، انني اثبت فيك بكل اليقين ».

انه لمن المدهش حقا أن ايمانا كهذا سوف يفعل العجائب بخصوص الثبات الى أبعد مدى في المسيح . ان الحاجة ماسة في الحياة المسيحية الى السهر والصلاة ، الى انكار الذات والجهاد ، الى الطاعة والاجتهاد . لكن « كل شيء مستطاع للمؤمن ».« وهذه هي الغلبة التي تغلب العالم ، ايماننا ». انه ذلك الايمان الذي يغمض عينيه باستمرار عن ضعف المخلوق، ويجد مسرته في كفاية مخلص قدير ، مما يجعل النفس قوية ومبتهجة . انه الايمان الذي يسلم نفسه لينقاد بروح الله لتقدير أعمق وأكثر دواما لذلك المخلص العجيب الذي هو عطية الله لنا ــ عمانوئيل الأبدي . انه ينقاد بالروح بين صفحات الكتاب المقدس من وعد الى وعد في كلمة الله ، وله الرغبة الواحدة بأن يتخذ من كل اعلان عن شخص يسوع ومن المواعيد التي أعطاها لنا غذاء له وطعاما لحياته . وطبقا للوعد « ان ثبت فيكم ما سمعتموه من البدء ، فأنتم أيضا تثبتون في الابن وفي الآب »، فهو ــ أي الايمان أو النفس التي تؤمن ــ سوف تحيا بكل كلمة تخرج من فم الله . وهكذا تتقوى النفس بقوة الله ، لتستطيع أن تفعل كل ما هو مطلوب للثبات في المسيح .

أيها المؤمن ، بامكانك أن تثبت في المسيح . آمن فقط ، آمن دائما، آمن الآن . لتنحن الآن أمام سيدك وربك ، وقل له في بساطة انه باعتباره كرمتك ، وأنت غصنه ، فانك سوف تثبت فيه هذا اليوم عينه .

ملحوظة

المقتطفات الواردة فيما يلي هي من كتاب « حياة الشركة » تأليف ا.م. جيمس .

« أنا الكرمة الحقيقية ». ان ذاك الذي يقدم لنا امتياز الاتحاد الحقيقي معه هو، يهوه العظيم « أنا هو »، الله القدير ، الذي يحمل كل

الأشياء بكلمة قدرته . وهذا الاله القدير يعلن نفسه كمن هو مخلصنا الذى يخلص الى التمام ، الى الحد الذى يفوق التصور ، اذ هو يطلب أن يجدد طبيعتنا الساقطة بأن يطعمها في طبيعته الالهية الخاصة . ان ادراكنا للاهوت المجيد لشخص المسيح الذى تستعذب القلوب المشتاقة حلاوة ندائه ، ليس بالأمر الهين في سبيل تمتعنا بالامتياز الكامل الذى اليه دعينا. بيد أن الأشواق وحدها ليس لها قيمة في ذاتها . كما أن قراءتنا الكثيرة عن النتائج المباركة التى نحصل عليها من اتحاد شخصى وثيق بربنا لن ينفعنا بشيء كذلك ، طالما أننا نعتقد أن ذلك الاتحاد ليس في مقدورنا عمليا.

ان كلمات المسيح قد أراد بها أن تكون حقيقة ثمينة ، أبدية ، وحية. وهذا لا يمكن أبدا أن يصبح أمرا واقعا ما لم يكن لدينا اليقين بأن ما يطلبه منا هو شيء معقول وممكن نواله . لكن ما الذى يقدر أن يجعل انجاز مثل هذه الفكرة ممكنا ؟ ما الذى يجعله أمرا معقولا أن نفترض أننا نحن المخلوقات الفقيرة ، الضعيفة ، الأنانية ، المملوئين بالخطية والسقطات ، بامكاننا أن نخلص من فساد طبيعتنا ونصير شركاء قداسة ربنا ؟ ليس سوى الحقيقة العجيبة التى لا تتغير وهى أن ذاك الذى يقدم لنا مثل هذا التغيير العظيم هو بذاته الله الأبدى ، وهو قادر كما هو مريد أن ينجز ما تكلم به . لذلك، فنحن عندما نتأمل في أقوال المسيح ، والتى تحتوى ذات جوهر تعليمه ، ذات عصارة حبه ، دعونا من بداية الأمر ، نطرح جانبا كل ميل فينا للشك. ودعونا الا نسمح لأنفسنا بأن نستسلم كثيرا للسؤال عما اذا كان بامكان تلاميذ مخطئين نظيرنا أن نحصل على معونة من الله لنصل الى القداسة التى اليها دعينا من خلال اتحاد وثيق ومتين مع ربنا . ان أية استحالة، أو تقصير في الوصول الى البركة الموعودة ، هو نتيجة لنقص الرغبة الحارة من ناحيتنا ، أما من جهة الرب المبارك فلا يمكن أن يكون هناك أى تقصير بأى وجه اذ أنه هو صاحب الدعوة ، لأنه عند الله لا يمكن أن يكون هناك أى اخفاق في انجاز ما وعد به ».

(انتهت الملاحظة التى اقتبسها اندرو مورى من كتاب « حياة الشركة » و « تأملات في يو ١٥ : ١-١١ » لمؤلفها « ا.م. جيمس »).

* * *

ويستكمل أندرو مورى ما بدأه فى هذا الفصل قائلا :

ربما من الضرورى أن نقول ، لأجل منفعة المؤمنين الأحداث أو المسيحيين الذين تنتابهم الشكوك ، انه بالنسبة لكل وعد من المواعيد الالهية على حدة ، مما يقع تحت أنظارنا ، هناك ما هو أكثر ضرورة من المجهود

الذى نبذله لممارسة الايمان . ان الشىء الذى له أهمية أعظم هو بالأحرى تنمية موقف الثقة والاتكال على الله ، وعادة التفكير الدائم فيه ، وفي طرقه وفي كلامه ، مع اقتناء رجاء لامع واثق . ففى تربة من هذا الصنف فحسب يمكن للمواعيد الالهية ، كل وعد على حدة ، أن يضرب أصوله في حياتنا وينمو . في أحد المؤلفات الصغيرة التى تطبعها « جمعية النبذ الدينية »، تحت عنوان « مشجعات الايمان »، لمؤلفه جيمس كيمبال ، أورد الكاتب العديد من أكثر الأفكار الهاما وعونا لنا ، وكلها تدافع عن حق الله فى مطالبتنا بأن نضع ثقتنا فيه . كما أن المصنف الصغير الذى صدر تحت اسم « السر المسيحى للحياة السعيدة » يمكن أن يصبح ذا فائدة عظيمة للكثيرين . فنغمته المشرقة الطافحة بالسعادة ، وترديده المحبب والمستمر للقرار :« بوسعنا حقا أن نعتمد على يسوع ليتمم كل ما قاله ، وأكثر جدا مما نظن أو نفتكر »، قد أحيا الرجاء والفرح في قلوب الكثيرين ممن كانوا قد أوشكوا تقريبا على الوصول الى مرحلة اليأس من امكانية الاستمرار . وفي الكتاب الذى كتبته فرانسيس هافرجال تحت عنوان « مخصص لخدمة السيد »، نجد ذات النغمة الممتلئة حيوية ، والتى تلهم الرجاء.

اليوم السادس

اثبتوا في المسيح
لأن الله ذاته قد أتحدكم معه

« ومنه أنتم بالمسيح يسوع ، الذى صار لنا حكمة من الله وبرا وقداسة وفداء » (١كو ١: ٣٠).

« أبى الكرام » (يو ١٥ : ١).

« أنتم بالمسيح يسوع ». كان المؤمنون من أهل مدينة كورنثوس لا يزالون ضعفاء ، وجسديين ، أطفالا في المسيح فحسب . وقد اراد لهم بولس الرسول أن يعرفوا بوضوح ، ومن بداية تعليمه ، أنهم – بالرغم من ذلك – في المسيح يسوع . ان الحياة المسيحية بأكملها تعتمد على الوعى الواضح بمركزنا في المسيح . فانه من أعظم الأشياء أهمية لثباتنا في المسيح أن يجدد كل منا ، كل يوم ، يقين الايمان بأنه « في المسيح يسوع ». وكل كرازة مثمرة للمؤمنين يجب أن تتخذ القول « أنتم في المسيح يسوع » كبداية تبدأ منها الكرازة .

على أن الرسول كانت لديه فكرة اضافية ، لها أهمية أعظم عندما قال « ومنه (أى من الله) أنتم بالمسيح يسوع ». فهو يريدنا أن نتذكر ليس فقط أننا متحدون بالمسيح ، لكن على وجه الخصوص ، بأن اتحادنا هذا ليس من عملنا الشخصي ، لكنه عمل الله ذاته . واذ يعلمنا الروح القدس ادراك هذا الحق ، عندئذ سنرى أى نبع للسعادة والقوة قد صار فينا ولنا . فاذا كان من الله ذاته وجودى أنا في المسيح ، فالله نفسه اذا، وهو الاله الأزلى الأبدى ، يصبح الضامن لكل ما أحتاجه أو أرغب فيه لكى أثبت في المسيح .

اسمحوا لى أن أحاول – معكم – فهم ما تعنيه هذه العبارة العجيبة « منه – أى من الله – في المسيح ». ان اتحادنا بالمسيح يتضمن عملا يقوم به الله وعملا علينا نحن أن نعمله . وعمل الله فينا هو أنه يحركنا حتى نقوم بما هو واجب علينا عمله . وعمل الله يتم في الخفاء وفي هدوء ، أما ما نقوم نحن به فهو شيء ظاهر ومحسوس . فالتجديد والايمان ، والصلاة والطاعة هى كلها أعمال واعية يمكننا أن نعطى عنها حسابا ، بينما الانعاش الروحى

والتعضيد ـ وهى أشياء تأتى من السماء ـ عطايا غير منظورة لا دخل لارادتنا فيها . وهكذا يحدث أنه عندما يحاول المؤمن أن يقول ،« أنا في المسيح يسوع »، فانه ينظر أكثر الى ما قام به هو من عمل ، بدلا من أن يوجه النظر الى ذلك العمل الخفى العجيب الذى قام به الله والذى بواسطته جعله في المسيح . وقد حدث هذا معنا في بداية الحياة المسيحية . انها بالطبع شهادة صادقة عندما يقول الواحد من أولاد الله « أنا أعرف أننى قد آمنت ». لكنه من الأهمية بمكان وأمر له دلالته الخطيرة أن نعود بأذهاننا لنتذكر أن وراء رجوعنا الى الله ، وايماننا به ، وقبولنا للمسيح ، كانت هناك قوة الله الخفية تتمم عملها ـ ملهمة ارادتنا ، ممتلكة ايانا ، ومحققة قصد محبتها الخاص من نحونا بتطعيمنا في المسيح يسوع . واذ يدخل المؤمن الى رحاب هذا الحق ، وهو الجانب الالهى في عمل الخلاص ، سوف يتعلم عندئذ أن يقدم الشكر والتعبد لله بتهليل وابتهاج من نوع جديد ، وأن يفرح أكثر من ذى قبل بعمل الله في هذا الخلاص الذى جعل شريكا فيه . وعندما يستعيد ما حدث خطوة خطوة ، سوف يترنم ، عند كل خطوة ، بهذه الترنيمة ،« انه عمل الرب »ـ ذلك أن قدرة الله غير المحدودة قد نفذت ما خططت له المحبة الأبدية . نعم،«أنا في المسيح يسوع بعمل الله».

وهذه الكلمات تقود المتأمل فيها الى ما هو أبعد من ذلك وأسمى ، انها تذهب به الى أعماق الأزل .« لأن الذين سبق فعينهم فهؤلاء دعاهم أيضا ». والدعوة التى تمت في عرض الزمان هى اظهار لحقيقة القصد الأزلى . فقبل أن يوجد هذا العالم ثبت الله عين محبته السامية الملكية عليك بحسب اختيار النعمة ،واختارك في المسيح . وكونك تعرف نفسك أنك في المسيح ، هو بمثابة حجر المعونة الذى بواسطته ترتفع لتفهم المعنى الكامل للقول « أننى في المسيح يسوع ، وذلك من الله ». ومع النبى سوف تردد القول :« تراءى لى الرب من بعيد . ومحبة أبدية أحببتك ، من أجل ذلك أدمت لك الرحمة ». وسوف تتعرف على ذلك الخلاص الشخصى الذى نلته باعتباره جزءا من « سر مشيئته حسب مسرته التى قصدها في نفسه »، وتدخل في عضوية جسد المسيح على الأرض الذى هو جماعة المؤمنين ، مرددا القول معهم :« الذى فيه أيضا نلنا نصيبا ، معينين سابقا حسب قصد الذى يعمل كل شىء حسب رأى مشيئته ». ولا يوجد ما يمجد نعمة الله المجانية ويجعل الانسان ينحنى أمامها ساجدا شاكرا ، مثل معرفته بهذا السر أنه ـ أى الانسان ـ« من الله في المسيح »، أى أن اتحاده مع المسيح ووحدته فيه هو عمل الله .

ومن اليسير أن نرى أى تأثير فعال تؤثر به هذه الحقيقة في المؤمن

الذي يطلب أن يثبت في المسيح . انها تجعله يقف على صخر وطيـد ، اذ يبنى استحقـاقه فى المسيح وفي كـل ملئه ، على قصد الله الآب وعمله ليس أقـل !

لقد تأملنا في المسيح كالكرمة ، والمؤمن كغصن ، فدعونا لا ننسي تلك الكلمة الثمينة الأخرى :« وأبى الكرام ». قال المخلص :« كل غرس لم يغرسه أبى السماوى يقلع »، أما كل غصن يطعمه في الكرمة الحقيقية فلن يستطيع أحد أن ينزعه من مكانه . وكما أن كل ما هو للمسيح هو من الآب، الذى فيه أيضا كل حياة المسيح وقوته كالكرمة ، كذلك فان المؤمن بالمسيح يدين للآب بما له من مكان وضمان في المسيح . وبذات المحبة والمسرة التى يسهر بها الله الآب على الابن الحبيب نفسه ، يسهر أيضا على كل عضو في جسده ، أى على كل واحد في المسيح يسوع .

يالها من ثقة وطيدة يوحى بها هـذا الايمان ــ ليس فقط لأجـل أن نحفظ في أمان الى النهاية ، بل الأكثر أننى كمؤمن أستطيع أن أتمم في كل لحظة في حياتى الغرض الذى من أجله قد جعلنى الله في المسيح . ذلك أن الغصن هو موضوع حراسة وعناية الكرام بنفس المقدار الذى تناله الكرمة ذاتها ، وانه ليهم الكرام أن يهتم بحال الغصن ومدى نموه تماما كما يفعل بالنسبة للكرمة . فالله الذى اختار المسيح ليكون الكرمة ، قد أهله تماما للقيام بالعمل المطلوب منه كالكرمة . والله الذى اختارنى وطعمنى في المسيح، الكرمة الحقيقية ، انما بهذا العمل قد أخذ على عاتقه أن يضمن له ، اذا أنا أخضعت ذاتى له ، ثمرا كثيرا جديرا بغصن من أغصان الكرمة الحقيقية . آه لو أننى فقط أدركت هذا الأمر ادراكا تاما !. كم يعطينى هذا من الثقة ومن اللجاجة في الصلاة لله وأبى ربنـا يسوع المسيح ! كم ينعش هـذا في احساس الاتكال على الله ، ويجعلنى أرى أن الصلاة بدون انقطـاع هى فى الحقيقة حاجتى الوحيدة في حياتى .

صلاة هى في حقيقتها انتظار لا يكل ، لحظة فلحظة ، لله الذى جعلنى واحدا مع المسيح ، ليتمم في عمله الالهى ، عاملا في ما يرضي امامه بيسوع المسيح ، حتى بذلك أستطيع أن أريد وأعمل مسرته .

وياله من دافع لبذل أقصى الجهد في حفظ الغصن في حياة مثمرة ! ان الدوافع هى قوى مقتـدرة ، ومن الأهمية بمكان أن نبقى عليها في حـالة الوضوح والسمـو . وبالتأكيد فان لدينا هنا اسمى هـذه الدوافع كلها ، فنحن ــ المؤمنين ــ كما يقول الرسول بالـوحى ــ« عمل الله مخلوقين فى المسيح يسوع لأعمال صالحة ». ان الله قد طعمنا في المسيح لغرض مجيد، هو أن نأتى بثمر ، وثمر كثير ، وأن يدوم ثمرنا . ان كل ما يخلقه الله يناسب

بشكل قاطع الغرض الذى خلق من أجله . لقد خلق الشمس لتنير : وانها لتقوم بعملها في غاية الاتقان ! وقد خلق العين لترى : ويا لروعة انجازها لما قد خلقت لأجله ! وقد خلق الله الانسان لأعمال صالحة : وكم يناسب هذا بشكل يدعو للاعجاب الغرض الذى قد خلق لأجله .

انني في المسيح ، وذلك بعمل الله . فقد خلقت خلقا جديدا ، وجعلت غصنا في الكرمة ، مؤهلا لحمل الثمار . الا ليت المؤمنين أولاد الله يكفون عن النظر في غالب الأحيان الى طبيعتهم العتيقة ، والشكوى مما هم عليه من ضعف ، كما لو كان الله قد دعاهم لما هم ليسوا مؤهلين له ! وليتهم يقبلون بايمان وفرح الاعلان العجيب الذى أعطاه اياهم الله ، كيف أنه عندما جعلهم متحدين مع المسيح ، قد جعل نفسه في ذات الوقت مسئولا عن نموهم الروحى وجعلهم مثمرين ! كم سيختفى كل تردد سقيم وتكاسل قبيح ، وتحت تأثير هذا الدافع الجبار ــ أى ايمانهم بأمانة ذاك الذى عن طريقه وبه قد أصبحوا في المسيح ــ سوف تستيقظ طبيعتهم بجملتها لتقبل وتتمم ذلك القصد المجيد !.

آه يا نفسي ! أخضعي ذاتك للتأثير المقتدر الذى لهذه الكلمة « ومنه أنتم في المسيح يسوع ». انه الله ذاته الذى به صار المسيح لنا بجملته ، والذى منه نحن أيضا في المسيح ، وسنكون بكل تأكيد ما يجب أن نكونه بالنسبة للمسيح . اصرف وقتا في التأمل والتعبد ، حتى يشرق في داخلك النور الذى يصل اليك من عرش النعمة ، فترى اتحادك بالمسيح أنه بالحقيقة عمل أبيه القادر على كل شيء . اصرف وقتا ، يوما بعد يوم ، ودع الله يصبح كل شيء في حياتك التعبدية بأكملها ، بكل ما فيها من مطاليب وواجبات ، واحتياجات ورغبات . انظر الى يسوع اذ يقول لك « اثبتوا في »، مشيرا الى أبيه قائلا :«وأبى الكرام ، الذى به أصبحتم أنتم في ، وبواسطته تثبتون في ، وما سوف تحملونه من ثمار انما لأجله هو ولأجل مجده ». وليت جوابكم يكون : آمين ، أيها الرب يسوع !. ليكن هكذا كقولك . ان المسيح وانا قد تعين كل منا للآخر منذ الأزل ، وكل منا ينتمى للآخر ويخص الآخر. انها المشيئة الالهية ، وسأثبت في المسيح . انني في المسيح يسوع بعمل الله ، ومن الله انا في المسيح يسوع .

اليوم السابع

اثبتوا فى المسيح

حكمتكم

« ومنه أنتم بالمسيح يسوع ، الذى صار لنا حكمة من الله وبرا وقداسة وفداء » (١كو ١: ٣٠) .

ان يسوع المسيح ليس فقط الكاهن الذى اشترانا ، والملك الذى يحمينا ويصوننا ، لكنه أيضا النبى الذى يعلن لنا الخلاص الذى أعده الله للذين يحبونه . وكما انه عند بدء الخليقة كان النور هو أول أعمال الله في الخليقة، حتى أن كل أعمال الله الأخرى تنال فيه وبواسطته حياتها ورونقها، كذلك أيضا نجد أن الحكمة – في النص الكتابى الذى أمامنا – قد ذكرت في المقدمة باعتبارها الخزانة التى تحتوى بداخلها على العطايا الثلاث الثمينة التى تتبعها . الحياة هى نور الناس ، والمسيح يجعلنا شركاء الحياة الأبدية، عندما يعلن لنا مجد الله ويجعلنا ننظر هذا المجد في وجهه الكريم . لقد دخلت الخطية الى العالم عن طريق شجرة المعرفة ، وانه من خلال المعرفة التى يهبها لنا المسيح فاننا نتمتع بالخلاص . لقد صار لنا حكمة من الله ، وفيه مذخر جميع كنوز الحكمة والعلم .

ولقد جعلنا الله فيه ، وليس علينا الا أن نثبت فيه حتى نتمتع بنصيبنا في كنوز الحكمة والعلم هذه. نحن فيه– والحكمة فيه.وثباتنا فيه يجعلنا نمتلك هذا الذى هو حكمة الله ذاتها ، فيقود حياتنا الروحية بأكملها ويهبنا من المعرفة الروحية قدر ما نحتاج اليه . فالمسيح صار لنا حكمة ، ونحن في المسيح بعمل الله .

اننا يجب أن نقتنى فهما أفضل على أساس هذه العلاقة بين ما صار عليه المسيح لأجلنا ، وكيفية نوالنا ما لنا فيه نتيجة اتحادنا به وصيرورتنا فيه . وهكذا سوف نرى أن ما أعده الله لنا من بركات في المسيح لا يمكننا التمتع بها كعطايا خاصة استجابة لصلواتنا الا اذا كنا ثابتين فيه . فاستجابة الله لكل صلاة تأتى على أساس اتحاد أوثق وثبات أكثر عمقا في المسيح . ففى ذاك ، الذى هو العطية التى لا يعبر عنها ، مذخر كل العطايا الأخرى ،والتى من بينها عطية الحكمة وعطية المعرفة .

كم اشتاقت قلوبنا في أوقات كثيرة الى الحكمة والمعرفة الروحية لكى نعرف الله بكيفية أفضل ، ذاك الذى معرفته هى الحياة الأبدية ! اثبت فى يسوع . ان حياتك فيه سوف تقودك الى تلك الشركة مع الله والتى فيها تستطيع أن تعرف الله المعرفة الحقة . فمحبته ، وقوته ، ومجده غير المحدود ، سوف تعلن لك بما لم يسبق أن يخطر على قلب بشر اذا أنت ثبت في يسوع . قد لا تستطيع أن تدرك هذا عن طريق العقل ، أو أن تعبر عنه بالكلام ، لكنك سوف تعطى تلك المعرفة التى هى أعمق من أن تستطيع الأفكار أو الكلمات أن تعبر عنها ـ انها معرفة الله التى تصير لنا باعتبارنا قد عرفنا من الله . « نحن نكرز بالمسيح مصلوبا . . . للمدعوين . . هو قوة الله ، وهو حكمة الله » .

أو ربما أنت تتوق أن تحسب كل الأشياء خسارة من أجل فضل معرفة المسيح يسوع ربا لك . اذا لتثبت في يسوع ، وتوجد فيه . سوف تعرفه في قوة قيامته وفي شركة آلامه . واذ تتبعه لن تمشي في الظلمة بل يكون لك نور الحياة . وحينما يشرق الله في القلب ، ويسكن المسيح يسوع هناك ، عندئذ فقط يمكن لنور معرفة الله في وجه المسيح أن يظهر للآخرين .

هل تريد أن تفهم عمله المبارك ، الذى قام به على الأرض ، أو كما يقوم به وهو في السماء بواسطة روحه القدوس ؟ وهل تريد أن تعرف كيف يمكن أن يصبح المسيح لنا برا ، وقداسة ، وفداء ؟ ان المسيح قد صار لنا حكمة من الله لأجل أن يحضر هذه الأمور ، ويعلنها لنا ، ويوصلها الينا . ان هناك ألف سؤال وسؤال تتبادر في أوقات كثيرة الى أذهاننا ، ومحاولاتنا الذاتية للاجابة عليها تشكل عبئا وحملا ثقيلا بالنسبة لنا . والسبب في ذلك يرجع الى أننا قد نسينا أن مكاننا هو في المسيح ، ذلك الذى جعله الله ليكون الحكمة لحياتنا . اجعل اهتمامك الأول أن تثبت فيه بكل التكريس القلبى الملتهب غير المنقسم ، وعندما تكون الحياة مستقيمة والقلب غير منقسم ، ونحن متأصلون ومتأسسون في المسيح ، عندئذ سوف نحصل على المعرفة بالقدر الذى يراه المسيح في حكمته مناسبا لنا . وبدون هذا الثبات في المسيح فان المعرفة لن تفيدنا حقيقة ، بل غالبا ما تكون ضارة بنا أبلغ الضرر . ان النفس في غرورها تقنع بأفكار ليست سوى صور وأشباه الحقيقة ، دون قبول الحق نفسه في قوته . أما طريقة الله فهى على الدوام أن يعطينا أولا الشىء ذاته ، حتى ولو كان هذا مجرد بذرة ضئيلة ليس الا ، انه يعطينا الحياة والقوة أولا ثم بعد ذلك المعرفة . أما الانسان فانه يطلب المعرفة أولا ، وفي أغلب الأحيان ، ويا للأسف ! لا يتقدم الى أبعد من هذا . الله يعطينا المسيح ، وفيه يختبىء كل كنوز الحكمة والعلم . آه ! ليتنا نكتفى ونرضى بأن نقبل

ونمتلك المسيح ، وأن نسكن فيه ، وأن نجعله حياتنا . وعندما ندخل الى العمق في معرفته ، عندئذ نكون قد تقصينا ووجدنا المعرفة التى نشتاق اليها . ان معرفة كهذه هى الحياة بعينها . « وهذه هى الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الاله الحقيقى وحدك ويسوع المسيح الذى أرسلته » .

لذلك ، أيها المؤمن ، اثبت في يسوع لانه هو حكمتك ، وتوقع بكل اليقين أن تنال منه كل ما تحتاجه من علم وتعليم لحياة يتمجد الله بواسطتها. وفي كل ما يخص حياتك الروحية ، اثبت في يسوع لأنه هو الحكمة من الله ، وهو حكمتك أنت . ان الحياة التى لك في المسيح هى شيء غير متناه في قداسته ، وأن تعرف كيف تسلك بموجبها لهو أمر سام في قداسته وأعظم بكثير من استطاعتك . انه هو وحده الذى يستطيع أن يرشدك ، كما بالهام روحى خفى ، لتعرف ما يتواءم مع كرامتك كواحد من أولاد الله ، وما الذى يساعد حياتك الداخلية وما الذى يقف عائقا أمامها ، وبالأخص أمر ثباتك فيه . لكن اياك أن تفكر في هذا الأمر كأنه شيء غامض أو لغز يقتضى منك أن تجد له حلا . ومهما حاصرتك الأسئلة بخصوص امكانية الثبات فيه بالتمام وعلى الدوام ، وامكان حصولك حقيقة على كل البركات النابعة من هذا الثبات ، ليتك تتذكر دائما أن يسوع يعرف الكل ، وأن الكل في غاية الوضوح بالنسبة له ، وأنه قد صار لك من الله حكمة . وعلى قدر ما تحتاج من معرفة وبقدر ما يمكنك استيعابه ، سوف يقوم هو بتوصيله لك ، اذا وثقت به فقط . اياك أن تظن أن غنى الحكمة والمعرفة المذخرة في يسوع هى كالكنوز التى لا مفتاح لها ، أو أن طريقك اليها هو طريق يكتنفه الظلام . ان يسوع الذى هو حكمتك يقودك في الطريق الصحيح ، حتى وان كنت لا تراه .

وفي كل ما يتصل بالكلمة المبارك ، تذكر نفس الحقيقة : اثبت في يسوع ، فانه حكمتك . ادرس كثيرا لتعرف الكلمة المكتوبة ، لكن ادرس أكثر لتعرف الكلمة الحى ، الذى فيه أنت قد طعمت بعمل الله . ان معرفتنا بيسوع ، ذلك الذى هو حكمة الله ، تتيسر فقط عندما نحيا حياة الطاعة والثقة الكاملة التى لا يخالطها شك . ان الكلمات التى تخرج من فمه الكريم هى روح وحياة لأولئك الذين يحيون فيه . لذا فانه يتحتم علينا في كل مرة نطالع فيها كلمة الله ، أو نسمعها ، أو نتأمل فيها ، أن نحترص أن نأخذ مكاننا الصحيح . لتدرك أول كل شيء أنك واحد معه ، ذلك الذى هو لنا الحكمة من الله ، وعليك بعدئذ أن تعرف نفسك بأنك تحت توجيهاته المباشرة والشخصية . لتذهب الى يسوع الكلمة ثابتا فيه ، انه هو ينبوع النور الالهى ذاته . والذى بنوره سوف نعاين النور .

وفي كل حياتك اليومية ، في طرق هذه الحياة وأعمالها ومسئولياتها ،

اثبت في يسوع كمن هو حكمتك . ان جسدك هذا وحيـاتك اليومية التى تحياها كليهما يشارك في خلاصه العظيم . في المسيح ، الذى صار لنا حكمة من الله ، قد ادخرت لنا أيضا الهداية لحياتنا التى نحياها في اجسادنا هذه التى نوجد فيها . ان جسدنا هو هيكل لله ، وحياتنا اليومية هى الـدائرة التى يظهر فيها مجده . وانه لأمر على أعظم جانب من الأهمية بالنسبة له ـ تبارك اسمه ـ أن تأخذ اهتماماتنا الأرضية الاتجاه الصحيح عن طـريق ارشاد روحه القدوس . فقط ثق بعطفه ، آمن بحبه ، وانتظر ارشاده لك. انه لن يبخل عليك به . واذ نثبت فيه ، سوف يهدأ العقل ويتحرر من الهوى والانفعالات النفسية ، وتصدر أحكامنا قوية وواضحة ، ويسطع نور السماء على الأشياء الأرضية التى نتعامـل فيها ، وعندئذ تتحقق صلاتنا لأجـل الحكمة ، نظير سليمان ، وننال أكثر مما طلبنا وأكثر مما كنا نفتكر .

وهكذا ، خاصة فيما يتعلق بعمـل الله ، لنثبت في يسوع الحكمة . « مخلوقين في المسيح يسوع لأعمال صالحة ، قد سبق الله فأعدها لكى نسلك فيها ». وليت كل خوف أو شك ، من جهة عدم امكانية معرفتنا على وجه اليقين ماهية هذه الأعمال ، ينتزع من قلوبنا وعقولنا !. اننا قد خلقنا فى المسيح لأجل مثل هـذه الأعمال . انه سوف يرينا ما هى هـذه الأعمال ، وكيف نتممها . دعونا ننمى في دواخلنا عادة الابتهاج بيقينية قيادة الحكمة الالهية لنا ، حتى ولو لم نر طريقنا .

ان كل ما يمكنك أن ترغب في معرفته واضح تمام الوضوح أمامه . وهو ـ تبارك اسمه ـ باعتبـاره الانسان ، والوسيط ، له الـوصول الى مشورات الله ، وأسرار العناية الالهية ، نيابة عنك ولأجـل صالحك . فلو أنك فقط وثقت به تماما ، وثبت فيه كلية ، عندئذ سيكون بامكانك أن تتيقن من نوالك الارشاد السديد ، المعصوم من الخطأ .

نعم ، اثبت في يسوع الحكمة . ليكن سعيك حثيثا في الحفاظ على روح الانتظار والاتكال ، التى شعارها السعى الدءوب لأن تتعلم ، ولا تترك مكانك حتى ينير عليك النور السماوى ليقودك . لتنأ بنفسك عن كل شتات للفكر لا لزوم له ، ولتغلق أذنيك عن أصوات العالم واتخذ موقف المتعلم أو التلميذ الخاضع المطيع ، المصغى دائما للحكمة السماوية التى يريد أن يعلمها اياك السيد المبارك . نح جانبا كـل حكمتك الشخصية ، وأنشد الاقتنـاع العميق بحقيقة العمى المطلق لملكات الفهـم الطبيعى أو الحكمة البشرية فى ادراك أمور الله . وفي كل ما يختص بالأشياء التى عليك أن تعتقد بها وعليك أن تنجزهـا ، انتظر الـرب يسوع ليعلمك ويرشدك . تذكـر أن التعليم والارشاد لا يأتيان من الخارج ، وانما بحياته هو فينا ، عندئذ يمكن لحكمة

الله أن تقوم بالعمل الذى يريدنا الله أن نعمله . لذلك ليتنا ــ من حين لآخر ــ نختلى به في مخدع القلب ، وهناك عندمـــا تخفت كل الأصوات الخارجية ويصير السكون والهدوء يمكننا أن نستمع الى روح الله وحده يحدثنا بصوته الرقيق الهادىء المنخفض . وحتى عندما تكون في قلب الظـــلام حيث يبدو لك أنك قد تركت وحدك بلا رفيق ، لتكن لك الثقة الأكيدة التى بلا ريب ، في وعده الأمين وتأكيده الشخصي بأنه هو النور لخاصته وقائد مسيرتهم . وفوق كل شيء ، لتحيى يوما فيوما هـــذه الحقيقة المبـــاركة ــ الا وهى أن يسوع المسيح ، الاله الحى ، كما أنه هو حكمتك الذى لك من الآب ، فليكن اهتمامك الأول والأخير وعلى الدوام هو أن تثبت فيه . واذ تثبت فيه ، سوف تسرى فيك حكمته مثلما تتدفق فيك تلقائيا الحياة المتأصلة فيه . فعندمـــا أثبت أنا في المسيح ، ذلك الذى صار لنا حكمة من الله ، عنــــدئذ سوف أعطى هذه الحكمة وأتمتع بها عمليا في حياتى .

اليوم الثامن

اثبتوا فى المسيح

بركم

« ومنه أنتم بالمسيح يسوع ، الذى صار لنا حكمة من الله ، وبرا وقداسة وفداء » (١كو ١: ٣٠).

ان أولى البركات العظيمة التى يعلنها لنا المسيح ، حكمتنا ، كبركة معدة لنا في شخصه هى بركة البر . وليس عسيرا علينا أن نرى حتمية أن تكون هذه البركة هى أولى البركات .

فما لم يكن هناك سلام ، لا يمكن لأمة ، أو بيت ، أو فرد ، أن يتمتع بنجاح حقيقى أو تقدم . وكما أنه حتى الآلة لا تستطيع أن تقوم بعملها مالم تأخذ قسطا من الراحة ، يوفره لها صاحبها على أساس سليم ، كذلك أيضا فانه لا غنى عن الهدوء والاطمئنان لكى تكون لنا حياة أخلاقية وروحية سليمة . لقد أصابت الخطية كل علاقاتنا بالاضطراب ، فبسببها فقدنا الانسجام مع أنفسنا ، ومع الناس ، ومع الله . وهكذا كان السلام هو أول متطلبات الخلاص من الخطية حتى تتمتع حياتنا حقيقة بالبركة . والسلام يمكن فقط أن يأتى مع البر . وحيثما يصير كل شيء كما يريده الله ان يكون، وفق الترتيب الالهى ومنسجما مع ارادته ، فهناك فقط يمكن للسلام أن يملك . وقد جاء يسوع المسيح لكى يرد السلام الى الأرض ، ويعيد للنفس سلامها ، وذلك بأن يعيد للبر مكانه ومكانته . ولأنه ملكى صادق الحقيقى، ملك البر ، لذا فهو يحكم كملك ساليم ، أى ملك السلام (عب٧: ٢) . وهكذا يتمم يسوع الوعد الذى أعلنه الأنبياء :« بالعدل يملك ملك ، ويكون صنع العدل سلاما ، وعمل العدل سكونا وطمأنينة الى الأبد » (اش ٣٢: ١و١٧) .

لقد صار المسيح لنا برا من الله ، وقد طعمنا الله في المسيح كمن هو برنا .« جعل الذى لم يعرف خطية خطية لأجلنا لكى نصير نحن بر الله فيه» . دعونا نحاول أن نفهم معنى هذا .

عندما يقود الروح القدس الانسان الخاطىء الى المسيح في البداية لكى ينال الخلاص ، فان مثل هذا الانسان ، ينظر عادة الى ما عمله المسيح لأجله أكثر مما ينظر الى شخص المسيح ذاته .

واذ يتطلع الى الصليب ، حيث المسيح المتألم هناك ، البار من أجل الأثمة ، فانه يرى في هذا الموت الكفارى الأساس الكافي الوحيد لكى يؤمن برحمة الله الغافرة . انه يجد سلامه في ذبيحة المسيح الكفارية ، وفي ذبيحته النيابية ، والتى فيها حمل لعنتنا وخطايانا في جسده على الخشبة . واذ يدرك أن بر المسيح قد صار بره هو شخصيا ، وكيف أنه بعمل ذاك قد حسبه الله بارا لديه ، عندئذ يحس بأنه قد امتلك ما يحتاجه ليسترد من جديد رضا الله . « فاذ قد تبررنا بالايمان لنا سلام مع الله » . وتجده يجاهد ليرتدى ثوب الرب هذا بايمان يتجدد على الدوام بعطية التبرير المجيدة التى وهبها الله اياه .

ولكن بمرور الأيام ، وهو يثابر لينمو في الحياة المسيحية ، اذا به يواجه احتياجات جديدة . فهو يريد أن يفهم بأكثر دقة كيف أمكن لله هكذا أن يبرر الأثيم بقوة بر شخص آخر . ويجد الجواب في التعليم الكتابى الرائع بخصوص الاتحاد الحقيقى للمؤمن مع المسيح كآدم الأخير . ويرى تحقيق هذا الأمر في جعل المسيح نفسه واحدا مع شعبه ، صيرورتهم واحدا معه، بما يتفق تماما مع كل القوانين في مملكة الطبيعة وايضا في ملكوت السموات، وهو أن كل عضو في الجسد من حقه أن ينال الفائدة الكاملة الناتجة عن الأعمال التى يقوم بها الرأس كما ويجنى فوائد الآلام التى تألم بها ايضا . وهكذا يقود الروح القدس الانسان ليحس أنه بامكانه أن يختبر تماما قوة بر المسيح التى تأتى بالنفس الى التمتع بالرضا الكامل والشركة مع الاله القدوس ، وذلك اذ أمكن للانسان أن يدرك فقط حقيقة اتحاده الشخصي مع المسيح كالرأس . ولن يقلل هذا من قيمة عمل المسيح الكفارى ، لكنه بالحرى سيعظم ويكرم شخص المسيح ، فما عمله المسيح لأجلنا يقودنا الى قلب الحقيقة ذاتها ، بأن الاله القدوس قد صار انسانا لأجلنا واظهر حبه لنا.

وهذا الاختبار يلقى ضوءه من جديد على المكتوب . انه يقود الشخص ليلاحظ ما كان بالجهد قد لفت نظره من قبل ، كيف أن بر الله ، اذ يصبح ملكا لنا ، فهو بكل الوضوح متصل بشخص الفادى . « وهذا هو اسمه الذى يدعونه به الرب برنا »، « انما بالرب البر والقوة »، « ... المسيح يسوع .. الذى صار لنا حكمة من الله وبرا ... » ، « ... لكى نصير نحن بر الله فيه»، « ... لكى أربح المسيح وأوجد فيه ، وليس لى برى الذى من الناموس.. بل الذى من الله » . عندئذ يرى المؤمن بأنه لا يمكن فصل البر والحياة فى المسيح أحدهما عن الآخر . « ... هكذا ببر واحد صارت الهبة الى جميع الناس لتبرير الحياة »، « الذين ينالون عطية البر سيملكون في الحياة بالواحد يسوع المسيح » . وسوف يفهم المعنى العميق الذى تتضمنه الكلمة التى هى

مفتاح رسالة رومية ودليلها الا وهى : « البار بالايمان يحيا ». فهو لن يقنع بعد بأن يفكر في البر المحسوب كرداء يلبسه فحسب ، لكنه ، اذ يلبس المسيح يسوع ، ويطلب أن يحيطه الرب من كل ناحية ، وأن يكون ــ تبارك اسمه ــ هو بذاته وبحياته الرداء الذى يلفه تماما ، عندئذ يحس بأن بر الله ملك له بالتمام ، لأن « الرب برنا » قد صار ملكا له . وقبل أن تتاح له معرفة هذه الحقيقة كان غالبا ما ينتابه الشعور بصعوبة ارتداء ثوبه الأبيض اليوم كله . كان يبدو كما لو كان عليه أن يرتدى هذا الثوب ، بصفة خاصة، عندما يدخل الى محضر الله ليعترف بخطاياه ، ليسأل من لدنه نعمة جديدة. أما الآن فان المسيح الحى هو بره ــ انه ذلك المسيح الذى يسهر على حياتنا، ويحفظنا ويحبنا كخاصته ، ولا يبدو الأمر بعد مستحيلا علينا أن نسير معه اليوم كله متسربلين بحضوره المحب الذى به يرافق ويستر كل شعبه .

واختبار كهذا يقود الى مدى أبعد . فالحياة والبر متصلان ببعضهما بعرى لا تنفصم ، ويصبح المؤمن أكثر ادراكا من ذى قبل بأن طبيعة بارة ــ أى مستقيمة ــ قد زرعت فيه . فالانسان الجديد المخلوق في المسيح يسوع، قد « خلق في البر وقداسة الحق »، أو « القداسة الحقيقية ». أو كما يعبر يوحنا الرسول : « من يفعل البر فهو بار كما أن ذاك بار ». فالاتحاد بيسوع قد أوجد تغييرا ليس فقط في العلاقة مع الله ، بل أيضا في الحالة الشخصية أمام الله . واذ نحتفظ بشركتنا الوثيقة مع الله والتى فتح الطريق اليها اتحادنا بشخص المسيح ، فان التجديد المستمر الذى يتزايد يوما فيوما ، سوف يجعل من البر الطبيعة الذاتية للكيان بأكمله ، أى أنه يجعل طبيعة الانسان ذاتها بارة .

وبالنسبة للمسيحى الذى بدأ يرى المعنى العميق لهذه الحقيقة وهى أن المسيح « صار لنا برا من الله »، يكاد لا يصبح أمرا ضروريا أن نقول انه « اثبت فيه ». فطالما كان فكره منحصرا فقط في بر البديل ، وانه من أجل ذاك البار قد حسبنا نحن أبرارا بالحق ، فانه لم يكن يرى بوضوح عندئذ الضرورة الحتمية لمعنى « الثبات فيه ». لكن اذ يظهر في المشهد مجد « الرب برنا »، عندئذ يرى أن الثبات فيه شخصيا هو السبيل الوحيد لكى نكون في كل الأوقات ، كاملين ومرضيين أمام الله ، لأن هذا هو الطريق الوحيد الذى فيه يمكن للطبيعة الجديدة والبارة التى حصلنا عليها من الله أن تنال قوة وتتقوى من يسوع رأسنا . فبالنسبة للخاطىء الذى تاب تكون الفكرة الرئيسية عنده هى البر الذى يناله من يسوع الذى مات لأجل خطاياه . أما بالنسبة للمؤمن الواعى والمتقدم في الايمان ، فان يسوع بذاته ، الشخص

الحى المقام ، والذى من خلاله نحصل على البر ، هو الكل في الكل ، ذلك لأن امتلاك يسوع هو بمثابة امتلاك البر أيضا .

أيها المؤمن ، لتثبت في المسيح كمن هو برك . انك تحمل معك حيثما تذهب طبيعة هى طبيعة فاسدة تماما وشريرة ، تسعى على الدوام لتثور وتظلم فيك احساسك بأنك مقبول لدى الآب ، وتقف ضد تطلعك الى شركة لا تنفصم معه . ولا شيء يستطيع أن يجعلك تقيم وتسلك في نور الله ، دون أى ظل لسحابة تعترض طريقك ، الا الثبات الدائم في المسيح كمن هو برك. ان الله قد دعاك لهذا . ليتك تسعى لكى تسلك كما يحق لتلك الدعوة . أخضع ذاتك للروح القدس ليعلن لك النعمة العجيبة التى تسمح لك بالاقتراب الى الله ، متسربلا برداء البر الالهى . اصرف وقتا كافيا لتتحقق أن رداء الملك الشخصي قد لبسته حقيقة ، وانك فيه لست بحاجة أن تخاف الدخول الى حضرته . انه العلامة التى تدل على أنك الرجل الذى يسر الملك بأن يكرمه . اصرف وقتا لتتذكر فيه أن حاجتك لهذا البر فى حضرة الملك وفي قصره ليست أقل من حاجتك اليه في ارساليتك التى يرسلك فيها الملك الى العالم ، حيث تسعى كرسول الملك وممثله الشخصي. ولتحيى حياتك اليومية في ادراك كامل بأنك بار في نظر الله ، وأنك ، فى المسيح ، موضوع رضاه وسروره . وليرتبط كل فكر لديك عن المسيح فى نعمه الأخرى المتنوعة بهذه النعمة ذات الأولوية :« الذى صار لنا برا من الله ». ان هذا الفكر سوف يحفظك في سلام تام . وهكذا سوف تدخل الى راحة الله عينها ، وتقيم هناك . وهكذا سوف يتحول ويتغير انسانك الداخل ليصبح كائنا أو كيانا بارا يفعل البر تلقائيا . وسوف يستعلن فى قلبك وفي حياتك العادية اليومية حقيقة أنك تقيم وتثبت وتسكن في المسيح يسوع ، البار ، وسوف تشاركه مكانته ، وطبيعته ، وسعادته .« أحببت البر وابغضت الاثم ، من أجل ذلك مسحك الله الهك بزيت الابتهاج أكثر من رفقائك »، سوف يصبح نصيبك الفرح والابتهاج فوق كل قياس ، ذلك لأنه فرحه هو الشخصى .

اليوم التاسع

اثبتوا في المسيح

قداستكم

« ومنه أنتم بالمسيح يسوع ، الذى صار لنا حكمة من الله ، وبرا وقداسة وفداء » (١كو ١ : ٣٠).

« بولس ... الى كنيسة الله التى في كورنثوس المقدسين في المسيح يسوع ، المدعوين قديسين » . هكذا يفتتح الفصل الكتابى الذى فيه نتعلم أن المسيح هو قداستنا . في العهد القديم دعى المؤمنون أبرارا ، أما في العهد الجديد فقد دعوا قديسين ، أى أناسا مقدسين ، وقد تقدسوا في المسيح يسوع . والانسان المقدس هو أعلى مرتبة من الشخص البار .

يقول هوراتيوس بونار فى كتابه « طريق الله للقداسة » أنه يمكننا أن نسمى القداسة كمالا روحيا ، كما نسمى البر انجازا شرعيا . فالقداسة فى الله دلالة على حقيقة جوهره ، والبر يشير الى معاملاته مع خلائقه . وبالنسبة للانسان ليس البر الا وسيلة للقداسة ، ففيه – أى فى البر – يمكن أن يقترب أكثر الى الكمال الالهى (قارن مت ٥ : ٤٨ ، مع ١بط ١ : ١٦). فى العهد القديم كان البر موجودا ، فى حين كانت القداسة رمزا وتصويرا فقط . أما فى يسوع المسيح ، القدوس وحده (لو ١ : ٣٥ مع عب ٢ : ١١ و عب ٧ : ٢٦)، وفى شعبه الذين هم قديسوه والمقدسون فيه ، فقد صار الرمز حقيقة لأول مرة .

وكما هو مدون في كلمة الله ، وكذا آية موضوعنا ، كما أيضا في الاختبار الشخصي ، يكون البر مقدمة للقداسة وسابقا عليها . وفي بداية الأمر عندما يكتشف المؤمن المسيح كبره ، يكون هذا الاكتشاف الجديد باعثا على فرح عظيم بهذا المقدار لدرجة أن القداسة تجد بالجهد لها مكانا لديه . ولكنه اذ يأخذ في النمو الروحى ، تبتدىء الرغبة في القداسة تتولد في داخله وتشعره بالحاجة اليها ، ويسعى لكى يعرف ماذا أعده الله لكى يزوده بهذا الاحتياج . ويقوده التعرف السطحى على خطة الله الى الفكر بأنه بينما التبرير هو عمل الله ، بالايمان في المسيح ، فان التقديس هو عمل نقوم به نحن بمساعدة الروح القدس ، وذلك تحت تأثير عرفاننا بالجميل الذى أسداه الله الينا في اختبار الخلاص الذى تمتعنا به . لكن المسيحى الغيور سرعان ما يكتشف قلة جدوى تأثير عرفاننا بالجميل في امكانية تزويدنا بالقوة ، وعندما يراوده

الفكر أنه اذا أكثر من الصلاة فسوف ينال القوة ، اذا به يكتشف ، رغم أهمية الصلاة ولزوميتها ، أنها ليست كافية ولا تفى بالغرض . وغالبا فان المؤمن يصارع لسنوات عديدة دون بارقة أمل ، الى أن ينصت السمع الى تعليم الروح القدس ، عندما يمجد المسيح في حياتنا من جديد ، ويعلنه لنا كمن هو قداستنا ، ويخصصه لنا عن طريق الايمان وحده .

لقد صار المسيح لنا من الله « قداسة ». فالقداسة هى ذات طبيعة الله . وذلك الشخص الذى يمتلكه الله ، ومن ثم يمتلىء من شخصه ، هو فقط الشخص المقدس . ان اجابة الله على السؤال الذى يقول كيف يمكن للانسان الخاطىء أن يصير مقدسا ؟ هو :« في المسيح ، قدوس الله ». ففيه اعلنت قداسة الله متجسدة ، وأصبحت في متناول الانسان . « لأجلهم أقدس أنا ذاتى ، ليكونوا هم أيضا مقدسين في الحق ». ولا يوجد طريق آخر لكى نصبح قديسين سوى أن نصبح شركاء قداسة المسيح . وليس من سبيل لتحقيق هذا الغرض الا عن طريق اتحادنا الشخصى معه ، حتى تسرى حياته المقدسة فينا من خلال روحه القدوس . « ومنه أنتم بالمسيح ... الذى صار لنا من الله ... قداسة ». وثباتنا بالايمان في المسيح الذى هو قداستنا هو ببساطة سر الحياة المقدسة . وعلى قدر ثباتنا فيه ينمو مقياس القداسة فينا . واذ تتعلم النفس أن تثبت بالكامل في المسيح يتحقق لها اتمام الوعد: « واله السلام نفسه يقدسكم بالتمام ».

ولكى نوضح العلاقة بين درجة الثبات في المسيح ومدى القداسة التى نختبرها في المقابل ، دعونا نتأمل في موضوع تطعيم الشجر ، هذا المثال التعليمى لاتحادنا بيسوع . وهذا التوضيح توحى به كلمات المخلص :«اجعلوا الشجرة جيدة وثمرها جيدا ». فبامكانى أن أقوم بتطعيم شجرة بكيفية تجعل غصنا واحدا فقط هو الذى يحمل ثمرا جيدا ، بينما يبقى الكثير من الأغصان الطبيعية الأخرى على حالها ، وتحمل ثمرها العتيق ــ وهذا مثال للمؤمن الذى لم يتقدس فيه سوى القليل من حياته ، والذى بسبب الجهل وغيره من الأسباب ، لا تزال الحياة الجسدية لها السيادة الكاملة عليه في نواح كثيرة . وفي امكانى أيضا أن أقوم بعملية التطعيم هذه فأقطع كل غصن قديم ، ويتم تجديد الشجرة بكاملها لتحمل ثمرا جيدا . ومع ذلك ، فما لم أضع في الاعتبار استعداد جذع الشجرة لينبت فروخا من النوع القديم ، فان هذه من الممكن أن تنبت من جديد وتقوى ، واذ تسلب الغرس الجديد من القوة التى يحتاجها هو للنمو يصبح نموه بالتالى ضعيفا . وهذا يمثل المؤمنين من أولاد الله ، الذين وان كانت قد تغيرت حياتهم بقوة على ما يبدو ، وقد تركوا كل شيء ليتبعوا المسيح ، اذا بهم بعد فترة من الوقت ، وبسبب

عدم السهر ،يسمحون للعادات القديمة أن تستعيد قوتها ، وتكون حياتهم المسيحية وثمر ايمانهم ضعيفا ليس الا . أما اذا كنت حقيقة أريد أن تكون الشجرة جيدة بكاملها فانى أتعامل مع الشجرة وهى لا تزال صغيرة ، وبعد أن أقطع الجذع بشكل خال تماما من العقد التى فوق سطح الأرض ، أقوم بعملية التطعيم في المكان الذى تبرز فيه من سطح التربة بالضبط وأقوم بملاحظة أى برعم قد تفرخه الطبيعة القديمة ، حتى يتم تماما انسياب العصارة من الجذور القديمة في الساق الجديدة ، وبهذا تكون الحياة القديمة كما كانت في الجذور ، قد تم السيطرة عليها بالتمام وغلفتها عصارة الحياة الجديدة . وهنا يصبح لدى شجرة جديدة قد تم تجديد عصارتها من كل وجه ــ وهذا شعار المسيحى الذى تعلم في تكريس كامل أن يسلم الكل لشخص المسيح ، وأن يثبت كلية وبايمان قلبى كامل في شخصه المبارك .

ولو أننا تخيلنا في هذه الحالة الأخيرة أن الشجرة العتيقة كانت كائنا عاقلا بامكانه أن يتعاون مع البستانى ، فماذا يمكن أن يكون حديث البستانى الذى يوجهه اليها ؟ الا يكون هذا الحديث على هذا النحو :« والآن اخضعى نفسك تماما لهذه الطبيعة الجديدة التى كسوتك بها . اقمعى كل رغبة وميل للطبيعة العتيقة في أن تفرخ أو تنبت ، ودعى كل عصارتك وكل ما لك من قوى حيوية لتصعد وترتفع الى تلك الشجرة الجميلة التى قمت بتطعيمها فيك ، وهكذا سوف تثمرين ثمرا حلوا وكثيرا »، ونتخيل ان يكون حديث الشجرة للبستانى على هذا النحو :« عندما تقوم بتطعيمى ،من فضلك لا تبق ولا على غصن واحد من أغصانى القديمة ، ليتك تزيل وتمحو كل شيء يمت للطبيعة العتيقة ، حتى يمكننى فيما بعد أن أحيا لا حياتى الطبيعية ، بل تلك الحياة التى قطعت وأحضرت وطعمت في وأنا فيها ، حتى بذلك أستطيع أن أكون جديدة وجيدة بالتمام ». ولو أنك ، مرة أخرى ، أمكنك أن تسأل بعد ذلك الشجرة التى تجددت ، وقد أصبحت الآن تحمل الثمر الوفير ، ماذا يمكن أن تقول عن نفسها ، لكانت اجابتها هكذا :« انه في ، أى في جذورى ، لا يسكن ولا يوجد شيء صالح . فأنا أميل دائما الى الشر ، والعصارة التى أجمعها من التربة هى بطبيعتها فاسدة ، وعلى استعداد أن تظهر طبيعتها في الثمار الرديئة التى تخرج منها . لكن حالما ترتفع هذه العصارة لتواجه ضوء الشمس لتنضج وتصير ثمرا ، اذ بالبستانى الحكيم قد جهز لى حياة جديدة كسانى بها وسربلنى من كل ناحية ، وهناك تتنقى عصارتى القديمة من كل ما فيها من فساد ، وتتجدد كل قواى لتنتج وتظهر الثمر الجيد . ليس على الا أن اثبت فقط في ذلك الذى نلته وقبلته . وهو ــ أى البستانى ــ حريص على أن يقمع فورا ويستأصل كل برعم لا تزال الطبيعة العتيقة قادرة على اظهاره ».

أيها المسيحى ، لا تخش أن تطالب بمواعيد الله لتقديسك . لا تلق بالا الى ما يقال بخصوص فساد الطبيعة العتيقة فيك مما يجعل من القداسة أمرا مستحيلا . نعم ، ففى جسدك لا يسكن شيء صالح . وهذا الجسد، رغم أنه قد صلب مع المسيح ، الا أنه لم يمت بعد، بل سوف يسعى باستمرار ليثور ويسوقك لفعل الشر . لكن لتعلم أن الله الآب هو الكرام . لقد طعمك في المسيح وأصبحت حياة المسيح فيك . وهذه الحياة المقدسة أقوى من حياة الشر فيك . وبمعونة الكرام السماوى وتحت رعايته الساهرة فان تلك الحياة الجديدة تستطيع أن تكبح جماح الأعمال الشريرة التى تحاول أن تظهر من خلال طبيعتك الشريرة التى فيك . نعم ، فالطبيعة الشريرة لا تزال هناك ، بميولها التى لا تتغير ، وعلى استعداد أن تثور وتكشف عن أنيابها . لكن الطبيعة الجديدة هناك أيضا ـ المسيح الحى الذى هو قداستك ، موجود هناك ـ وفيه يمكن لكل القوى الطبيعية التى فيك أن تتقدس عند قيامها لتعمل في حياتك ، وهكذا تصبح بعمل نعمة الله قادرة على أن تحمل الثمار الجيدة لمجد الله الآب .

والان ، ان أردت أن تحيا حياة مقدسة ، فاثبت في المسيح الذى هو قداستك . تطلع اليه فهو قدوس الله ، الذى صار انسانا حتى يمكنه أن يوصل اليك قداسة الله . لتكن لك الأذن المصغية لتعليم الكتاب بأنه يوجد في داخلك طبيعة جديدة ، انسان جديد ، مخلوق في المسيح يسوع في البر وقداسة الحق أو القداسة الحقيقية . ولتتذكر أن هذه الطبيعة المقدسة التى فيك قد تجهزت بشكل فريد لتحيا حياة مقدسة، وتقوم بكل الواجبات المقدسة ، تماما مثلما كانت الطبيعة الفاسدة مهيأة لعمل الشر . افهم بأن هذه الطبيعة المقدسة التى فيك لها أصلها وحياتها في المسيح في السماء ، وأنه بامكانها أن تنمو وتتقوى فقط اذا استمرت الصلة بينها وبين مصدرها متصلة دون انقطاع . وفوق كل شيء ، ليكن لك الايمان بأكثر يقين بأن يسوع المسيح نفسه يسر بأن يحفظ هذه الطبيعة الجديدة في داخلك ، مانحا اياها قوته وحكمته لتؤدى عملها . دع هذا الايمان يقودك يوما فيوما لاخضاع كل اعتداد بالنفس ، ولتعترف بأن كل ما هو في داخلك بالطبيعة انما هو فاسد تماما فسادا مطلقا . وليملأك هذا الايمان بالثقة الكاملة والأكيدة بأنك بالحقيقة قادر أن تفعل ما يتوقعه الآب منك كواحد من أولاده ، في عهد نعمته ، لأنك تملك المسيح الذى يمنحك القوة لذلك . وليجعلك هذا الايمان تتعلم أن تضع ذاتك وخدمتك على المذبح كذبيحة روحية ، مقدسة ومقبولة في عينيه ، نسيم رائحة طيبة . ولا تتطلع الى حياة القداسة كما لو كانت شيئا يتطلب التوتر والاجهاد ، لكن بالأحرى كامتداد طبيعى لحياة المسيح

فيك . وليعمر قلبك ، مجددا وعلى الدوام ، ايمان وطيد ، مملوء بالرجاء، والبهجة ، له اليقين تماما بأن كل ما تحتاجه للحياة المقدسة سيعطى لك بكل تأكيد من ذلك الينبوع الذى لا ينضب فينا ، أى يسوع الذى صار لنا قداسة من الله . وهكذا يصبح في امكانك أن تفهم بل وتبرهن على معنى الثبات في المسيح الذى هو قداستنا .

حـــاشية

في المؤلف القيم الذى لا يقدر بثمن ، والذى أصدره «مارشال» تحت اسم « سر الانجيل للحياة المقدسة »، يتبنى المؤلف فكرة جديدة مفادها أن القداسة الذاتية التى لربنا يسوع المسيح قد شملت في تكوينها الطبيعة المقدسة الجديدة ، والتى يمكننا عن طريق الايمان بشخصه المبارك أن نخصصها لأنفسنا ، اذ قد صار المسيح لنا قداسة من الله ، فيقول المؤلف: « ان أحد أسرار الانجيل العظيمة هو أن الشكل المقدس والطبع الذى تتطبع به نفوسنا فتصبح بذلك قادرة على الطاعة الفورية لوصايا الناموس ، لابد وأن نحصل عليهما بأن نقبلهما من ملء المسيح كشيء مجهز فعلا ومعد لنا في المسيح ، ومذخر لنا فيه . ولأننا قد تبررنا بالبر المصنوع لنا في المسيح، وقد حسب لنا هذا البر ، كذلك نحن نتقدس لمثل هذا الشكل المقدس والصلاحية أو الأهلية لحياة القداسة كشيء قد صنع أولا في المسيح وأكمل لأجلنا ، ومن ثم أعطى لنا بعد ذلك . وكما أن ما فينا من فساد طبيعى قد وجد أصلا في آدم الأول ، ومن ثم انتقل منه الينا ، هكذا أيضا طبيعتنا الجديدة والقداسة الملازمة لها قد صنعت أولا في المسيح ، ثم وصلت منه الينا ، أو بعبارة اخرى ، انتقلت أو تولدت فينا . حتى أننا لسنا مكلفين على الاطلاق أن نعمل مع المسيح في صنع أو انتاج هذا المزج المقدس في داخلنا، لكننا فقط نأخذه لأنفسنا ، ونستخدمه في قداسة عملية يومية ، كشيء قد تجهز وأعد سلفا لهذا الغرض . وهكذا تكون لنا شركة مع المسيح ، بنوالنا تلك الطبيعة الروحية المقدسة المعدة لنا فيه خصيصا . ذلك أن الشركة هى أن يتقاسم شخصان أو عدة أشخاص أشياء مشتركة بينهم . وهذا السر عظيم جدا لدرجة أنه، رغم كل النور الذى في الانجيل، فنحن عادة نفكر أننا يجب أن نحصل على طبيعة مقدسة بأن نقوم بصنعها من جديد في دواخلنا ، وأن نجد في طلبها ونسعى في تكوينها بمجهوداتنا الذاتية »). (الفصل الثالث من المؤلف السالف الذكر).

اليوم العاشر

اثبتوا فى المسيح

فدائكم

« ومنه أنتم بالمسيح يسوع ، الذى صار لنا حكمة من الله ، وبرا وقداسة وفداء » (١كو ١ : ٣٠).

هنا نصل الى رأس السلم ، الموصل الى السماء ـ الغاية المباركة التى يقودنا اليها المسيح والحياة فيه . ان كلمة فداء ، رغم أنها أحيانا تطبق على معنى الخلاص من الخطية ، تشير هنا الى تحريرنا التام والنهائى من كل تبعاتها ونتائجها ، عندما يستعلن عمل الفادى استعلانا تاما ، متضمنا فداء الأجساد نفسها (قارن رومية ٨ : ٢١ـ٢٣ ، أف ١ : ١٤ ، ٤ : ٣٠) . ان هذا العدد من كلمة الله يقودنا الى المجد الأسنى الذى هو موضوع رجائنا في المستقبل ، وبالتالى فانه يصل بنا الى أعظم بركة من واجبنا أن نتمتع بها في المسيح في الوقت الحاضر . لقد رأينا كيف أن المسيح ، كنبى ، هو حكمتنا ، معلنا لنا الله ومحبته ، وما أعدته محبته لنا من خلاص عظيم هذا مقداره . ورأينا في المسيح ، ككاهن ، أنه هو برنا ، وقد ردنا الى العلاقة الصحيحة مع الله ، وضمن لنا احسان الله لنفوسنا وصداقته لنا . وكالملك ، فالمسيح هو قداستنا ، مشكلا ايانا ومرشدا لنا الى الطاعة لارادة الله الآب المقدسة . ولأن هذه الوظائف الثلاث المذكورة تحقق قصد الله الواحد ، فانه بذلك تكون الغاية العظمى قد تحققت ، الا وهى العتق التام من الخطية ومن كل آثارها ، وبهذا تستعيد البشرية المفتداة كل ما كانت قد فقدته أبدا .

المسيح صار لنا من الله فداء . ان الكلمة تدعونا أن نتأمل في يسوع . ليس فقط كمن عاش على الأرض ، معلما ايانا بالقول والفعل ، وكمن مات لكى يصالحنا مع الله ، بل أيضا كمن قام وعاش ليسود على الأحياء والأموات ، ليتسلم التاج ، وهو الآن جالس عن يمين العظمة في الأعالى ، ليستعيد المجد الذى كان له مع الآب قبل تأسيس العالم ، ويحفظ هذا المجد لحسابنا هناك . وهذا يتضمن أن الطبيعة البشرية التى لبسها السيد ، أى جسده الانسانى الذى قد تحرر من كل تبعات الخطية التى كان معرضا لها مرة حينما كان بالجسد على أرضنا ، قد صار الآن

مسموحا له ، كالانسان ، أن يشارك في المجد الالهى . وهو ، كابن الانسان، الجالس الآن على العرش وفي حضن الآب ، قد أصبح الآن حرا تماما والى الأبد من كل ما كان مضطرا أن يكابده بسبب الخطية .

لقد أصبح الفداء الكامل متضمنا في شخص المسيح الكريم كابن الانسان الذى صار له حق الدخول الى المجد والجلوس في حضن الآب. نعم ، لقد صار لنا المسيح فداء من الله .

ونحن فيه نتمتع بهذا الفداء الكامل . وكلما ثبتنا فيه عن وعى وادراك أكثر وبايمان أعظم بأنه هو فداؤنا ، أتاح ذلك لنا أن نختبر ، حتى ونحن هنا على الأرض « قوات الدهر الآتى ». وكلما أصبحت شركتنا معه أكثر ألفة وعمقا ، وسمحنا للروح القدس أن يعلنه لنا في مجده السماوى، تحققنا أكثر نوعية الحياة التى فينا أنها حياة ذلك الجالس على عرش السماء ، ونحس بقوة حياة لا تزول عاملة فينا ، ونتذوق طعم الحياة الأبدية ، ويصبح لدينا وفي داخلنا عربون المجد الأبدى .

ان البركات التى تنبع من ثباتنا في المسيح الذى هو فداؤنا هى بركات عظيمة . فالنفس تتحرر من كل خوف تجاه الموت ، لأن الرب يسوع قد انتصر على الموت ، وقد دخل بجسده الانسانى الى المجد . والمؤمن الذى يثبت في المسيح الذى صار لنا من الله فداء ، يدرك حتى في الوقت الحاضر أن له النصرة الروحية على الموت . فالموت بالنسبة له هو ذلك الخادم الذى يزيل الخرق البالية المتبقية المكونة للطبيعة العتيقة الجسدية ، قبل أن يسربل بجسد المجد الجديد . ان الموت يحمل الجسد الى القبر ، ليرقد هناك كالبذرة ريثما يقوم الجسد الجديد الذى هو الرفيق المؤهل بالنعمة لصاحبة الروح الممجدة .

ان التعليم الخاص بقيامة الأجساد لن يصبح بعد تعليما جامدا ، لكنه بالحرى انتظار حى ، بل هو في الواقع اختبار فريد ، ذلك أن روح الذى أقام يسوع من الأموات يسكن في أجسادنا نحن المؤمنين كعربون وكضمان بأنه حتى أجسادنا المائتة سوف تحيا (رو ٨:١١–٢٣). وايماننا هذا يظهر تأثيره القدس عندما نخضع – بمحض ارادتنا واختيارنا – أعضاء أجسادنا ، الخاطئة بطبيعتها ، للاماتة ونجعلها ترضخ بالتمام لسلطان الروح القدس ، وذلك كاعداد مسبق لذلك الوقت الذى فيه يتغير هذا الجسد الفانى ليكون على صورة جسد مجده .

ان فداء المسيح الكامل هذا اذ يمتد ليشمل الجسد الترابى ، انما يحمل معنى عميقا لا يمكننا سبر غوره . وعندما قيل عن الانسان انه خلق

على صورة الله كشبهه ، كان هذا القول الكريم يتعلق بالانسان ككل ، نفسا وروحا وجسدا . ففى حالة الملائكة ، صنعهم الله أرواحا بدون أجساد مادية. وعندما خلق الله العالم ، خلقه ـ تبارك اسمه ـ مادة بدون روح . أما في حالة الانسان فقد قصد الله أن يجعل منه النموذج الأسمى للفن الالهى ، حيث مزج الله في كائن واحد بين المادة والروح في انسجام كامل وذلك كأنموذج ومثال لاتحاد في غاية الكمال بين الله وخليقته التى خلقها لذاته . ثم دخلت الخطية الى المشهد ، وظهر كما لو كانت الخطة الالهية قد أحبطت ، ذلك أن الطبيعة المادية في الانسان قد صار لها اليد العليا والسيادة بشكل مرعب على الطبيعة الروحية فيه . لذا فقد صار الكلمة جسدا ، وحل الملء الالهى كله متجسدا في بشرية المسيح ، وذلك حتى يمكن للفداء أن يكون كاملا وتاما ، وحتى يمكن للخليقة بأكملها ، التى تئن وتتمخض معا الى الآن ، أن تعتق من عبودية الفساد الى حرية مجد أولاد الله . ولن يتم قصد الله ، ولن يستعلن مجد المسيح في كماله ، حتى يتم تغيير الجسد ، مع كل تلك الطبيعة المادية التى هو جزء منها كما هو أيضا رأسها ، بفعل وقوة الحياة الروحية ، ويصير ذلك الجسد الممجد هو السبيل لاعلان مجد الله الروح غير المحدود . عندئذ فقط سوف يمكننا أن نفهم القول :« المسيح يسوع صار لنا فداء (كاملا) ».

وخلال فترة الانتظار هذه فقد علمتنا كلمة الله أن نؤمن بأن «المسيح قد صار لنا فداء من الله ». ولم يقصد الكتاب أن يكون هذا القول بمثابة اعلان قد ترك للمستقبل ، ذلك لأنه لكى تصير حياتنا المسيحية كاملة النمو، علينا أن نسعى ونحن ثابتون في المسيح في الوقت الحاضر لكى ندخل الى هذا الحق المعلن ونمتلكه . وهذا نفعله عندما نتعلم أن ننتصر على الموت . ونفعله أيضا عندما ننظر الى المسيح كمن هو الرب والمالك لجسدنا هذا ومن حقه علينا أن نكرسه له بجملته وبالتمام ، وبهذا نضمن حتى ونحن هنا على الأرض ، وعن طريق الايمان الذى من حقه أن يطلب ويطالب (مر ١٦: ١٧و ١٨) بأن لنا الغلبة على ما للخطية من سيادة مريعة على أجسادنا . ونحن نفعل هذا أيضا عندما ننظر الى كل الخليقة باعتبارها جزءا من ملكوت المسيح ، قد تعينت ، ولو عن طريق معمودية النار ، لتكون شريكة في فدائه.

ونحن نفعل هذا عندما نسمح لقوات الدهر الآتى أن تملك علينا كياننا ، وترفعنا الى الحياة في السماويات ، وتنشيء اتساعا في قلوبنا وأذهاننا ، لكى ننتظر ونتوقع ، حتى ونحن هنا على الأرض ، تلك الأشياء التى لم تخطر أبدا على قلب بشر أن يفكر فيها .

أيها المؤمن ، اثبت في المسيح فانه فداؤك . ليكن هذا بمثابة التاج

الذى يتوج حياتك المسيحية . ليتك تسعى نحو هـذا الأمر دون أن تفصل علاقة الفداء عن غيرها من العلاقات الأخرى التى تعرف أنها تربطك بالمسيح . بل ليكن سعيك على أساس أن تلك العلاقات قد قصد بها فعلا توجيهك نحو علاقة الفداء . أثبت في المسيح الذى هو فداؤك . ولن يوجد ما يجعلك أهلا لهذا سوى أمانتك في الخطوات السابقة التى أشرنا اليها في الحياة المسيحية .

اثبت فيه كمن هو حكمتك ، انه الاعلان الكامل عن الله في شخصه وما يملك لأجلك . لتتبع تعاليمه بكل اتضاع وخضوع ، في نظام حياتك اليومية في السر وفي العلن ، وسـوف تحسب مستحقـا أن تعلن لك أسرار هى ــ بالنسبة للأكثرية من المؤمنين ــ كتاب مختوم . ان الحكمة سوف تقـودك الى معرفة أسرار وخفايا الفداء الكامل . اثبت فيه كمن هو برك ، وادخل ــ متسربلا بثوب بره الثمين ــ الى المقادس الداخلية حيث رضا الآب السماوى ومحضره ، فبر المسيح وحده يجعل لك قبولا لدى الآب وبلوغا الى محبته ورضاه . واذ يفيض قلبك حبورا لأن السيد قد صالحك مع الآب ، عندئذ سوف تفهم كيف ان هذا الأمر ــ أى المصالحة ــ يتضمن كل الأشياء التى خلقها الله ، وكيف أن كل خليقة الله جميعا تنتظـر أيضا وتتوقع الفـداء الكامل . ذلك « لأنه فيه سر ان يحل كل الملء . وأن يصالح (الآب) به الكل لنفسه عاملا الصلح بدم صليبه بواسطته سواء كان ما في الأرض أم ما فى السموات » (كو ١:١٩و٢٠) . اثبت في المسيح كمن هو قداستك . انك اذ تختبر قوته في تقديسك بالكامل ، روحا ونفسا وجسدا ، فان هذا سوف ينعش ايمانك في التطلع الى قداسة لن تتوقف في عملها حتى تصبح أجراس الخيل وكل الآنية في أورشليم قدسا للرب . اثبت فيه كمن هـو فداؤك ، ولتحيى وأنت هنا على الأرض كالوارث لأمجاد السماء العتيدة . واذ تسعى لتختبر في ذاتك قوة نعمته المخلصة الى التمام فسوف يتسع قلبك لتدرك المقام الذى قد سبق ان تعين للانسان ليشغله في الكون ، كمن أخضعت له كل الأشياء ، وعنـدئذ سوف تؤهلك نعمته لتحيا جـديرا بتلك الدعـوة السماوية العليا .

اليوم الحادى عشر

اثبتـوا فى المسيح المصـــلوب

«مع المسيح صلبت فأحيـا ، لا أنا ، بل المسيح يحيا في» (غـلا ٢٠:٢).

«... قد صرنا متحدين معه بشبه موته» (رو٦:٥)

« مع المسيح صلبت » . هكذا يعبر الرسول عن يقينه بأن له شركة مع المسيح في آلامه وموته ، مع مشاركته الكاملة في كل ما يتضمنه هذا الموت من قوة وبركة . وكان بولس يعني حقا ما يقول ويعلم أنه الآن ميت بالفعل ، حتى أنه يضيف قائلا : « فأحيا لا أنا ، بل المسيح يحيا في » . ولابد أن اختبارا مثل هذا الاتحاد مع الرب يسوع هو اختبار مبارك ! ذلك بأننى أنظر الى موت المسيح كأنه موتى أنا ، تماما كما أن موته على الصليب بالفعل ، وطاعته الكاملة لله ، ونصرته على الخطية ، وتحرره الكامل من سلطانها ، اراها كلها انها لى أنا ، عالما أن قوة ذلك الموت تعمل بالايمان عملها اليومى في ، بقوة الله في اماتة الجسد ، وتجـديد الحياة بجملتها لتتطابق تماما مـع حياة يسوع المقام ! ان الثبات فى يسوع المصلوب هو سر النمو في تلك الحياة الجديدة والتى هى على الدوام وليدة موت الطبيعة العتيقة .

دعونا نحاول أن نفهم هذا الأمر . ان التعبير الكتابى « متحدين معه بشبه موته » هو تعبير موج يهدف الى شيء ، فهو يعلمنا معنى الثبات فى المسيح المصلوب . عندما يقـوم البستاني بتطعيم غرس في الجـذع الذى سينمو عليه نعلم أنه من الضرورى أن يبقى هذا الغرس ثابتا ، ويجب أن يستقر ويثبت في المكان الذى قطع أو جرح فيه الجذع ، حتى يتيح الجذع للغرس فتحة أو ثغرة يقبله فيها حيث يستقر لينمـو . ولن يكون هنـاك امكانية تطعيم نبات في آخر دون احداث جرح ، وبمعنى آخر لا تطعيم بدون جرح ــ حيث يتم تعرية وفتح وكشف الحياة الداخلية للشجرة ليمكنها أن تستقبل الغصن الغريب . انه فقط من خلال احداث جرح كهذا تحـدث المشاركة في عصارة الجذع المراد التطعيم فيه ومن ثم التمتع بمـا فيه من حياة ونمو . وهكذا الحال مـع يسوع والخاطىء ، لأنه فقط عنـدما نكون متحدين معه بشبه موته ، عندئذ سوف نكون أيضا مشابهين له في قيامته ، شركاء في الحياة والقوة اللتين فيه . فلقد جرح المسيح بموته على الصليب ،

وفي جروحه المفتوحة قد أعد المكان الذى يمكننا أن نطعم فيه . وكما أن كل المطلوب من الغرس الذى قد تطعم في الشجرة القوية أن يثبت في مكانه ، أى في الجرح الذى تم احداثه في الجـذع لكى تحمله الشجرة ، كـذلك فان رسالة الله للمؤمن بالمسيح هى :« اثبت في جروح يسوع ، هذا هـو المكان الذى تتحد به فيه ، فتحيا ، وتنمو . هناك سوف ترى قلبه المفتوح يرحب بك ، وجسده الطاهر وقد تمزق ليفتح لك الطريق حتى يمكنك أن تصبح واحدا معه ، ويصير في متناول يدك كـل البركات التى تفيض من طبيعته الالهيـة » .

لقد لاحظت أيضا كيف أن الغرس الذى صار تطعيمه في الشجـرة الجديدة كان لابد أن ينتزع أو يبتر من الشجرة التى كان فيها بالطبيعة ، وكان لابد أن يقطع أيضا بالشكل الذى يلائم المكان المعد له في الجذع المجروح. وهكذا الحال مـع المؤمن ، اذ يجب أن يجعـل ليكون مطابقا وملائما لمـوت المسيح ـ فيصلب معه ويموت معه . ذلك أن الجـذع المجروح والغـرس المقطوع كليهما ذو جرح وقطع ليلائم أحدهما الآخر ، كل منهما على شبه الآخر . هناك شركة تربط بين آلام المسيح وآلامك ، ومـا اختبره المسيح يجب أن يصبح أيضا اختبارك ، والموقف الذى أعلنه المسيح بجلاء في اختيار وحمل الصليب يجب أن يكون ذات مـوقفك . وسوف يكون لزامـا عليك (نظير سيدك) أن تصادق تماما على حكم الله القدوس والعادل ضد الخطية بأنها شيء ملعون منه . ونظير المسيح أيضا ، سيكون من الضرورى بالنسبة لك أن تقبل بأن تخضع حياتك المثقلة بالخطية واللعنة ، لعمل الموت ، ومن خلال الموت تعبر الى الحياة الجديدة . وسوف تختبر كسيدك أنه خـلال التضحية بالذات في جسثيمانى والجلجثة يمكنك أن تجد فحسب الطريق الي الفرح وحمل الثمر وهما من سمات حياة القيامة . وكلما كانت المشابهة واضحة بين الجذع المجروح والغرس المقطوع ، كان التطابق تاما بين جروح كل منهما ليلتئم الواحد في الآخر ، وأصبح الاتحاد بينهما أكثر قابلية ويسرا وصار النمو أكثر كمالا .

نعم ، انه في يسوع المصلوب يتـوجب على أن أثبت . ومن الضرورى أن أتعلم النظر الى الصليب ليس فقط باعتباره وسيلة التكفير عن الخطايا لله ، ولكن أيضا باعتباره وسيلة النصرة على الشيطان ـ كما أن الصليب ليس هو العتق من الذنب فحسب ، لكنه أيضا التحرر من سلطان الخطية. ينبغى أن أتفرس في المسيح على الصليب على أنه لى بالتمام ، مقدما ذاته ليقبلنى معه في شركة أوثق ووحدة أكمل ، ويجعـل منى شريكا في النصرة التامة على الخطية كثمرة لموته على الصليب ، كما وأيضا في حياة القيامة أى حياة القوة الكاملة والتى لم يكن موته الا تمهيدا لهـا . يتوجب على أن

اخضع نفسي له في تسليم كامل دون قيد أو شرط ، مكثرا في الصلاة تحدوني الرغبة الحارة ، متضرعا اليه أن يقبلني في الشركة الأكثر قربا ومشابهة لموته، وشركة الروح القدس التي فيها قدم ذاته ومات ذلك الموت العجيب .

دعني أحاول فهم لماذا كان الصليب هو المكان الذي يتم فيه الاتحاد بيني وبين شخص الفادي المصلوب . نعم ، على الصليب يدخل ابن الله الى الاتحاد الكامل بل الى أكمل اتحاد مع الانسان — انه يدخل الى أعمق وأكمل اختبار في صيرورته ابن الانسان ، واحدا من جنس البشر الذين أغلق عليهم تحت الخطية واللعنة . نعم ، انه في الموت أو بالموت قد هزم رئيس الحياة ذاك الذي له سلطان الموت أي ابليس ، وهزم أيضا قوة الموت ذاته ، وفي الموت وحده يستطيع أن يجعلني شريكا في ذلك الانتصار . ان الحياة التي يعطيها هي حياة من الأموات ، وكل اختبار جديد لقـوة تلك الحياة يتـوقف على شركة الموت . فالموت والحياة متلازمان لا ينفصلان . ان النعمة التي يمنحها يسوع المخلص انما تأتي عن طريق الشركة مع يسوع المصلوب فحسب . ان المسيح يسوع قد جاء وأخذ مكاني ، وأنا يجب على أن أضع نفسي في مكانه، واثبت هناك ، ولا يوجد سوى مكان واحد فقط يعتبر مكانه ومكاني معا — ذلك المكان هو الصليب . انه المكان الذي ارتضاه السيد بمحض اختياره ، وهو مكاني أنا بسبب لعنة الخطية . لقد ذهب السيد الى هناك لكي يبحث عني ، وهناك — وليس في أي مكان آخر — أستطيع أن أجده . وقد قبل أن يتلاقى معي هناك في الصليب ، مكان اللعنة وقد حمل له المجـد لعنتي لأنه مكتوب « ملعون كل من علق على خشبة » . ومن ثم جعـل الصليب مكان البركة ، وهذا ما اختبرته أنا ، لأن « المسيح افتدانا من لعنة النامـوس ، اذ صار لعنة لأجلنا » . وعندما يأتي المسيح ويأخذ مكاني يبقى كما هو فى شخصه ، محبوب الآب ، لكن في شركته معي فهو انما يشاركني لعنتي ويموت ميتتي . وعندما أقف في المكان الذي وقف فيه هو نيابة عني ، فانني أظل على طبيعتي الساقطة ، انسانا ملعونا ، مستوجب الموت ، لكنني اذ أتحد به فانني أشترك في بركته ، وأنال نصيبي في حياته . أتى المسيح ليكون واحدا معي لذلك لم يكن ممكنا بالنسبة له أن يتجنب الصليب ، ذلك أن اللعنة تشير دائما الى الصليب باعتباره مكانها والنهـاية التي تصل بنا اليه . وعندمـا اسعى لأكون واحدا معه ، لا يمكنني بدوري أن أتجنب الصليب ، لأنه لا يوجد مكان آخر سوى الصليب حيث أجد الحياة والعتق . وكما أن لعنتي قادته الى الصليب كأمر لا مفر منه باعتباره المكان الوحيد الذي يمكنه فيه أن يتحد بي تماما ، كذلك فان بركته توجهني الى الصليب كالمكان الوحيـد حيث أستطيع أن أتحد به وأتمتع ببركته . لقد قبل صليبي أنا على أنه صليبه ، ويجب على أنا أن أحمل صليبه لأنه صليبي . يجب أنني أصلب معه . واذ

أثبت كل يوم بقوة في يسوع المصلوب ، عندئذاك سأتذوق حلاوة محبته ، وقوة حياته ، وكمال الخلاص الذى قدمه على الصليب .

أيها المؤمن المحبوب ! انه لسر عميق ، سر الصليب هذا . اننى اخشي أن هناك الكثيرين من أولاد الله الذين يقتنعون بالنظر الى الصليب ، والمسيح معلق عليه كفارة عن خطاياهم ، ثم لا يملكون الا القليل من العواطف للشركة مع المسيح المصلوب . وهم بالجهد يدركون أنه انما يدعوهم اليه . انهم قانعون بأن يحسبوا مشقات الحياة العادية ، والتى لدى أهل العالم الكثير منها نظيرهم ، بأنها هى نصيبهم في صليب المسيح . انهم لا يملكون أدنى فكرة عن معنى الصلب مع المسيح ، وبأن حمل الصليب معناه أن نشابه المسيح في المبادىء التى دفعته في طريق الطاعة وحمل الصليب . لقد كان من بين هذه المبادىء نبذ الارادة الشخصية نبذا كاملا ، والتنكر بالكامل للجسد وكل رغباته وملذاته ، والانفصال الكامل عن العالم في كل طرق تفكيره وسلوكه، أن يخسر الانسان حياته ويبغضها لأجل الانجيل ، وان يبذل الانسان نفسه ويعطى كل اهتماماته لأجل الآخرين ــ مثل هذا الموقف هو الذى يميز من يحمل الصليب وراء المسيح ، والذى ينشد القول :« مع المسيح صلبت »، راغبا أن يثبت بحق في المسيح المصلوب .

هل ــ بكل الاخلاص والصدق ــ ترضي سيدك وربك ، وتحيا في شركة وثيقة معه على قدر النعمة التى تفيض من شخصه والتى غايتها أن تحفظك في دائرة الشركة ؟. آه ، ليتك تصلى حتى يقودك روحه القدوس الى هذه الحقيقة المباركة : أن سر الرب هذا انما يعطى للذين يخافونه . لعلنا نلاحظ كيف أن بطرس قد عرف المسيح واعترف بأنه ابن الله الحى في الوقت الذى كان لا يزال الصليب عثرة لليهود (راجع مت ١٦:١٦و١٧و٢١و٢٣). ان الايمان الذى يثق في الدم الذى يغفر ، والحياة التى تجدد ، يستطيع أن يصل الى النمو الكامل عندما يمكث عند الصليب فحسب ، ويسعى ــ في شركة حية مع الفادى المبارك ــ لكى يبلغ الى التطابق الكامل مع يسوع المصلوب .

يا يسوع ، يا فادينا المصلوب ، علمنا ليس فقط أن نؤمن بك ، بل أن نثبت فيك ، وأن نأخذ صليبك ليس فقط كالأساس لغفران خطايانا ، بل أيضا كالقانون والناموس الذى تسير حياتنا على هديه . آه ، علمنا أن نحب الصليب ليس فقط لأنك عليه قد حملت لعنتنا ، بل لأن فيه ندخل الى عمق الشركة مع شخصك ، ونصلب معك . وعلمنا أيضا ، أننا اذ نخضع ذواتنا بالكامل ليمتلكنا روحك القدوس الذى فيه حملت الصليب ، سوف نجعل عندئذ شركاء القوة والبركة اللتين لا سبيل الى التمتع بهما الا عن طريق الصليب وحده دون سواه .

اليوم الثانى عشر

اثبتوا فى المسيح

فالله بنفسه هو الذى سيثبتكم فيه

«... الذى سيثبتكم معنا في المسيح هو الله» (٢كو ١: ٢١)

تعلمنا كلمات الوحى هذه على لسان الرسول بولس حقيقة مباركة جدا نحن أكثر ما نكون حاجة اليها ــ فكما كان اتحادنا مع المسيح في البداية هو عمل القدرة الالهية ، هكذا أيضا يمكننا أن نتطلع الى الله الآب لكى يحفظنا ولكى يثبتنا بأكثر قوة فيه . « يتمم الرب سؤل قلبك ». ان تعبير الثقة هذا الذى قاله المرنم ينبغى ان يكون على الدوام مصاحبا للصلاة ــ ويقول المرنم أيضا مخاطبا الله أو متكلما عنه بالوحى انك « عن أعمال يديك لا تتخلى ». يجب على المؤمن ــ في كل تطلعاته وصلواته ليبلغ الى ثبات أكثر عمقا وكمالا في المسيح ــ أن يمسك بكل قوة بهذا اليقين الذى تبرزه كلمات الرسول الى المؤمنين في فيلبى :« واثقا بهذا عينه أن الذى ابتدأ فيكم عملا صالحا يكمل الى يوم يسوع المسيح ». ولا يوجد شىء يستطيع أن يساعد المؤمن ليتأصل ويتأسس في المسيح قدر هذا الايمان بأن :« الذى سيثبتنا معكم في المسيح هو الله ».

ان الكثيرين يمكنهم أن يقرروا بأن هذا الايمان هو بالضبط الشيء الذى يحتاجونه ! انهم ينوحون باستمرار على التذبذب الذى يعترى حياتهم الروحية . ففى بعض الأحيان تراهم يتمتعون بساعات وربما بأيام من الحماس الملتهب ، وباختبارات مباركة في نعمة الله . لكن ما أتفه الأشياء التى تتسبب في تعكير هذا السلام ، وتنشر سحابة سوداء على النفس ! وعندئذاك ، كم يهتز ايمانهم ! وكل الجهود التى تبذل حتى يستعيدوا ثباتهم تبدو وكأنها عقيمة تماما ، وما تذوقوه من سلام وقتا ما لا يفلح في استعادته الآن ما يتخذونه من قرارات جادة ، ولا ما يرفعونه من صلوات حارة ، ولا ما يبذلونه من سهر متواصل . ألا ليتهم يفهمون أن مجهوداتهم الذاتية هذه هى بالضبط السبب وراء فشلهم ، ذلك أن الله وحده هو الذى يستطيع أن يثبتنا في المسيح . وسوف يرون أنه كما في أمر خلاصهم كان لزاما عليهم أن يتوقفوا عن المجهودات التى يبذلونها من ذواتهم ويقبلوا بالايمان وعد الله بأن يعطيهم الحياة في المسيح . هكذا الآن تماما ، في أمر تبريرهم ، فان

حاجتهم الأولية هي أن يكفوا عن مجاهدة أنفسهم ليوطدوا العلاقة مع المسيح بقوة أكثر ، وأن يسمحوا لله أن يفعل لهم هذا الأمر . « أمين هو الله الذى به دعيتم الى شركة ابنه يسوع المسيح » . ان كل ما يحتاجـونه هو الايمان البسيط بأن الثبات في المسيح ، يوما فيوما ، انما هو عمل الله ـ وهو عمل يسر الله بأن يعمله ، بالرغم عن ضعفنا وعدم أمانتنا ، لو أننا فقط وضعنـا ثقتنا فيه من أجل هذا الغرض .

ان الكثيرين بوسعهم أن يشهـدوا عن البركة التى يمنحها مثل هـذا الايمان ، والاختبار الذى صار من نصيبهم . ياله من سلام وراحة للقلب ، أن نعلم أن الكرام السماوى هناك ، وهو الذى يعتنى بأمر الأغصان ، ملاحظا مدى نمو الغصن ، واتحاده بالكرمة السماوى وهل أصبح أكثر كمالا ، وهو أيضا الكرام الذى يسهر ملاحظا كل معطل أو خطـر وشيك ، كما يزودنا بالعون الذى نحتاجه ! بالسلام وراحة القلب عندما نسلم بالتمام وبغير قيد أو شرط أمـر ثباتنا لعناية الله ، وأن لا يبقى لدينا ابدا رغبة أو فكر ، ولا نقدم مطلقا صلاة أو نرتبط بممارسات تتعلق بهذا الأمر ، دون أن يملأ قلوبنا أولا هذا الفكر المبهج بأن ما يصدر عنا انما هو صدى لعمل الله فينا ! وعمله هو أن يثبتنا في المسيح . وهو ينجز عمله هذا بأن يحفزنا للسهر ، والانتظار ، والعمل . لكنه يستطيع أن يتمم هذا باقتدار فقط عندما نكف عن اعاقته وتعطيله بالمجهودات التى نقوم بها من جانبنا ـ وعندما نقبـل بالايمان أن نقف وقفة الاتكال والتسليم ، الأمر الذى يمجده ويفتح القلب له ليعمل فيه . وايمان كهذا كم يحرر النفس من الهم والمسئولية المضنية ! وفي وسط زحمة وضجيج العالم الذى يجعل الحياة تضطرب وتثور ، وفي وسط اغـراءات الخطية الماكرة التى لا تتوقف لحظـة ، وفي قلب كل الاهتمامات اليـومية والتجارب التى من السهل جدا أن تلهى الفكر وتشغله وتقود الى الفشل ، نعم في وسط هذه كلها كم يكون أمرا مباركا أن تكون أنت مؤمنا راسخا وثابتا دوما في المسيح ! كم يكون هذا مباركا اذا كنت تملك حتى مجرد الايمان بأنه في امكانك أن تصبح مثل ذلك المؤمن الثابت ـ مؤمنا بأن بلوغ هذا الأمر هو في متناول يدك !

يا أولاد الله الأعزاء ، ان البركة هى بالحقيقة في وسع كل واحد منكم أن يمتلكها . فان الذى سيثبتكم معنا في المسيح هو الله . اننى أريدكم أن تفهموا هذا الأمر : ان تصديقكم لهذا الوعد لا يعطيكم الراحة فحسب ، بل سيكون أيضا وسيلة حصولكم على مشتهى قلوبكم . انكم تعرفون كيف أن الكتاب يعلمنا أنه في كل مسيرة الله مع شعبه كان الايمان دائما وفي كل مكان هو الشرط الوحيد لاظهار قوة الله . ان الايمان هو التوقف عن كل المجهودات

الطبيعية ، وكل اتكال آخر ، الايمان هو اعتراف بالعجز يجعل صاحبه يلقى بنفسه بالتمام على مواعيد الله ، ويطالبه بتحقيقها ، الايمان هو أن نضع ذواتنا بهدوء بين يدى الله حتى يقوم هو بنفسه بالعمل كله ، لأنه عمله هو . ان ما تحتاجه أنت وأحتاجه أنا الآن هو أن نصرف وقتا ، حتى تبرز هذه الحقيقة أمامنا بكل لمعانها الروحى : انه الله القدير ،الاله الأمين الكريم والرحيم ، هو الذى قد اخذ على عاتقه أن يثبتنى ويثبتك في المسيح يسوع.

اصغ الى ما تقوله كلمة الله :« يقيمك الرب لنفسه شعبا مقدسا ». « ثبت خطواتى في كلمتك ». « أيها الرب الهنا ، ثبت قلوبهم نحوك ». «لأن الهك أحب اسرائيل ليثبته الى الأبد ». « وللقادر أن يثبتكم ... له المجد الى الأبد ». « سيثبتكم أيضا الى النهاية». «الرب الذى سيثبتكم ويحفظكم». « لكى يثبت قلوبكم بلا لوم في القداسة ». « الله أمين ، الذى سيثبتكم ويحفظكم من الشرير »،« واله كل نعمة الذى دعانا الى مجده الأبدى في المسيح يسوع هو يكملكم ويثبتكم ويقويكم ويمكنكم ». هل في امكانك يا ترى أن تفهم هذه الكلمات بأنها تعنى بالنسبة لك شيئا أقل ــ وانك رغم حياتك الروحية وما هى عليه حتى الآن من تذبذب وتغير ، وبالرغم من طبعك الردىء الذى لا يليق بالمؤمنين ورغم الظروف المحيطة بك ــ رغم هذا كله فانه يمكنك أن تتثبت أنت أيضا في المسيح ، وتستطيع أن تصبح مؤمنا راسخا ؟ دعونا نصرف وقتا كافيا لنصغى ــ في روح الطفولة الوديعة التى تقبل التعليم ــ الى هذه الكلمات باعتبارها حق الله ، وعندئذ سوف نمتلىء بالثقة بأنه كما أننا يقينا في المسيح بالميلاد الثانى ، فكذلك تماما سوف نثبت فيه بعمل نعمته يوما فيوما .

ان الدرس يبدو سهلا ، لكن الغالبية منا يأخذون وقتا طويلا لكى يتعلموه . والسبب الأساسي هو أن النعمة التى يقدمها الوعد عظيمة جدا، وتفوق كل فكر لنا ، لدرجة اننا لا نأخذ الأمر على محمل الجد بأنه حقيقة يعنى ما يقول . والمؤمن الذى اختبر هذا مرة وتمتع بالبركات النابعة من هذا الأمر ، بوسعه أن يشهد للآخرين بالتغيير العجيب الذى يعترى الحياة الروحية . لقد كان قبلا يتعهد أموره ومصالحه الخاصة بنفسه ، أما الآن فله اله يتعهدها نيابة عنه . انه الآن يعرف نفسه أنه في مدرسة الله ، ذلك المعلم الصالح الذى يضع المقرر الدراسى بأكمله لكل واحد من تلاميذه بحكمته غير المحدودة ، ويسر بأن يأتوا اليه كل يوم ليتعلموا منه الدروس التى هم في حاجة اليها . ان طلبة المؤمن هىأن يحس بنفسه بين يدى الله على الدوم، وأن يتبع ارشاداته ، دون أن يتقاعس متلكئا أو يتقدم متعجلا . واذ نتذكر أن الله هو العامل فينا ان نريد وأن نعمل من أجل المسرة ، فان المؤمن يرى

أن سلامته الوحيدة هى في تسليم نفسه بالكامل لعمل الله بأن يطرح جانبا كل قلق بخصوص حياته الداخلية ونموها ، ذلك لأن الآب السماوى هـو الكرام الذى بحكمته وعنايته الساهـرة يضمن النمو الكامل لكل غـرس غرسته يمينه . انه ـ أى المؤمن ـ يعلم أن هناك رجاء متوقعا لحياة مباركة جدا في قوتها وثمرها الوفير لكل من يتخذ الله وحده رجاءه بالكامل .

أيها المؤمن ، انه لا يسعك الا أن تعترف بأن حياة الاتكال هذه لابد أن تكون أمجد حياة وأسعد حياة . ربما تقول أن هناك اوقاتا توافق فيها بكل قلبك أن تحيا حياة كهذه وتترك بالتمام أمر العناية بحياتك الداخلية لأبيك السماوى . لكن بكيفية ما تجد أن هذا الحال لا يدوم . انك في الواقع قـد نسيت من جديد التعليم ، فبدلا من أن تبدأ في كل صباح بأن تحول ـ بفرح ـ كل احتياجات واهتمامات حياتك الروحية لعناية الآب السماوى واهتمامه، فانك تعود من جديد تنتابك مشاعر القلق ، والتثقل ، والعجز ! أليس من الممكن ، أيها الأخ العزيز ، أن يكون هذا راجعا الى عدم تسليم ذهنك لعناية الآب السماوى حتى ينهضه بالتذكرة كل يوم لتجديد تسليمك له بالكامل؟ ان الذاكرة هى واحدة من أسمى القوى في طبيعتنا ، وعن طـريقها تتصل حلقات الأيام ببعضها البعض ، وتحفظ بواسطتها وحدة الحياة خلال كل سنى عمرنا ، فنعلم بها أننـا لا نزال بخير . وفي الحيـاة الروحية ، فان استعادة الذكرى وتجميع الذكريات مع بعضها أمر له أهميته وقيمته بلا حدود . ولكى تتقدس ذاكرتنا في خدمة حياتنا الروحية فقد أعد الله عدته لهذا الأمر بكيفية غاية في الروعة ، ذلك أن الروح القدس هو المـذكر . انه الروح الذى يذكرنا بكل ما قاله الرب لنا . قال عنه يسوع :« هو يذكركم بكل ما قلته لكم ». « الذى يثبتنا معكم في المسيح هو الله ، الـذى ختمنا أيضا ، وأعطى عربون الـروح في قلوبنـا ». نعم ، لقـد أعطى لنا روح الله القدوس كمذكر لنا بغرض تثبيتنا فحسب . فمواعيد الله المباركة من ناحية، وتصرفاتنا التى تظهر الايمان ـ دون انقطاع ـ من جانبنا ، وتسليمنـا فى خضوع بقبول هذه المواعيد ، لهو من عمل روح الله القدوس الذى له القدرة بأن يذكرنا كل يوم . فالروح القدس المبارك هو في الواقع بمثابة الذاكـرة للانسان الجديد .

والآن دعونا نطبق هذا على الوعد المتضمن في آية موضوعنا :« الذى سيثبتنا معكم في المسيح هو الله ». فأنت الآن ، في هـذه اللحظة ، مطلوب منك أن تطرح جانبا كل قلق بخصوص نموك وتقـدمك مسلما ذلك لله الذى تعهد بأن يثبتك في الكرمة ـ ويا لها من بهجة تستشعرها اذ تعرف ان الله وحده هو المسئول ! اذا فلتطلب منه ، واثقا بالروح القدس ، أن يذكرك على

الدوام بعلاقتك المباركة هذه معه . انه سوف يتمم الأمر ، ومع كل صباح جديد دع ايمانك ينمو بأكثر لمعان وقوة . نعم ، اننى أحظى باله يهتم بى كل يوم ليرى ما اذا كنت ــ كل يوم ــ قد أصبحت أوثق اتحادا بالمسيح .

والآن ، يا عزيزى وشريكى في الايمان ، ان « اله كل نعمة الذى دعانا الى مجده الأبدى في المسيح يسوع ، هو يكملكم ويثبتكم ، ويقويكم ، ويمكنكم ». ما الذى تريده وترغب فيه أكثر من هذا ؟ توقع هذا بكل اليقين، واطلبه من لدنه تعالى بكل اخلاص وحماس . لتثق بالله وتعتمد عليه بأنه هو الذى سيتمم عمله . وتعلم أن تغنى للرب ، في ايمان ، الأغنية التى تقول كلماتها :« وللقادر أن يثبتكم . . . له المجد الى الأبد . آمين »، وسوف يضفى كل اختبار جديد على نغمات هذه التسبيحة عمقا أفضل وحلاوة أكثر . نعم ، مجدا لله ، الذى أخذ على عاتقه أن يثبتنا في المسيح !

اليـوم الثالث عشر

اثبتـوا فى المسيح كل لحظة

« في ذلك اليوم غنوا للكرمة المشتهاة . أنا الـرب حـارسها ، أسقيها كل لحظـة ، لئلا يوقـع بها أحرسها ليلا ونهارا » (اش ٢٧ : ٢و٣).

كانت الكرمة رمزا لشعب الله القـديم ، أولئك الذين في وسطهم كان الكرمة الحقيقية مزمعا أن يقوم . والغصن في الكرمة هو رمز للمؤمن الفرد ، الذى يقوم في الكرمة . ولا تزال تلك الأغنية الخاصة بالكرمة الرمز هى أيضا أغنية الكرمة الحقيقية وكل غصن فيها . ولا يزال الأمر الالهى الموجه لحراس الكرم أن يغنوا هذه الأغنية ، وليتهم يطيعون صوت الله فيرنموا حتى يغدو كل مؤمن وقـد تعلم بل اشترك هو أيضا في النغم المبهـج :« غنــوا للكرمة المشتهاة ، أنا الرب حارسها ، أسقيها كل لحظة ، لئلا يوقع بها ، أسقيها ليلا ونهارا ».

يالها من اجابة من فـم الله نفسه على السؤال الـذى يتردد في أغلب الأحيان : هل من الممكن بالنسبة للمؤمن أن يثبت دائما في يسوع ؟ هل يمكن البلوغ حقيقة ــ ونحن هنا على الأرض ــ الى حياة الشركة التى لا تنفصم مع ابن الله ؟ بكل الصدق أقول لا ، اذا كان أمر الثبات في المسيح هو عملنا نحن ، ونعمله نحن بقوتنا . لكن غير المستطاع عند الناس مستطاع لـدى الله . وطالما أن الرب نفسه سوف يحفظ النفس ليلا ونهارا ، نعم ، وسوف يسهر على رعايتها ويسقيها كل لحظة ، عنـدئذ ــ وبكل اليقين ــ سوف تصبح حياة الشركة التى لا تنفصم مع الرب يسوع أمرا ممكنا ومبـاركا لأولئك الذين يمكنهم أن يثقـوا بالله بأنه يعنى ويفعل ما يقوله . وعنـدئذ وبالتأكيد سوف يصبح ثبات الغصن في الكرمة نهارا وليلا ، صيفا وشتاء ، في حياة شركة دائمة لا تنقطع ، ان هو الا تحقيق الوعد البسيط بل الأكيد لثباتك في ربك وليس أقل من هذا .

وانه لشيء صحيح ، بوجه ما ، أنه لا يدعى مؤمنا من لا يكون ثابتا على الدوام في يسوع : لأنه بدون هذا لا يمكن أن تكون هناك حيـاة حقيقية .

« ان كان أحد لا يثبت في يطرح خارجا » . لكن عندما يعطى المخلص الكريم أمره « اثبتوا في »، متبوعا بالوعد « الذى يثبت في هذا يأتى بثمر كثير »، فانما يتكلم بخصوص ذلك التسليم الراغب ، والواعى ، والذى يصدر عن قلب كامل به نقبل العرض الذى يقدمه لنا ، ونوافق أن نثبت فيه باعتبار هذا الأمر هو الحياة الوحيدة التى نختارها ونسعى في طلبها . والاعتراضات التى يثيرها البعض بخصوص حقنا في أن نتوقع استمرارية ثباتنا في يسوع بملء ارادتنا ووعينا تتلخص غالبا في اعتراضين :

الأول مرجعه الى الطبيعة البشرية . انهم يقولون ان قوانا المحدودة تمنع انشغالنا بشيئين في وقت واحد . فالعناية الالهية تضع الكثير من المؤمنين في أشغال تتطلب منهم أقصى اهتمام ، مما قد يستغرق الساعات الطوال من الوقت بصفة دائمة حتى يقوموا بالعمل المنوط بهم على الوجه الأكمل . فكيف يمكن ــ هكذا يتساءلون ــ لشخص كهذا قد ركز كل ذهنه في العمل المكلف به ، أن ينشغل ذهنه في ذات الوقت بالمسيح ، ويحتفظ بالشركة معه ؟ فهم يعتبرون أن وعى الانسان لكى يتركز على الثبات فى المسيح فهو يحتاج هكذا الى مجهود ، لينشغل الذهن ــ بكيفية مباشرة ــ بالأمور السماوية ، وأنه لكى يمكننا أن نتمتع بالبركة فهذا يستوجب ــ على حد زعمهم ــ أن ينسحب الواحد ويخلى ذاته من كل النشاطات العادية في الحياة . وعلى هذا فلابد لمن يريد هذه الشركة القوية مع المسيح أن يعتزل في البرارى .

مبارك الله ، ليس هناك من ضرورة لمثل هذا الخروج من العالم . ان الثبات في يسوع عمل لا يحتاج أن يكون العقل مشغولا به كل لحظة ، ولا العواطف أن تنشغل به بنشاط وبشكل مباشر . انما الأمر يحتاج أن يستودع الانسان نفسه لذلك الحب الأزلى لكى يحفظه ، مؤمنا بأنه قريب منا ، وأنه بحضوره المقدس يسهر علينا وينتهر الشر مبعدا اياه عنا ، حتى ونحن في أكثر الأوقات انشغالا عن عمد في أشياء أخرى . وهكذا يتمتع القلب بالراحة والسلام والفرح على أساس الادراك الواعى بأنه محفوظ بقوة الله لأنه لا يستطيع أن يحفظ نفسه بنفسه .

وفي الحياة العادية ، لدينا الكثير جدا من الأمثلة التى توضح تأثير المحبة العلوية السامية وهى تملك في النفس البشرية وتحرسها ، بينما يكون الذهن مشغولا ومركزا في عمل يتطلب كل انتباهه بالكامل . فكر في أب لأسرة ، ابتعد عن بيته لبعض الوقت ، حتى يمكنه أن يوفر لأعزائه ما يحتاجونه . انه يحب زوجته وأولاده ، ويشتاق جدا ان يرجع اليهم . وقد تكون هناك ساعات من الانشغال الشديد مما لا يملك معه لحظة ليفكر فيهم ،

ومع هذا فان محبته لهم عميقة وحقيقية عندما يسترجع صورهم في ذهنه، ومحبته لهم ورغبته أن يجعلهم سعداء تكون بمثابة الدافع له كل الوقت، مما يملؤه بفرح خفى في عمله . خذ مثلا آخر ملك في مملكة : انه في زحمة الأعمال ، والمسرات ، والتجارب التى تكتنف شئون مملكته ، يتصرف تحت تأثير خفى من الاحساس بكونه ملكا ، حتى بالرغم من أنه لا يفكر في هذا الأمر أثناء ادارته لشئون المملكة . خذ مثلا آخر لزوجة محبة وأم ، انها لا تفقد أبدا ، ولا حتى لحظة واحدة ، الاحساس بارتباطها بزوجها وأولادها . انها في وسط كل ارتباطاتها وانشغالهـا تحتفظ بالحب في قلبهـا والادراك فى ذهنها . فهـل تظنه شيئا مستحيـلا على الحب الأزلى أن يمتلك أرواحنا ويحفظنا ، حتى أننا نحن أيضا لا نفقد ولا لحظة واحدة الادراك الخفى بأننا في المسيح ، محفوظون فيه بقوته المقتدرة ؟ آه ، ان هذا أمر ممكن ، وبوسعنا أن نتيقن أنه كذلك . ان ثباتنا في يسوع لهو شيء أكثر من شركة محبة ــ انه شركة حياة . وسواء كنا منشغلين في أعمالنا أو في أوقات راحتنـا ، فان وعينا بالحياة لا يفارقنا أبدا . وبنفس الكيفية كذلك تستطيع القوة القادرة التى للمسيح ، الذى هو الحيـاة الأبدية ، أن تحفظ في دواخلنـا الادراك بحضوره فينا . أو بالأحرى المسيح ، الذى هو حياتنا ، يحل فينا بذاته ، وهو بواسطة حضوره فينا ، يحفظ ادراكنا بأننا فيه .

أما الاعتراض الثانى فيحمل الاشارة الى طبيعتنا الخاطئة . فقد تعود المؤمنون أن ينظروا الى مسألة أنهم يخطئون كل يوم ، باعتبار أن هذا شيء لا يمكن تجنبه بأى حال ، لدرجـة أنهم يعتبرونه أمرا طبيعيا أن أحـدا لن يستطيع أن يحتفظ بشركة ثابتة مستقرة مع المخلص بدعوى انهم في بعض الأحيان مضطرون أن يسلكوا بعدم أمانة ، وهكذا يسقطون . كأنما الثبات في المسيح قد قصده الله ليكون العتق لنا لنتحرر من مجـرد طبيعة شريرة فحسب ــ كما يقولون ــ وليس من نبع الخطية ذاته ! وكما لو كان المقياس الذى تبلغ اليه انتظـاراتنا هو شيء آخر بخـلاف دوام ثباتنـا في الكرمة السماوى المسيح الحى المحب ، والذى يحفظنا راسخين بقوته القـادرة ! وكما لو كانت وصيته لنا « اثبتوا في » قد أعطانا اياهـا دون أن يضمن لنا النعمة والقوة اللتين بهما يعيننا لاتمام ما قد أوصى به ! وفوق كل شيء كأنه ليس لنا الآب السماوى ذاته كالكرام الذى يحفظنا من السقوط ، حفظا ليس بالمعنى العام ، بل بحسب وعده الكريم الخـاص :« ليلا ونهارا ... كـل لحظة !»، آه ، لو أننا فقط نظرنا الى الهنا المكتوب عنه « الرب يحفظك، من كل شر يحفظ نفسك »، سنتعلم عندئذ أن الثبات الواعى في المسيح كل لحظة ، ليلا ونهارا ، هو بالحقيقة ما أعده الله للذين يحبونه .

يا أعزائى وشركائى في الايمان بالمسيح ، لا تسمحوا أن يكون هدفكم دون ذلك . انني أعلم جيدا أن بلوغ هذا الهدف قد لا يكون أمرا سهلا ، وأنه قد تأتى علينا أوقات كثيرة من الكفاح المضنى والفشل المرير . لو أن كنيسة المسيح ظهرت بالمظهر اللائق بها ــ ولو أن المؤمنين المتقدمين في الايمان كانوا كما ينبغى بالنسبة للمؤمنين المتجددين حديثا ، يشهدون لأمانة الله ، مثلما فعل كالب ويشوع ، مشجعين اخوتهم أن يصعدوا ويمتلكوا الأرض ولهم الشعار ، « نحن قادرون أن نمتلكها ، اذا سر الرب بنا فسوف يدخلنا الى هذه الأرض » . ولو أن الجو الذى يتنفس فيه المؤمنون الأحداث عندما يدخلون الى شركة القديسين كان ذلك الجو الذى يلاحظون فيه التكريس الصحيح والواثق والمبهج ، لأصبح الثبات فى المسيح عندئذ هو النمو الطبيعى نتيجة لوجودنا فيه ــ أى يصبح ثمرة طبيعية تنمو بازدهار نتيجة اتحادنا بشخصه . لكن الجو المقبض الذى فيه يعيش مثل هذا الجزء الأكبر من جسد المسيح ، يجعل النفوس التى تسعى نحو هذه البركة تتعوق بشكل محزن ومؤلم متأثرة بحالة الاحباط التى تسود الأفكار والحياة فى المؤمنين المتقدمين . انني لا أقول هذا لكى اثبط الهمم ، وانما لكى أحذر ، ولكى احث القارىء العزيز لنطرح أنفسنا بطريقة أكثر شمولا على كلمة الله ذاته . قد تأتى علينا أوقات فيها نكون مستعدين أن نستسلم لليأس ، لكن لنتشدد ونتشجع ، ولنسمع قول المسيح يتردد من جديد في أذن كل واحد منا : « لا تخف . آمن فقط » . ان ذاك الذى جعل البركة في متناول أيدينا ، سوف يقود كل واحد منا ، يقينا ، لكى يمتلكها .

والطريقة التى تتم بها عملية الامتلاك هذه قد تختلف من واحد لآخر . فالبعض قد تأتيهم البركة في لحظة كهبة من السماء ويحدث هذا مثلا في أوقات النهضات الروحية ، أو في أوقات الشركة مع غيرهم من المؤمنين الذين يعمل فيهم روح الله بقوة ، أو تحت قيادة بعض من خدام الله الذين يستطيعون قيادة النفوس نحو امتلاك البركة ، وفي بعض الأحيان يتم هذا في أوقات الوحدة والخلوة كذلك ، وفي جميع هذه الأحوال يتم الأمر كما لو كان هناك اعلان جديد أو رؤيا من نوع جديد قد أتت بغتة على النفس . وهنا يرى المؤمن ، كما في نور سماوى ، كيف يحمل الكرمة السماوى القدير الأغصان الضعيفة ويمسك بها ضامنا لها بالتمام ، فينتفى بذلك كل شك ويمسي الريب مستحيلا . ويمكن عندئذ للنفس أن يأخذها العجب كيف تجاسرت يوما أن تفكر في هذه الكلمات النورانية « أن نثبت على الدوام في المسيح » بأنها تعنى شيئا آخر سوى أن تكون نصيب أولاد الله في حياتهم على الأرض . واذ ترى النفس هذه الحقيقة بجلاء ، يكون هذا لها مصدر ايمان ، وفرح ، وتعزية ، وحب ، نابع من نفس هذه الحقيقة عينها .

وعند البعض الآخر يتم الأمر بطريقة أكثر صعوبة وعلى مدى أطول. ويوما فيوما ، وسط عوامل الاحباط والمعاناة ، تجد النفس لزاما عليها أن تشق طريقها وتسعى الى الأمام . لتتشدد وتتشجع ، فهذه الطريق أيضا تقود الى الراحة . ليكن همك أن تجعل قلبك على هذا الوعد فحسب : « أنا الرب حارسها ، ليلا ونهارا ». اقبل من شفتيه الكريمتين كلمة السر: « كل لحظة ». ففي هذا الوعد الجليل أنت تملك ناموس حبه وناموس رجائك. لا تقنع بأقل من هذا . ولا تدع فكرك فيما بعد يتوه في واجبات هذه الحياة واهتماماتها ، وما يكتنفها من أحزان وخطايا ، وأن مثل هذه سوف تنجح في اعاقة حياة الثبات في الشركة . لكن بالأحرى اجعل من لغة الايمان القاعدة التى تحكم اختبارك اليومى قائلا : انني متيقن بأنه لا الموت بمخاوفه ولا الحياة باهتماماتها ، ولا الأشياء الحاضرة بمطاليبها الملحة ، ولا الأشياء المستقبلة بما يكتنفها من ظلال داكنة ، ولا علو الفرح ، ولا عمق الأحزان ، ولا خليقة أخرى ، تستطيع حتى ولا لحظة واحدة ، أن تفصلنى عن محبة الله التى في المسيح يسوع ربنا ، الذى فيه يعلمنى أن أثبت . وعندما يبدو كأن الظلام قد بدأ يلف الأشياء من حولك وابتدأ ايمانك يتخاذل ليتك تتغنى من جديد بأغنية الكرمة :« أنا الرب حارسها أسقيها كل لحظة لئلا يوقع بها ، أحرسها ليلا ونهارا ». ولنكن على يقين انه طالما أن الرب يهوه هو الذى يتعهد الأغصان بالليل والنهار ويسقيها كل لحظة ، فسوف تكون حياة الشركة الدائمة التى لا تنفصم ، مع المسيح، امتيازا حقيقيا لنا ، دونه كل امتياز آخر .

اليوم الرابع عشر

اثبتـوا فى المسيح
يوماً فيومـــاً

«... فيخرج الشعب ويلتقطون حـاجة اليوم بيومها ...» (خروج ١٦ : ٤).

« حاجة اليوم بيومها ». هذه كانت القاعدة التى على أساسها كـان الله يمنح والانسان يعمل في أمر جمع المن . ولا تزال هى بذاتها القـانون الذى يحدد كل معاملات نعمة الله مع أولاده . واذ نتمتع بالبصيرة الواضحة لنرى جمال هذا الترتيب الالهى وتطبيقاته العملية في الحياة ، يكون هذا لنا بمثابة معونة رائعة تساعدنا لنفهم كيف يمكن لانسان ، مع ما يحس به من عجز تام ، أن يملك الثقة والمثابرة ليستمر في حياة لامعة كـل سنوات مسيرته في هذا العالم . سأل مرة مريض أصيب في حـادثة خطيرة طبيبه قائلا :« يا دكتور ، حتى متى سأظـل راقدا هنا على الفراش ؟». وكـان الجواب :« يوما واحدا فقط في الوقت الراهن »، مما أعطى المريض أن يتعلم درسا ثمينا . كان هذا هو نفس الدرس الذى سجله الله لكل شعبه فى كل العصور منذ زمان بعيد عندما قال لشعبه « حاجة اليوم بيومها ».

لقد رسم الله في كرمه ورحمته تعـاقب النهار والليل ، وكان هـذا الأمر بلا شك لكى يتناسب مع ضعف الانسان وقصوره كما أوضحنا آنفا. فلو كان الانسان قد أعطى الوقت في صورة نهار دائم طويل لا تغير فيه ، لأرهق الانسان وعجز عن الاستمرار . أما وقد أمر الله ــ تبارك اسمه ــ أن يتعاقب النهار والليل على الدوام فان هذا يجدد ويصلح قوى الانسان ويمده بطاقات جديدة . فكما أن الطفل يستطيع بسهولة أن يستوعب كتابا بأكمله ، اذا أعطيت له دروس الكتاب كل درس في يومه وكل يوم بدرسه، لكنه يصبح عاجزا تماما وبلا حول ولا قوة لو أنه أعطى الكتاب بأكمله مرة واحدة ، هكذا الحال مع الانسان ، لو لم يكن هناك تقسيم للوقت . واذ يجزأ الوقت ويقسم الى فترات وسويعات يصبح من السهل على الانسان أن يحتمل ، ويصير من الميسور على الواحد منا أن يتحمل أعباء ومسئوليات كل يوم بيومه وحسب ــ حاجة اليوم بيومها ــ وتأتى راحة الليل فتؤهله ليبدأ بداية جديدة مع كل صباح جديد ، وهكذا يستطيع أن يتجنب أخطاء

اليوم الذى مضي ، كما ويتعلم من دروسه فيكون هذا دافعا له للتقدم الى الأمام . ويكون لديه يومه على حدة يلتزم فيه أن يكون أمينا على مدى هذا اليوم القصير ، تاركا للعمر المديد اذا امتد وللسنوات الطوال اذا طالت أن تهتم بما لنفسها ، دون أن يتثقل بطولها أو بثقلها وخطورتها .

وما أحلى المعونة التى تأتينا من ممارسة هذا الأمر في حياة النعمة. ان أكثر من نفس قد اعتراها القلق من التفكير في كيفية امكانها جمع وحفظ المن الذى تحتاجه لكل سنوات سفرتها في مثل هذه البرية القاحلة . ولم تتعلم أبدا مدى الراحة التى تفوق الوصف والتى تتضمنها هذه الكلمات: « حاجة اليوم بيومها ». ان هذه الكلمات القليلة تنزع بالتمام كل هم بشأن الغد . فاليوم الذى بين أيدينا هو وحده الذى نملكه ، أما الغد فهو من اختصاص الآب السماوى . والسؤال الذى يدور حول : ماهو الضمان الذى بين أيدينا طوال كل هذه السنين التى علينا أن نصارع مع الفتور ، أو التجارب ، أو المغريات في هذا العالم ، ليضمن لنا أننا نبقى على الدوام ثابتين في يسوع ؟ وهو ما نحتاجه فعلا . ان مثل هذا السؤال لا داعى له، ذلك لأن المن ، كطعام نحتاجه وفيه قوتنا وقوتنا ، سوف يعطيه لنا الله كل يوم بيومه ، والمن اليومى الذى يعطيه الله لنا يكفى لملء احتياج اللحظة الراهنة ، ويكون هذا لك الضمان الوحيد للمستقبل . لذا فاننى أدعوك أن تقبل ما قد أعطاه لك الله لهذا اليوم فتؤديه بكل قلبك وتتممه بفرح . وانك اذ تستمتع بحضور الله ونعمته لليوم الراهن الذى تعيشه فسوف يزيل هذا كل شك لديك من جهة الغد . وماذا اذا كان في امكانك أن تسلمه له وتأتمنه عليه أيضا .

ما أعظم الفائدة التى نستخرجها من هذه الحقيقة بخصوص كل يوم على حدة ! اننا ننساق بسهولة كبيرة جدا لأن نتطلع الى الحياة ككل عظيم، وأن نهمل اليوم الصغير الذى بين أيدينا ، وأن ننسي أن الأيام المفردة هى في الواقع التى تكون الكل ، وأن قيمة كل يوم بمفرده تتوقف على مدى تأثيره على المجموع واذا فقد يوم واحد فهو بمثابة حلقة مكسورة في السلسلة ، وغالبا ما يستغرق اصلاحها أكثر من يوم بخلاف اليوم الذى ضاع . ان ضياع يوم واحد يؤثر على اليوم الذى يليه ويجعل مهمة حفظه أمرا أكثر صعوبة . نعم ، ان يوما واحدا يضيع من بين يديك قد يكون سببا في خسارة ما قد جمعته وحرصت عليه بالجهود المدققة عبر الشهور والسنين . وهذا يؤكده ويشهد به اختبار أكثر من واحد من أولاد الله .

أيها المؤمن ! اذا أردت أن تثبت في يسوع ، فليكن هذا كل يوم بيومه. لقد أسمعك الله صوته حالا : حاجة اليوم بيومها ، لحظة فلحظة . ان درس

« اليوم بيومه » يعلمنا شيئا أكثر . فمن بين اللحظات الكثيرة التى يتكون منها يومنا ينقضي العديد منها وأذهاننا منصرفة عن الأمر ، أى ليست فى حالة تركيز على أمر الثبات في يسوع ، ويكون الثبات في هذه الحالة في عمق أعماق قلوبنا ، محفوظا بعناية الآب السماوى ، الذى استودعناه نفوسنا. لكن هذا هو بعينه ما يجب علينا أن نعمله مجددا مع اقبال كل يوم جـديد أن نسلم ونثق من جديد وبكل الوضوح في امكانية أن نعيش هذه الحياة لحظة بلحظة . ان الله قد جمع هذه اللحظات وربطها معا في حزمة ، لذات الغرض وهو أن نهتم نحن بكل لحظة فيها ونتدبر أمرها . واذ نتطلع عند اقبال الصبح ، أو نلقى بنظرة الى الخلف عند حلول المساء ، ونزن هذه اللحظات ، يمكننا عندئذ أن نتعلم كيف نقدرها ونستعملها على الوجـه الصحيح . وكما أن الآب السماوى ، مع كل صباح جديد ، يوافيك بوعده بأن يعطيك من المن ما يكفى حاجة اليوم لك ولأولئك الذين سيتشاركون معك ، ليتك أنت أيضا تتقابل معه بتجديد قبولك ــ بكل الفرح والحب ــ للمكان والمكانة المعطاة لك في ابنه المحبوب . درب نفسك أن تنظر الى هذا الأمر على أنه احد الأسباب التى من أجلها عين الله في حكمته ومحبته لك تعاقب الليل والنهار . لقد ذكر الله أننا بشر ، ضعفـاء ، وفي محبته دبر المعونة اللازمة لهذا الأمر . ليكن لكل يوم قيمته التى تضيفها عليه دعوته التى دعاك بها لكى تثبت في المسيح . واذ تنفتح عيناك في الصباح على نور اليوم الجديد ، لتستقبله بهذا المفهوم : انه يوم ، ويوم واحد فقط ، لكنه لا يزال يوما ، قد وهبه الله لى لأثبت في يسوع المسيح وأنمـو فيه . وأيا كان هذا اليوم يوم الصحة أم المرض ، يوم الفرح أم الحزن ، يوم الراحة أم العمل ، يوم الجهاد أم النصر ، ليكن الفكر الرئيسي الذى به تستقبل اليوم في تشكرات الصباح هو هذا : « انه يوم قد أعطانى اياه الآب السماوى، يجب على فيه أن أصبح أكثر اتحادا بيسوع ». واذ يوجه الآب السماوى هذا السؤال لى قائلا : « هل تثق بى بخصوص هذا اليوم فقط أن احفظك ثابتا في يسوع ، وأن يسوع يحفظك مثمرا فيه ؟ »، لا يسعنى الا أن أجيب متجاوبا بفرح : « نعم سوف أثق ولن أخاف ».

كان بنو اسرائيل يلتقطون ويجمعون المن حاجة اليوم بيومه في الصبح باكرا جدا قبل طلوع الشمس . وكان مـا يلتقطونه يمثل حاجة اليـوم ليقتاتوا به خلال اليوم بأكمله ، لكن اعطاء المن والحصول عليه كان عمـل الصباح الباكر . وهذا يوحى لنا كيف أن عظمة القوة التى نصرف بها اليوم على الوجه الصحيح ، ثابتين في يسوع اليوم كله ، انما تتوقف على ساعة الصباح . وما دامت الباكورة مقدسة ، فكذلك العجين . وفي خلال النهار، يأتى علينا وقت يكون الواحد فيه مشغولا أشد المشغولية في ذروة العمل

أو وسط عجيج البشر ، وهنا يكون حفظ الآب السماوى لك هو وحده الكفيل بأن يحفظ علاقتك بيسوع غير منفصمة . لقد كان المن الذى يلتقطه الشعب في الصباح هو طعام اليوم بأكمله ، وفقط عندما يكرس المؤمن وقته الهادىء في الصباح للشركة الحبية التى في الخفاء فيجدد شركة المحبة هذه بوضوح وفعالية مع مخلصه ، عندئذاك يكون الثبات ممكنا ومستمرا اليوم كله . لكن أى شكر نستطيع أن نقدمه الى الله ! ففى ساعة الصباح ، حيث الهدوء والانتعاش ، يستطيع المؤمن أن يلقى بنظرة على اليوم . ويمكنه أن يقدر ما فيه من واجبات كما وأيضا ما سيلاقيه خلاله من تجارب ، فيناقش هذه كلها ، بحالتها ، مع مخلصه ملقيا بالكل عليه لأنه قد تعهد بأن يكون الكل بالنسبة للمؤمن . ان المسيح هو المن للمؤمنين به ، هو طعامهم ، هو قوتهم ، بل هو حياتهم . ويستطيع المؤمن أن يأخذ حاجة اليوم بيومه، ويستطيع أن يأخذ المسيح ليكون طعامه الذى يواجه به كل الاحتياجات التى يتطلبها يومه ، ويواصل المسيرة موقنا بأن اليوم سيكون يوما للبركة والنمو الروحى .

واذ نخبىء في قلوبنا ، واعين ، الدرس الذى تعلمناه عن قيمة اليوم الواحد وعمله في حياتنا ، سوف نجد أنفسنا منقادين ، تلقائيا دون وعى منا ، لنعرف السر الذى تنطوى عليه هذه العبارة :« كل يوم دائما » (خروج ٢٩:٣٨). وهذا الثبات المبارك ، مؤازرا بالايمان ، كل يوم على حدة هو نمو روحى لا ينقطع ، بل هو نمو مطرد على الدوام . وكل يوم نقضيه في حالة الأمانة لسيدنا يجلب لنا بركة لليوم الذى يليه ، ويجعل من أمر الاتكال على الرب والتسليم له أكثر يسرا وأوفر بركة . وهكذا تنمو حياة المسيحى . واذ نعطى القلب كاملا لعمل كل يوم على حدة ، تصبح هذه عادتنا كل يوم ، وهكذا يصير الحال كل الأيام . وهكذا نجد أن كل يوم بمفرده ، وكل اليوم باستمرار ، ويوما فيوما على التوالى ، يصل بنا الى الثبات في يسوع . ومن مجموع هذه الأيام تتكون الحياة بجملتها ، واليوم الذى بدا لنا مرة أنه أعظم وأسمى من أن نبلغ اليه ، يهبه الله للنفس التى اقتنعت بأن تأخذ وتستخدم « أمر اليوم بيومه » (عزرا ٣:٤)، كواجبها المنوط بها كل يوم بيومه . اننا حتى ونحن هنا على الأرض نستطيع سماع الصوت المبارك :« نعما أيها العبد الصالح والأمين ، كنت أمينا على القليل فأقيمك على الكثير ، ادخل الى فرح سيدك ». وهكذا تصبح حياتنا

اليومية مبادلة عجيبة بين نعمة الله التى يعطيها كل يوم والشكر الـذى نرفعه اليه خلال اليوم :« يحملنا الهنا بالبركة كل يوم »،« لكى أوفي لك نذورى يوما فيوما ». ونتعلم أن نفهم السبب الـذى من أجله يعطينا الله عطاياه كل يوم بيـومه ، لأنه ـ يقينا ـ يعطى ، ولكن فقط على قدر مـا نحتاج ، بيد أن ما يعطيه لنا بهذه الكيفية هو كاف تماما أيضا لحاجة اليوم. وهكذا نأتلف مع طريقة الله ونتوافق معها ، وهى طريقة السؤال كل يوم ثم توقع نوال ما نحتاجه فقط ، وهو بكل تأكيد كاف تماما ليومنا . وعندئذ نبدأ في حساب أيامنا ليس من وقت شروق الشمس على الدنيا ، وليس بالعمل الذى نعمله في أيامنا أو الانجاز الذى نبلغ اليه ، بل بما يتم في حياتنا من حصول معجزة المن من جديد كل يوم بيومه وهى بركة الشركة كل يوم مع ذاك الذى هو حياة ونور هذا العالم . وهكذا نلاحظ أن الحياة السماوية هى كالحياة على الأرض متصلة لا تنفصم ، وأن الثبات في المسيح كل يوم قد أتى بالبركة لذلك اليوم ، ونستطيع بذلك أن نثبت فيه كل يوم ، وكل اليـــوم .

ليتك أيها الرب سيدنا تجعل هذا نصيب كل واحد فينا .

اليوم الخامس عشر

اثبتوا في المسيح في هذه اللحظة

«... هوذا الآن وقت مقبول ، هوذا الآن يوم خلاص » (٢كو٦:٢)

نريد أن نتحدث مرة أخرى عن فكرة الثبات والحياة لحظة بلحظة لما لها من أهمية جوهرية فيما يختص بالثبات في المسيح من جانبنا . ونريد أن نقول لكل الذين تعتمل في قلوبهم الرغبة لتعلم هذا الفن المبارك لحياة الثبات لحظة بلحظة كل وقت بوقته ، انكم لكي تتعلموا عليكم أن تدربوا أنفسكم أن تعيشوا اللحظة الراهنة . وكلما وجدت أن ذهنك مستعد لينشغل بالتفكير في يسوع ــ سواء كان هذا وقت تأمل وصلاة او مجرد لحظات قليلة عابرة ــ فليكن الفكر الأول الذى يخطر ببالك هو أن تقول : الآن ، في هذه اللحظة ، انني أثبت فيك حقا يا يسوع . استفد من وقت كهذا ، لا في اظهار أسف باطل انك لم تكن فيما مضى ثابتا بالتمام ، ولا في اجترار مشاعر خوف مؤذية لا تزال تمسك بتلابيبك بأنه لن يكون في امكانك المداومة على الثبات فيه ، بل بالحرى اتخذ في الحال الموقف الذى أعطاه لك الآب السماوى وقل :« أنا في المسيح . هذا هو المكان الذى أعطاه لى الله . انني أقبل هذا المكان ، وفيه أستريح . انني الآن ثابت فعلا في يسوع ، وهذا هو السبيل لأتعلم أن أثبت باستمرار ». قد تكون حتى الآن ضعيفا الى الحد الذى تخاف أن تقول « انني ثابت في يسوع »، لكن أضعف واحد في أولاد الله يستطيع ، كل لحظة على حدة ، أن يقول « نعم ، انني ثابت حقا في المسيح »، اذا وافق أن يشغل مكانه كغصن في الكرمة . ليست هذه مسألة مشاعر أو احساس يحسه المؤمن ــ كما أنها ليست مسألة نمو أو قوة في الحياة المسيحية ــ لكنه السؤال البسيط والواضح عما اذا كانت الارادة فيك تشتاق في اللحظة الراهنة أن تعرف المكان الذى لك في سيدك وفاديك ، وأن تقبله . انك اذا كنت مؤمنا مولودا من الله ، فأنت اذا في المسيح . وما دمت في المسيح ، ولك الرغبة في أن تبقى هناك ، فمن واجبك أن تقول للرب :« أيها المخلص المبارك ، انني الآن أثبت فيك ، وأنت الآن تحفظني ثابتا فيك »، بالرغم من أن هذه الكلمات لن تأخذ منك اكثر من لحظة فقط لترددها .

لقد قيل حسنا انه في تلك الكلمة الصغيرة «الآن» يكمن واحد من أعمق أسرار حياة الايمان . في ختام مؤتمر كان موضوعه الحياة الروحية ، نهض خادم مختبر وتكلم . قال انه لا يعرف أنه استطاع أن يتعلم أية حقيقة قبل أن يكون قد عرفها واختبرها أولا ، لكنه أيضا قد تعلم كيف يستخدم على الوجه الصحيح ما قد سبقت له معرفته . فهو قد تعلم أنه امتياز له في كل حين ، أن يقول ، مهما كانت الظروف المحيطة به :« يسوع الآن يخلصنى» . نعم في هذا حقا يكمن سر الراحة والانتصار . لو امكننى أن أقول ان يسوع في هذه اللحظة هو كل شيء أعطاه لى الله — انه الحياة والقوة والسلام — ثم لا أتزحزح عن هذا القول قيد أنملة ، بل أستريح فيه ، فاننى في هذه اللحظة عينها أنال ما أنا في احتياج اليه . واذ أرى بعين الايمان ما أعطاه لى الله في المسيح ، وآخذ مكانى الذى أعطانى اياه الآب السماوى فى شخصه المبارك ، عندئذاك تستطيع النفس ان تسكن في اطمئنان ، واستطيع أن أقول بكل اليقين : الآن أنا ثابت في المسيح .

أيها المؤمن ! في صراعك لتجد طريقك الى الثبات في المسيح من لحظة لأخرى ، تذكر أن المدخل الى هذه الحياة المجيدة هو أن تثبت في المسيح فى هذه اللحظة الراهنة . وبدلا من أن تضيع المجهود في محاولة الوصول الى حالة تكون لها صفة الدوام ، تذكر أن المسيح ذاته ، الرب الحى ، المحب ، هو وحده الذى يستطيع أن يحفظك ، وهو في انتظار أن يفعل هذا لك . ابدأ الآن فورا ومارس الايمان فيه بخصوص اللحظة التى أنت فيها الآن ، وهذا هو السبيل الوحيد لكى تظل محفوظا اللحظة التى تليها . ان البلوغ الى حياة الثبات الدائم والكامل لا يعطى عادة كعطية فورية نتملكها ونقتنيها للمستقبل ، لكن هذا الأمر يأتى في الغالب خطوة فخطوة . لذا عليك أن تغتنم كل فرصة لتمارس فيها الثقة بخصوص اللحظة الراهنة . وفي كل وقت تحنى فيه رأسك لكى تصلى ، ابتدىء أولا بأن تعمل عملا بسيطا من أعمال التكريس قائلا لله :« أيها الآب اننى في المسيح ابن محبتك ، وأنا الآن أثبت فيه ». ووسط زحمة الحياة ، وفي قلب ضجيج المشغوليات والواجبات ، وعندما تسنح لك فرصة تستجمع فيها شتات نفسك ، لتكن أول حركة تلقائية تقوم بها نفسك هى أن تقرر :« اننى لا زلت في المسيح وانا الآن ثابت فيه ». وحتى ان كانت الخطية قد لحقت بك وأدركتك ، والقلب في داخلك قد أصبح في غاية الانزعاج والاضطراب ، ليت نظرتك الأولى الى فوق تكون مصحوبة بهذه الكلمات :« يا أبى ، لقد أخطأت ، ومع ذلك — ورغم اننى أستحى من قولى هذا لكننى آتى اليك كواحد في المسيح . يا أبى ! ها أنذا . اننى لا أستطيع أن أتخذ لى مكانا آخر . انك يا الهى قد جعلتنى في المسيح ، اننى الآن أثبت في المسيح ». نعم ، أيها الأخ العزيز ،

ان الصوت يناديك ، فى كل ظرف ممكن ، وفي كل لحظة من لحظات النهار: « اثبت في ، افعل هذا الآن ». حتى وأنت تقرأ هذه الكلمات الآن ، ليتك تأتى في الحال ، وتدخل الحياة المباركة ، حياة الثبات الدائم ، وأن تفعل هذا في الحـال . افعله الآن .

في حياة داود توجد فقرة كتابية جميلة قد تساعد في جعل هذه الفكرة تبدو بوضوح أكثر (راجع ٢صم ٣:١٧و١٨). كان داود قد مسح ملكا فى يهوذا . أما باقى اسرائيل فكانوا لا يزالون يتبعون ايشبوشث ، ابن شاول. وصمم أبنير ، رئيس جيوش شاول ، أن يقود أسباط اسرائيـل للخضوع لداود ، الذى كان قد مسحه الله ملكا على الأمة كلها . وتكلم أبنير مع شيوخ اسرائيل قائلا لهم :« قد كنتم منذ أمس وما قبله تطلبون داود ليكون ملكا عليكم . فالآن افعلوا . لأن الرب كلم داود قائلا انى بيد داود عبدى أخلص شعبى اسرائيل من يد الفلسطينيين ومن أيدى جميع أعدائهم ». ولقد فعلوا ذلك ، ومسحوا داود من جديد ليكون ملكا في هذه المرة على كل اسرائيل ، بدل أن كان في البداية ملكا على يهوذا فقط (٢صم ٥:٣). وهذا المثال أبلغ ما يكون لايضاح الطريقة التى تنقاد بها النفس الى حياة التسليم الكامـل والولاء غير المنقسم ، للثبات التام .

ففى البداية نجد أن لدينا المملكة المنقسمة : فمملكة يهوذا أمينة للملك الذى مسحه الله ، أما اسرائيل فلا يزال يلتصق ويتعلق بالملك الذى اختاره من ذاته . ونتيجة لذلك صارت المملكة منقسمة على نفسها ، وعدمت القوة التى تمكنها من النصرة على اعدائها . هذه صورة للقلب المنقسم . فيسوع قد اختير ملكا في يهوذا ، حيث الجبل المقدس ، في مخدع النفس الداخلى. أما في الأقاليم المجاورة ، المشبهة بحياة كل يوم التى نعيشها ، فهذه لم يتم اخضاعها بعد للمليك العظيم . ان أكثر من نصف حياتنا لا يزال تحت الارادة الذاتية وأعوانها . وبالتالى فلا يوجد سلام في الداخل وليس من نصرة على الأعداء فى الخارج .

عندئذ يعتمل في دواخلنا الشوق العارم لأن نكون فى حالة أفضل : « قد كنتم منذ أمس وما قبله تطلبون داود ليكون ملكا عليكم ». لقد جـاء وقت ، عندما ظفر داود بالفلسطينيين ، مما جعل الشعب يضع ثقته فيه، لكن الشعب عاد بعد ذلك فضل سواء السبيل . ثم جـاء أبنير واستنهض ذاكرتهم وما يعرفونه عن ارادة الله ، بخصوص وجوب اقامة داود ملكا على كل المملكة ليتسلط على الكل . كذلك الحال مع المؤمن ، فعندما جـاء الى يسوع في أول الأمـر كان يريد فعـلا أن يصبح يسوع ربا على الكل ، وكان يرجو أن يصير هو وحده ــ تبارك اسمه ــ الملك دون نزاع. ولكن ، واأسفاه!

لقد تدخل عدم الايمان والاعتداد بالذات ، وهكذا لم يتمكن يسوع من فرض سلطانه على الحياة بأكملها . ومثل هذه الحال لا ترضي أولاد الله الحقيقيين. وكم يشتاقون ويتطلعون أن يتحقق هذا الأمر في وقت أفضل ، رغم أنهم في بعض الأحيان لا يجرؤون على الايمان بأن هذا أمر ممكن الحدوث .

لكن يأتي بعد ذلك الوعد الالهى . قال أبنير للشعب في القديم :« لأن الرب كلم داود قائلا انى بيد داود عبدى أخلص شعبى اسرائيل من يد الفلسطينيين ومن أيدى جميع أعدائهم ». لقد لجأ الى وعد الله . فكما أن داود قد ألحق الهزيمة بالفلسطينيين ، وكانوا أكثر الأعداء قربا للشعب من ناحية المكان ، كذلك فهو وحده القادر أن يقهر أولئك الأعداء الذين يقطنون بعيدا عن أرض اسرائيل . انه هو المعين من الله لكى ينقذ اسرائيل من أيدى جميع أعدائه . ياله من نموذج طيب ومبارك للوعد الذى يقدمه الله الآن للنفس حتى تثق بيسوع لكى يمنحها النصرة على كل أعدائها ، وحتى يعطيها حياة الشركة التى لا يعكر صفوها شيء . ان رجاءنا الوحيد هو هذا :« الرب قد تكلم ». نعم ، على هذه الكلمة يستقر انتظارنا الأكيد (راجع لو ١:٧٠-٧٥) :« كما تكلم الرب بفم أنبيائه القديسين الذين هم منذ الدهر . خلاص من أعدائنا ومن أيدى جميع مبغضينا ... أن يعطينا أننا بلا خوف ، منقذين من أيدى أعدائنا ، نعبده بقداسة وبر قدامه جميع أيام حياتنا ». واذ نرى داود الملك يحكم كل ركن من أركان البلاد ، ويقود - من نصر الى نصر - شعبا طائعا ومتحدا ، نرى في هذا صورة مصغرة لما يمكن أن يفعله يسوع لنا ، حالما نسلم الكل له مؤمنين بوعد الله ، معطين له الحياة بجملتها ليحفظها ثابتة فيه .

قال أبنير للشعب :« قد كنتم منذ أمس وما قبله تطلبون داود ليكون ملكا عليكم »، ثم أضاف قوله :« فالآن افعلوا ». ان الرسالة التى تتضمنها هذه الرواية الكتابية لكل واحد فينا يشتاق أن يعطى يسوع السيادة على حياته دون تحفظ تتلخص في هاتين الكلمتين الفعالتين : الآن افعل . وأيا كانت اللحظة الحاضرة ، ومهما كنت غير مستعد حال وصول هذه الرسالة اليك ، وحتى اذا كانت حياتك بحالتها المنقسمة اليائسة قد وصلت الى درجة محزنة ، فاننى لا أزال أحثك أن تقبل بما يطلبه المسيح منك بأن تسلم له الكل في الحال - وفي هذه اللحظة بالذات . واننى أعرف جيدا أن وقتا سينقضي قبل أن يوطد الرب المبارك سلطانه على حياتك ، ويجعل كل شيء بداخلك خاضعا لارادته - فيقهر الأعداء مدربا كل قواك لتكون في خدمة شخصه المجيد المبارك . ان هذا العمل لا يتم في لحظة . لكن هناك أشياء يمكننا أن نتممها في لحظة - أقصد اللحظة الراهنة . وأول هذه الأشياء أن

تسلم الكل ليسوع ، وأن تخضع ذاتك بالتمام لتحيا فيه هو وحده . وبمرور الوقت ، واذ يصبح الايمان أكثر قوة ولمعانا نتيجة التمرن ، تجد أن خضوعك هذا لشخصه قد أصبح أكثر وضوحا وانك أصبحت تتممه بطريقة واعية مدركة . أما بخلاف هذا فليس لأحد أن ينتظر أو يماطل ، فان السبيل الوحيد للبلوغ الى حياة الثبات في المسيح هو أن تبدأ في الحال . افعل ذلك الآن . سلم نفسك هذه اللحظة بالذات حتى تثبت بالتمام ، وعلى الدوام، وفي يسوع وحده . هذا هو عمل اللحظة الراهنة . وبنفس هذه الكيفية ، فان قبول المسيح لك من جديد هو عمل يتم في لحظة . فهو - تبارك اسمه - لا يؤخر من أجل نفسه . كن على يقين أنه يمتلكك ويمسك بك كواحد من خاصته ، وأنه في كل مرة تدعوه فيها :« يا يسوع ، انني اثبت فيك »، يقابل هذا من جانبه متجاوبا معك من كل قلبه وفي الحال . ان اى عمل من أعمال الايمان لا يمكن أن يكون بدون جدوى . ان يسوع يعود ليمسك بنا من جديد ويجذبنا بالفعل قريبا من شخصه . لذا فكلما أتت اليك الرسالة، أو تبادر الى خاطرك مضمونها ، وتسمع يسوع ينادى قائلا « اثبت في »، ليتك تفعل ذلك في الحال . انك في كل لحظة تسمع الصوت يهمس قائلا : « افعل ذلك الآن ».

اذا ، فلنبدأ من الآن ، وسرعان ما سوف نختبر كيف أن بركة اللحظة الراهنة تمتد الى اللحظة التى تليها . نعم ، انه يسوع الذى لا يتغير والذى به يتحد المؤمن . انها قوة الحياة الالهية ، في استمراريتها التى لا تنقطع ، والتى تمتلك المؤمنين بالمسيح .« افعله الآن ». هذا هو الأمر الذى يتناول اللحظة التى بين أيدينا . ورغم أنه يبدو شيئا زهيدا في ظاهره ، فهو ليس الا بداية لدوام هذه «الآن»، والتى هى اللحظة التى نمتلكها بين أيدينا فعلا ، والتى هى سر ومجد الأبدية . لذلك ، أيها المسيحى ، اثبت في المسيح : افعل هذا الآن .

اليوم السادس عشر

اثبتوا في المسيح

تاركين الكل لأجله

«... الذي من أجله خسرت كل الأشياء وأنا أحسبها نفاية ، لكي أربح المسيح ، وأوجد فيه »
(في ٣ : ٨ و ٩)

حيثما توجد الحياة نجد أن هناك عملية مبادلة دائمة من الأخذ والعطاء والقبول والارجاع . فما أتناوله من غذاء يتحول الى طاقة خارجية تتمثل في العمل الذى أقوم به . كما أن الانطباعات التى يستقبلها ذهنى ، أعبر عنها في الأفكار والمشاعر التى تصدر عنى . وهكذا نرى أن الواحد يعتمد على الآخر ـ والعطاء يزيد دائما عن قوة الأخذ ، فكلما أعطيت أكثر أخذت أكثر . والتمتع الحقيقى بالحياة يكمن في هذا التدريب الصحى للعطاء والأخذ .

كذلك الحال في الحياة الروحية أيضا . هناك مسيحيون ينظرون الى بركات الحياة الروحية كما لو كانت كلها تتركز في امتياز الأخذ على الدوام، انهم لا يعرفون كيف أن القدرة على القبول تحتفظ ببقائها وتزداد في قابليتها فقط عندما نعطى ما عندنا ونخرجه من حوزتنا ، والفراغ الذى ينشأ نتيجة اعطاء ما لدينا يمكن أن يصبح مجالا لسريان الملء الالهى . لقد كانت هذه حقيقة نبر المخلص عليها دائما . فعندما تحدث المسيح عن بيع الكل لكى نمتلك الكنز المخفى ، وأن الذى يخسر حياته من أجل الانجيل يجدها ، وأننا عندما نترك الكل من أجله فسوف تحصل على مائة ضعف ، فقد قصد المسيح بحديثه أن يشرح ويفسر الحاجة الى التضحية بالذات كقانون من قوانين ملكوت السموات ينطبق على شخصه المجيد كما ينطبق على تلاميذه سواء بسواء . اننا اذا كنا نبغى حقا أن نثبت في المسيح ونوجد فيه ، وأن تكون حياتنا على الدوام وبالتمام فيه ، ينبغى على كل واحد منا أن يرفع شعار بولس قائلا معه :« انى أحسب كل شيء أيضا خسارة من أجل فضل معرفة المسيح يسوع ربى ، لكى اربح المسيح وأوجد فيه ».

دعونا نحاول أن نرى ما الذى يتوجب علينا أن نتركه ونسلمه . أول كل شيء هناك الخطية . ولن يكون هناك تجديد حقيقى دون نبذ الخطية.

ومع ذلك ، فانه نظرا لأن الشخص الذى قد تجدد حديثا يجهـل حقيقة الخطية ، كما يجهل ماهية مطاليب قداسة الله ، والمدى الذى تستطيع قوة يسوع المسيح أن تصل اليه في توفير العون لنا لكى نقهر الخطية ، لذا فان مثل هذا الشخص لا يهجر الخطية بصفة نهائية ، لكن نبذه لها يكون عادة سطحيا وجزئيا . واذ تأخذ الحياة المسيحية في النمو تنشأ الحاجـة الى تطهير أكثر عمقا وشمولا لكل ما هو غير مقدس . ويحدث هذا بصفة خاصة عندما تصبح الرغبة في الثبـات في المسيح بلا انقطاع ، والوجـود فيه على الدوام ، رغبة متأججة لا تفتر ، عندئذ يقود الروح القـدس النفس لترى حاجتها الى عملية تسليم من نوع جديد ، تقبل فيها من جديد حقيقة الموت مع المسيح عـن الخطية ، وتنبذ بالفعل كل مـا يمت للخطية بصلة . ولأن طبيعتنا البشرية قد أودعها الله قوة عجيبة يستطيع بها المؤمن ، بمعونة روح الله ، أن يستجمع كل حياته المستقبلة ويسلمها في حركة ارادية من جانبه مرة واحدة ، ولا يعود المؤمن بعدهـا يخضع للخطية ، بل يصبح بالتمـام خادما للبر وحده . وهو يفعل هذا الأمر ولديه اليقين المبهج بأن كل خطية ينبذها ويسلمها تمثل في الواقـع مكسبا له وتفسح مـكانا يملؤه المسيح بحضوره وحبه .

ويلى نبذ الاثم التخلى عن البر الذاتى . ورغم أن هـذا البر الذاتى يتنافي بشكل حاد مع طبيعة أعمالنا واستحقاقنا الـذاتى ، لكننا في الغالب نأخذ وقتا طويلا قبل أن نقتنع بالفعل بضرورة رفض اعطاء الذات أقل حق أو أدنى مكان في خدمة الله . فنحن في الواقع وبدون وعى منا نسمح للأنشطة التى تصدر عن الذهن والقلب والارادة أن تأخذ مجالا حرا في حضرة الله . وفي صلواتنا وتعبدنا ، وفي دراساتنا الكتابية وعملنا من أجل الله ، بدلا من أن نعتمد كلية على قيادة الروح القدس ، ننتظر أن تقوم الذات فينا بعمل ليس في وسعها القيام به أبدا . اننا نبطىء في تعلم الدرس القائل « لأنه ليس ساكن في ، أى في جسدى ، شيء صالح ». واذ نتعلمه ، ونرى كيف يمتد الفساد الى كل شيء موجـود بالطبيعة ، عندئذ نرى انه لن يكون ممكنا أن نثبت تماما في المسيح ما لم ننبذ ونطرح جانبا كل ما يتصل بالذات في أمور الحياة الروحية ، وما لم نسلم للموت هذه الذات مع كل أعمالها ، وننتظر بدلا من ذلك نسمات الروح القدس ، ذلك أن الروح القدس هو وحده الذى يستطيع أن يعمل فينا ما هو مرضي أمام الله .

ثم هناك أيضا حياتنا الطبيعية بكاملها ، بكل ما منحه الله لها من قوى ومواهب ، وبكل ما أحاطتنا به العناية الالهية من مصالح وأشغال . فليس كافيا أنك حالما تتمتع فعلا باختبار الولادة الجديدة تلتهب أشواقـك لأن

تكرس هذه كلها لخدمة الرب . مثل هذه الرغبة حسنة ، لكنها لن تستطيع أن تسير بنا في طريق الخدمة ، كما أنها لا تستطيع أن تمنحنا القوة حتى نقوم بالخدمة بطريقة مرضية . ان الفكرة التى أساسها أنه حالما نصبح أولادا لله فان تشغيل مواهبنا في خدمته هو أمر طبيعي يتبع تجديدنا بالضرورة ، هذه الفكرة قد أصابت الروحانية العميقة للكنيسة بأضرار بالغة لا تقع تحت حصر . يا أعزائى ، اننا لكى نستخدم ما منحه لنا الله من مواهب طبيعية في عمل الله فان الأمر يحتاج حقيقة الى نعمة خاصة جدا . وسبيلنا للحصول على هذه النعمة هو ، من جديد ، التضحية والتسليم . انه من الضرورى أن أرى كيف أن كل ما عندى من قوى ومواهب لا يزال ملوثا بالخطية ، وتحت سلطان الجسد ، حتى ينبغى أن يغمرنى الاحساس بأننى لا أستطيع أن أشرع في الحال في استخدام قواى الطبيعية لمجد الله . انما يجب على أولا أن أضع الكل عند أقدام المسيح لكى يقبل ويقدس التقدمة. يجب أن أشعر أننى من ذاتى عاجز عجزا تاما عن استخدام ما لدى على الوجه الصحيح والمرضى لله . بل انه يجب على ان أرى أن مثل هذه المواهب والامكانيات تشكل في الواقع أعظم الخطر على حياتى الروحية ، ذلك لأنه من خلالها يستطيع الجسد أو الطبيعة العتيقة ، اى الذات ، أن تظهر قوتها وتؤكد تأثيرها . وفي اقتناعى هذا يجب على أن أتخلى عن التمسك بما لدى مسلما اياه بالتمام للرب . وعندما يقبل الرب ما أقدمه له ، ويضع خاتمه عليه ، أقبله من بين يديه من جديد ، وأحفظه كممتلكات تخص الرب، منتظرا اياه حتى يهبنى نعمة لكى أستخدم هذه الامكانيات على الوجه الصحيح يوما فيوما ، وأن أخضعها لتعمل تحت تأثيرات روحه القدوس . والاختبار يبرهن على صحة هذا الأمر أيضا ، وهو أن طريق التكريس الكامل هو بذاته طريق الخلاص الكامل . وليس فقط ما نسلمه هكذا يرد لنا من جديد مضاعفا ويعطى في أحضاننا كيلا ملبدا مهزوزا ، بل أن ترك الكل يتبعه الحصول على الكل . اننا في الحقيقة نثبت في المسيح بأكثر قوة عندما نترك الكل ونتبعه . واذ أحسب كل شيء خسارة من أجل خاطره، عندئذاك أربح المسيح وأوجد فيه .

وهذا المبدأ عينه يظل صحيحا بالنسبة لكل المقتنيات والممتلكات الشرعية التى ائتمننا الله عليها ، فهكذا كانت شباك السمك على بحر الجليل، والواجبات المنزلية المطلوبة من مرثا مواطنة بيت عنيا ، والبيت والأصدقاء الذين ينتمون لأكثر من تلميذ من تلاميذ المسيح . لقد علمهم يسوع بالفعل أن يتركوا الكل لأجله . لم تكن هذه وصية تعسفية أوصى بها المسيح ، لكنه التطبيق البسيط لأحد قوانين الطبيعة فيما يخص ملكوت النعمة – فكلما

كان طرد الساكن القديم كاملا امتلك الجديد المكان امتلاكا كاملا ، وأصبح تجديد الداخل بأكمله أكثر شمولا .

على أنه لا يزال هناك تطبيق أعمق لهذا المبدأ . فالعطايا الروحية الصحيحة التى هى من عمل روح الله القدوس ذاته فينا ، هذه العطايا نظن نحن أنها بالتأكيد لا تحتاج من جانبنا أن نسلمها ، فهل الأمر كذلك ؟ فى الحقيقة ينبغى أن نسلمها لالهنا كغيرها تماما ، ذلك أن تبادل الأخذ والعطاء هو عملية حيوية ، أو قل انه عمل الحياة ذاتها ، لا يتوقف أبدا ولا لحظة واحدة . فما أن يبدأ المؤمن يفرح بامتلاك ما قد أعطى له ، اذا بالنعمة الجديدة التى كان منتظرا أن تتدفق في الداخل يتعطل سريانها ، ويتهدد حياتنا الركود . ذلك أن أنهار المياه الحية تتدفق في النفس العطشى فحسب، فدوام التعطش هو السر في عدم العطش . وكل اختبار مبارك نقبله كهبة من الله يجب علينا في الحال أن نقدمه من جديد لذاك الذى أعطاه ، فاعلين هذا في روح الشكر والحب ، وفي روح الخدمة وانكار الذات ، وبهذا فقط يمكن أن يرد لنا ثانية ، جديدا ورائعا معطرا بنفحات السماء . أليس هذا هو الدرس العجيب الذى نتعلمه من اسحق على جبل المريا ؟ ألم يكن هو ابن الموعد ، وهو الحياة التى أعطاها الله لابراهيم وزوجته ، بل العطية المعجزية النابعة من قدرة ذاك الذى يقيم ويحيى الموتى ؟ (رو ٤: ١٧). ومع ذلك فحتى اسحق نفسه كان يجب أن يقدم لله ، ويوضع على المذبح ، لكى يمكن لابراهيم أن يسترده من جديد أغلى وأعز ألف مرة من ذى قبل . لقد كان اسحق مثالا ليسوع المسيح وحيد الآب ، الذى كان ينبغى أن يقدم حياته الطاهرة المقدسة فداء عنا قبل أن يكون ممكنا له استردادها مرة ثانية بقوة القيامة ، ومن ثم يستطيع أن يجعل شعبه شركاء فيها . وهو مثال أيضا لما يحدث في حياة كل واحد من أولاد الله ، فبدلا من أن يقنع مستريحا باختبارات مضت في حياته أو بما بين يديه من نعمة حاضرة ، عليه أن يمتد الى ما هو قدام ، ناسيا كل ما هو وراء مقدما اياه على المذبح ، ساعيا نحو الغرض ، حتى يستطيع التعرف على شخص المسيح الذى هو الحياة .

ونتساءل : هل مثل هذا التسليم الكامل لأجل معرفة المسيح ، هل هو خطوة محددة ، أى هل هو عمل نقوم به واختبار نحصل عليه في لحظة،أم هو منهاج يومى متجدد ومتقدم للبلوغ ؟ انه كلا الأمرين معا . قد تأتى لحظة في حياة المؤمن ، عندما يبصر لأول مرة ، أو قل عندما يعطى بصيرة أعمق ليدرك مجد هذه الحقيقة المباركة ، عندما يستجمع كل حياته المستقبلة ، وبارادة تشد من أزرها قوة الله في يوم مقبول يتخذ المؤمن قرارا حاسما لا رجعة فيه ، حيث يسلم ، في حركة حرة من ارادته التى تشددت بقوة الله ، كل

حياته واضعا اياها على المذبح ذبيحة حية مرضية . ان مثل هذه اللحظات التى تمر بها حياة المؤمنين كانت في أغلب الأحيان بمثابة الانتقال المبارك من حياة التيهان والفشل الى حياة الثبات والقوة الالهية . واذا ما تم هذا فى حياة المؤمن فان حياته اليومية تصبح حياة الصلاة بلا انقطاع لنـوال نور أعظم يضيء له معنى حياة التسليم الكامل ، وتقديم كل شيء لله بصفة متجددة وعلى الدوام .

أيها المؤمن ، اذا كنت ترغب في أن تثبت في المسيح ، فتأمل هذا الطريق المبارك . ان الطبيعة البشرية تنفر من اختبار انكار الذات وحمل الصليب بهذا التطبيق الضيق والمتشدد في الحياة . لكن ما تعجز عنه طبيعتنا وتنفر منه كارهة ، تستطيع نعمة الله أن تقوم به ، وتجعل منه حياة الفرح والمجد بالنسبة لك . فلو أنك فقط سلمت ذاتك للمسيح سيدك وربك ، فان القوة القاهرة لحضوره المبارك فيك سوف تجعله أمرا مبهجا لك أن تطرح جانبا كل شيء مهما كان قبلا غاليا جدا عليك . ان ما قاله السيد له المجد بهـذا الخصوص بأن يرث الواحد « مئة ضعف في هذه الحياة »، قد تحقق بالنسبة لكل الذين أطاعوا قوله وقبلوا وصيته وتركوا الكل من أجله ، وفعلوا ذلك بأمانة كاملة وبقلب سليم . واذ ينالون ما وعدوا به سرعان ما يجعلهم هذا يسلمون كل شيء لديهم بفرح وبهجة قلب . ولسوف يرون عنـدئذ أن سر حياة الثبات الراسخة يكمن ، ببساطة ، في هذا الأمر : أننى عنـدما أعطى نفسي بالتمام للمسيح سأجد القـوة لكى أمتلك المسيح بالتمـام لنفسى ، وعندما أخسر نفسي وكل ما أملك من أجله يضمنى هـو لنفسه ، ويعطينى ذاته بالكامل فيصبح ملكا لى .

اليوم السابع عشر

اثبتـوا في المسيح بواسطة الروح القدس

« وأما أنتم فالمسحة التى أخذتموها منه ثابتة فيكم، ولا حاجة بكم الى أن يعلمكم أحد ، بل كما تعلمكم هذه المسحة عينها عن كل شيء ، وهى حق وليست كـذبا ، كما علمتكم تثبتون فيه » (ا يو ٢:٢٧) .

ما أروع الفكر بأن يكون للواحد منا حياة الثبات الدائم في المسيح ! اننا كلما أمعنا التفكير في هذا الأمر أصبح اكثر جاذبية . ومع ذلك فما أكثر المرات التى تنهد فيها المؤمن الحديث العهد بالايمان عندما رنت في أذنيه هذه الكلمات الثمينة « اثبتوا في »! ويبدو كأنه لم يفهم الا القليل من هذه الكلمات، وليس بوسعه أن يدرك الا أقل القليل عن كيفية بلوغ هذا الفرح الكامـل . ويشتاق لو أن أحدا استطاع أن يجعل مثل هـذا الأمر واضحـا بما فيه الكفاية ، ويعيد الى ذاكرته من جـديد وعلى الدوام ان الثبات ، في واقـع الأمر ، انما هو شيء في متناول يده . ولو أن مثل هذا الانسان أصغى فقط الى ما ورد في رسالة يوحنا الرسول الأولى لهذا اليوم ، والتى تتصدر هذا الفصل ، كم من الرجاء والفرح تحملها له كلماتها ! انها تعطينا اليقين الالهى بأن لنا مسحة من الروح القدس لنعلم كل شيء ، وانه من بين ما تعلمه لنا هذه المسحة كيفية الثبات فى المسيح .

والأسف ! يجيب أحدهم قائلا : « ان الكلمات التى ذكرتها في صدر هذا اليوم لا تمنحنى عـزاء ، انها فقط تسبب لى الاحبـاط ! ذلك لانها ـ هكذا يقول ـ تحدثنى عن امتياز آخر لا اعرف الا القليل عن كيفية التمتـع به . فأنا لا أفهم كيف يعطى الروح القدس تعليمه ، أين وكيف أستطيع أن اميز صوته ؟ واذا كان المعلم ذاته غير معروف بهذا المقدار ، فليس عجيبا أن وعده بأن يعلمنى ما يتعلق بأمر الثبات لن يكون ذا فائدة كبيرة لى ».

وأقول ان مثل هذه الأفكار ترجع الى خطأ شائع بين المؤمنين . انهم يتصورون أن الروح القدس عندمـا يعلمهم يجب أن يعلن أسرار الحيـاة الروحية أولا لأذهانهم ، وبعد ذلك يختبرون ما قد عرفوه . لكن طريقة الله هى على العكس تماما من هذا . فان ما يصدق بالنسبة لكل الحقائق الروحية يصدق بنوع أخص على أمـر الثبات في المسيح : اننا يجب علينا أن نحيـا

ونختبر الحقيقة حتى يمكن أن نعرفها . ان حياة الشركة مع يسوع هى المدرسة الوحيدة التى فيها نتعلم عن الأشياء السماوية .« لست تعلم أنت الآن ما أنا أصنع ، لكنك ستفهم فيما بعد »، هذا قانون من قوانين الملكوت، وهو صحيح بنوع خاص بالنسبة لأمر التطهير اليومى الذى قيل بشأنه هذا الكلام ، وينطبق أيضا على الحفظ اليومى . فمدرسة الله تتطلب من الشخص الذى يلتحق بها أن يقبل ما لا يستطيع في البداية أن يفهمه ، وأن يخضع لما لا يستطيع أن يعقله ، وأن يتقبل ويتوقع ما يبدو بالنسبة للمنطق أنه سر ، وأن يصدق ويؤمن بما يبدو أنه أمر مستحيل ، وأن يقبل السير في طريق لا يعرفه مقدما ، تلك هى الدروس الأولى في مدرسة الله . يقول المسيح ما معناه : ان ثبتم في كلامى ، ستعرفون الحق . بمثل هذه الكلمات وكلمات أخرى نطق بها الله نتعلم أن مسألة فهم الحق لا تأتى أولا ، وانما يسبقها تعود الذهن والحياة على ممارسة هذا الحق . ذلك أن التلمذة الحقيقية تتلخص في اتباع الرب في المقام الأول ، ثم بعد ذلك معرفة الرب.

وهذه المبادىء صحيحة بوجه خاص فيما يتعلق بتعليم الروح القدس، هذا التعليم الذى يتركز في قيادته للحياة الروحية في داخلنا لتتواءم مع تلك التى أعدها الله لنا ، دون أن تكون لنا المعرفة الدائمة بكيفية حدوث ذلك. فتأسيسا على قوة الوعد الالهى ، والثقة التى تملأ قلب المؤمن من جهة أمانة الله ، يخضع المؤمن ذاته لقيادة الروح القدس، دون أن يطالب بأية ايضاحات للعقل بخصوص ما يريد روح الله أن يفعله ، بل يوافق على أن يدع الروح القدس يتمم عمله في النفس ، ثم بعد ذلك يعرف حقيقة ما قام به روح الله هناك . فالايمان يثق بالعمل الذى يعمله الروح القدس في الخفاء في أعماق ومخادع النفس الداخلية . وهكذا فان كلمة المسيح وعطية الروح القدس للمؤمن فيهما الضمان الكافي بأنه سيكون متعلما من الروح القدس نفسه كيف يثبت في المسيح . فبالايمان يستطيع المؤمن أن يفرح بما لا يراه بالعين المادية وما لا يشعر به بالحواس الطبيعية . انه يعلم ويثق بأن روح الله القدوس المبارك في داخله يقوم بالعمل في هدوء وبكل يقين ، مرشدا اياه الى حياة الثبات الكامل والشركة التى لا تنفصم . فالروح القدس هو بذاته روح الحياة في المسيح يسوع ، وعمله ليس قاصرا فقط على منح الحياة الجديدة، لكنه على الدوام يهذب ، ويشدد أيضا ، وهكذا يصل بالحياة الجديدة فى الداخل الى الكمال . وبالقدر الذى يخضع فيه المؤمن ذاته في ثقة الأطفال لناموس روح الحياة العامل فيه ، والذى يعمل بكل تأكيد دون أن نراه ، بهذا القدر تماما يتحول الايمان في داخله الى المعرفة . وسيكافأ المؤمن بأن ينير الروح القدس أمام ذهنه الاعلانات الالهية في الكلمة النبوية بخصوص حقيقة ما قام به الروح ذاته في حياته الداخلية .

والآن دعونا نطبق هذا على الوعد الذى أعطاه لنا الله بخصوص تعليم الروح القدس لنا عن كيفية الثبات في المسيح . فالروح القدس هو حقا قوة الله المقتدرة . وهو يأتى الى حياتنا منبعثا من قلب المسيح ، فهو الذى يحمل الينا حياة المسيح ، كما أنه هو الذى يعلن لنا ويوصل الينا المسيح بذاته في داخلنا . وفي التعبير الكتابى « شركة الروح القدس » يعلمنا الوحى ماهية العمل الأسمى للروح في حياتنا . ان الروح القدس هــو رباط الشركة بين الآب والابن ، فالروح القدس هو روح الآب وهو أيضا روح الابن . والروح القدس أيضا هو رباط الشركة بين جميع المؤمنين ، فهم ـ أى المؤمنون ـ واحد فيه . والروح القدس هو ، فوق كل شيء ، رباط الشركة بين المسيح والمؤمنين . انه عصارة الحياة التى بواسطتها ينمو كل من الغصن والكرمة في وحدة حقيقية حية . فنحن المؤمنين واحد في المسيح بعمل الروح القدس، ولنا أن نتيقن أنه اذا كنا فقط نؤمن بحقيقة حضوره وعمله فينا ، واذا كنا فقط نحترص الا نحزنه ، لعلمنا بأنه يسكن فينا ، واذا كنا ننتظر ونصلى أن نمتلىء منه ، فهو اذا سيعلمنا كيف نثبت . انه سيرشــدنا أولا الى أن نلتصق بالمسيح بكل قلوبنا ، ثم ينعش الايمان فينــا لكى تزداد ثقتنا على الدوام ويتشدد انتظـارنا ، ثم يبعث في قلوبنا سلاما وفرحا يفوق العقــل معلما ايانا أن نثبت ، بكيفية تفوق ادراكنا . ثم اذ يسرى روح الحياة من خلال قلوبنا وحياتنا الى أذهاننا ، فانه يجعلنا نعرف الحقيقة ـ ليس كمجرد حقيقة عقلانية أو ذهنية ، بل كما هو حق في يسوع المسيح ، فيعكس الروح القدس الى أذهاننا نور العمل الذى أجراه فعــلا وجعله شيئا واقعــا فى حياتنا . « والحياة كانت نور الناس » .

ومن وجهة نظر تعليم كهذا ، فانه من الــواضح اننا اذا كنا نرغب أن يقودنا الروح القدس الى حياة الثبات ، فان حاجتنا الأولى هى الى الايمان المستريـح المطمئن . وفي قلب كل الأسئلة المحـيرة والصعوبات التى قــد تواجهنا فيما يتعلق بجهادنا للثبات في المسيح ، وفي قلب كل الأشواق التى قد تعتمل أحيانا في قلوبنا متطلعين الى عون يأتينا من مـؤمن مختبر ، وفي غمرة احساسنا المؤلم من حين لآخر بما نعانيه من فشل وجهل وعجز ـ الا ليتنا نمسك بقوة بهذا اليقين المبارك : أن لنا مسحة من القدوس وهو الذى يعلمنا أن نثبت فيه . « وأما أنتم فالمسحة التى أخذتموها منه ثابتة فيكم . . كما علمتكم تثبتون فيه » . ليتك تجعل من هذا التعليم الذى للروح القدس فيما يتعلق بالثبات في المسيح موضوعا لتدريب خاص في الايمان . ليكن لك الايمان بأنه كما أن لك ـ بكل تأكيد ـ نصيبا في المسيح ، كـذلك فان لك أيضا روح المسيح . ثق أنه سوف يتمم عمله بكل قوة ، فقط اذا كنت لا تمنعه . ثق أيضا أنه يعمل الآن ، حتى وان كنت لا تقدر أن تدرك هذا العمل

أو تفطن اليــه . وثق انه سوف يعمــل بكل اقتــدار اذا أنت سألت الآب السماوي من جهة هذا الأمر . انه من المستحيــل أن تحيا حياة الثبــات الكامل اذا لم تكن ممتلئا من روح الله . ثق بأن ملء الروح القدس هو فى الحقيقة نصيبك اليومى . تحل باليقين واصرف وقتا في الصلاة ماكثا لدى موطيء عرش الله والخروف،حيث يجرى نهر ماء الحياة صافيا كبلور. نعم، هناك ، وهناك فقط ، تستطيع أن تمتلىء من الروح . ازرع بكل حــرص عادة توقير الرب يوميا ، نعــم وعلى الدوام ، بأن تكون لك الثقة الهــادئة المطمئنة بأنه يقوم بعمله في داخلك . ودعونا نجعل ايماننا بسكناه في داخلنا ينشيء فينا الغيرة ضد كل ما يمكن أن يحزنه فينا ـ روح العالم أو الأعمال الصادرة عن الجسد أو الذات . وليتنا نجعل هذا الايمان يتغذى على كلمة الله وفي كل ما تحدثنا به عن الروح ، وقدرته ، وتعزياته ، وعمله . وفوق كل شيء ، ليت هذا الايمان بسكنى الروح في داخلك يقودك على وجه الخصوص أن تنظر الى يسوع ، وحيث أننا قــد قبلنا المسحة منه فان هــذه المسحة تفيض فينا من شخصه بأكثر قوة ما دمنا مشغولين به وحده . ان المسيح هو القدوس الممسوح . واذ نتطلع اليه سوف ننال منه المسحة ،« كالدهن الطيب على الرأس ، النازل على اللحية ، لحية هرون ، النازل الى طــرف ثيابه ». ان الايمان بيسوع يعطى لنا المسحة ، والمسحة تقودنا الى يسوع، والى الثبات فيه وحده .

أيها المؤمن، اثبت في المسيح في قوة الروح القدوس. هل هناك داع يجعلك تفكر بعد في أمر الثبات كأنه شيء يسبب لك الخوف ، أو يضع ثقلا عليك ؟ كلا بالتأكيد . آه ، لو أننا فقط عرفنا نعمة ورأفة معزينا القدوس ، والبركة التى من نصيبنا ! لو أننا سلمنا بالتمــام ذواتنا لقيادته ، لكنا في الحقيقة نختبر التعزية الالهية لامتلاكنا معلما الهيا كهذا يضمن ثباتنا في المسيح . لقد أعطى الروح القدس لأجل هذا القصد الواحد وهو أن الحياة التى فى المسيح وفدائه المجيد تنتقل بقوة الله الينا وتصبح من نصيبنا . فالــروح القدس قد أعطى لنا لكى يجعل المسيح الحى ، بكل قوته المخلصة ، وفي كمال نصرته على الخطية ، حاضرا على الدوام معنا . ان هذا هو ما يجعل الروح بالنسبة لنا هو الروح المعزى ، فنحن معه لن نحتاج أبدا أن ننــوح ونبكى مسيحا غائبا . دعونا اذن ، كلما قرأنا ، أو تأملنا ، أو صلينا بخصوص أمر الثبات هذا في المسيح ، أن نأخذها قضية مسلمة أننا نملك روح الله ذاته في دواخلنا ، معلما لنا ، ومرشدا ايانا ، وعاملا فينا . دعونا نبتهج باليقين بأننا لابد وأن ننجح في تحقيق رغبتنا ، لأن الروح القدس يعمل فينا كل الوقت بقوة خفية الهية ، وهو يعمل في النفس ما لم تعق عمله فيها بسبب عــدم ايمانهــا .

اليوم الثامن عشر

اثبتــوا فى المسيح
فى هدوء النفس

« بالرجوع والسكون تخلصون . بالهدوء والطمانينة تكون قوتكم » (اش ٣٠ : ١٥).

« انتظر الرب (أى كن ساكنا أمامه)، واصبر » (مــز ٣٧ : ٧).

« انمــا لله انتظــرت نفسي (أى بقيت ساكنة) » (مــز ٦٢ : ١).

هناك رأى يعتبر الحياة المسيحية نوعا من المشاركة بين الله والانسان، يقوم كل منهما بالعمل الذى يخصه . وهذا الرأى يقر ــ مــع ذلك ــ بأن الانسان لا يستطيع أن يعمل الا أقل القليل ، وأنه حتى هذا القليل التافهه ملوث بالخطية . ومع ذلك يقولون ان على الانسان أن يبــذل أقصي مـــا في وسعه ــ وعندئذ فقط يمكنه أن يتوقع أن الله يقوم بما عليه . ان هؤلاء الذين يفكرون بهذا الشكل سيجدونه أمرا غاية في الصعوبة أن يفهموا قصد الكتاب حينما يتكلم عن وجوب سكوننا وعدم قيامنا بأى عمل من جانبنا ، أو عندما يطلب منا أن نستريح وننتظر خلاص الله . ان الأمر يبدو لهم متناقضا تماما عندما نتحدث عن ضرورة هذا الهدوء والامتناع عن كل مجهود من جانبنا ، وأن هذا السكون والهدوء هو السر وراء ذروة النشاط في الانسان بكل مـــا يملك من قوى وامكانيات . ومع ذلك فان هــذا هو بالضبط عين ما يعلمنا اياه الكتـــاب .

أمـــا تفسير هــذا الأمر الذى يبــدو كأنه سر ، فهــو أن الكتـــاب عندما يتكلم عن الله والانسان عاملين معا ، فهو لا يعنى فكــرة المشاركة أو الشركة بين شريكين على كل منهما أن يؤدى ما عليه للمساهمة في اتمام هذا العمل . ان العلاقة التى يقصدها جد مختلفة عن هذا الفكر . والرأى الصواب هو أن مثل هذه العلاقة الثنائية هى علاقة تعاون مؤسسة على الخضوع من جانب الانسان . فكما كان يسوع متكلا تماما على الآب في كل ما يقول ويفعل هكذا المؤمن لا يقدر أن يفعل شيئا من ذاته . ان كل ما يمكن أن يصدر عن الذات هو خاطىء تماما بالطبيعة . لذلك فانه يجب أن يكف تماما عن أعمال

الذات ، منتظرا عمل الله فيه . واذ يكف عن مجهوداته الذاتية فان الايمان يؤكد له على أن الله يفعل ما قد أخذ على عاتقه أن يفعله . ان عمل الله فى الانسان هو أن يجدد ، ويقـدس ، ويوقظ كل الطاقـات التى في الانسان لتعمل بأقصى قوة لها . وهكذا عندما يخضع الانسان ذاته كآلة في يد الله ، بكل ما تتصف به الآلة من سلبية حقيقية ، فانه بنفس المقدار تمامايستخدمه الله كأداة نشيطة لاظهار قوته المقتدرة . ان النفس التى يتحقق فيها بشكل كامل تماما ، هذا الاتحاد العجيب بين السلبية الكاملة في الانسان والنشاط الالهى في كماله ، مثل هـذه النفس يتوافر لديها أعمـق اختبار ممكن عن ماهية الحياة المسيحية .

ان من بين الدروس التى يجب أن يتعلمها أولئك الذين يدرسون هذا الفن المبارك ، فن الثبات في المسيح ، لا يوجد ما هو أكثر الحاحا وأكثر نفعا لهم نظير هذا الدرس عن تسكين النفس . فعن طريق هذا الدرس وحـده يمكننا أن نعود أرواحنا على قبول التعليم والتلمذة ، فالروح هى التى يهتم الرب بأن يعلن لها أسراره ــ وهى تلك الروح الوديعة الوداعة التى يسر بأن يعلمها طرقه . تلك الروح الوديعة قد ظهرت بشكل رائع جميل في المريمات الثلاث : أولهن القديسة العذراء مريم والتى ــ أمام أعظم الاعـلانات عجبا التى أعلنها الله أبدا للبشر ــ كانت اجابتها الوحيدة :« هوذا أنا أمة الرب . ليكن لى كقولك »، والتى كتب عنهـا أنها عندما وجدت الأمـور الغامضة والأسرار قد اكتنفتها من كل ناحية :« وأما مريم فكانت تحفظ جميع هذه الأمور متفكرة بها في قلبها ». ومريم الأخرى التى كانت « تجلس عند قدمى يسوع تسمع كلامه »، والتى ــ عندما دهنت بالطيب جسد السيد للتكفين ــ أظهرت كيف أنها دخلت بعمق الى سر موته أكثر حتى من التلميذ الذى كان يسوع يحبه . وثالثة المـريمات هى تلك التى سعت وراء الـرب في بيت الفريسي ، ودموعها تتكلم أكثر من كلماتها . تلك أمثلة عن النفس الصامتة أمام الله ، وهو الوضع الأفضل لمعرفة يسوع ، والاحتفاظ جيدا بالبركات التى يغدقها علينا . انه عندما تعتصم النفس بالصمت في وقار وتعبد ورهبة في الحضرة الالهية المقدسة التى تعلن عن نفسها في الداخل ، عندئذاك يمكنها ان تسمع الصوت المنخفض الخفيف ــ صوت الروح القدس المبارك .

لذلك ، أدعوك يا عزيزى ، يا من صرت ابنا لله ، أن يكون أول ما يخطر ببالك في سعيك لتدرك السر المبارك للثبات في المسيح ، أن تتمثل بما جـاء في (مزمور ٦٢:٥) حيث يقول المرنم :« انما لله انتظرى يا نفسى لأن من قبله رجائى ». وتترجم عبارة « انتظرى يا نفسي » بمعنى « فقط اهدئى وكونى ساكنة يا نفسي في محضره ». هل ترجو حقا أن تدرك سر الاتحاد العجيب مع الكرمة السماوى ؟ ألا ليتك تعلم أن لحما ودما ليس في امـكانه أن يعلن

لك هذا الأمر ، لكنه الآب السماوى . انني أقول لك بكلمة الله « كف عن فطنتك ». عليك فقط أن تحنى رأسك معترفا بجهلك وعجزك ، والآب السماوى سوف يسر أن يعطيك التعليم الذى يعلنه الروح القدس . لو أنك فقط فتحت أذنيك وأخضعت كل فكر لديك ، وأعددت قلبك في سكون لتنتظر أمام الرب ، وتنتظر الرب ، وترهف السمع الى ما يتحدث به اليك ، فانه ـ تبارك اسمه ـ سوف يعلن لك أسراره .

ولسوف يكون أول هذه الأسرار بداءة أن تعطى بصيرة أعمق تنفذ بها الى هذه الحقيقة ، وهى انك كلما خضعت واتضعت أمام الهك مقرا بعجزك وبأنك لا شىء ، مسكنا ومهدئا نفسك في محضره كيما تلتقط أخفت همس من همسات حبه ، عندئذ سوف تعرف تعليم الروح القدس ، الأمر الذى لم يسبق لأذنك سماعه أبدا من قبل وسط اندفاعات وضجيج أفكارك ومجهوداتك الذاتية . وسوف تتعلم أن أعظم عمل تقوم به هو أن تصغى ، وأن تسمع ، وتصدق ما قد وعد به ، وأن تسهر وتنتظر وترى ما يفعله لك . ثم بعدئذ في ايمان ، وتعبد ، وطاعة ، تخضع ذاتك لعمله الذى يعمل فيك بقوة .

وقد يتصور البعض أنه لا يمكن أن تكون هناك رسالة أجمل وأرحب من هذه ، فلنكن هادئين مستريحين ، مادام الله سوف يعمل لأجلنا وفينا ! ومع ذلك فما أبعد هذا عن الواقع الذى نتكلم عنه ! وكم يتباطأ الكثيرون في فهم معنى الهدوء المقصود بأنه هو البركة وهو القوة . بل انه المصدر الحقيقى للنشاط في ذروته ـ بل انه سر كل ثبات حقيقى في المسيح ! دعونا نتعلمه ، ونسهر ضد كل ما يتعارض معه . ان الأخطار التى تتهدد راحة النفس ليست بقليلة .

ان النفس الموزعة والمشتتة يصيبها هذا التمزق نتيجة دخولها ، دون داع وبتورط أكثر من اللازم ، في دوامة اهتمامات هذا العالم . ان كل واحد من أولاد الله له دعوته الالهية ، وفي الدائرة التى رسمها الله بذاته ، وانه لمن الواجب علينا أن نهتم بأعمالنا وبما يحيط بنا . لكنه حتى في هذا الأمر يحتاج المسيحى أن يمارس اليقظة والسهر والتعقل . والاكثر من هذا أننا لا نزال نحتاج فعلا الى تعفف وضبط للنفس فيما يختص بالأشياء التى لم يلزمنا الله بها أو يفرضها علينا بصفة محتمة . فاذا كنا حقا نهدف أول ما نهدف الى الثبات في المسيح ، فدعونا اذن نحترص من كل أنواع الاثارة التى لا داعى لها . دعونا نكون ساهرين حتى من جهة الأشياء الشرعية والضرورية والا فان هذه الأشياء ، بما لها من قوة مذهلة ، سوف تبقى النفس في اسارها ، وتشغلها الى الدرجة التى لا تترك للنفس الا القليل من

القوة أو متعة الشركة مع الله . ثم هناك أيضا عدم الاستقرار والقلق الذى يأتى نتيجة الاهتمام والاضطراب بخصوص الأشياء الأرضية ، وهذه تأكل في طريقها حياة الثقة والاتكال،وتبقى النفس في حالة أشبه بالبحر المضطرب. وفي حال كهـذه الحال فان الهمسات اللطيفة التى لروح الله القـدوس لن يمكننا سماعهـا .

كما أن روح الخوف وعدم الثقة بخصوص الأشياء الروحية ، ليست أقل ضررا ، وفي هذه الحالة فان النفس بما يكتنفها من مخـاوف ووسط المجهودات التى تبذلها ، لن تستطيع أبدا أن تأتى حقيقة لتسمع ما يريد الله أن يقوله . وفوق الكل هناك عدم الراحة الذى يأتينا من سعينا بطرقنـا الخاصة وبقوانا الذاتية للحصول على البركة التى سبيلها الـوحيد انتظار نوالها من فـوق فحسب . نعـم ، فالقلب المشغـول بتخطيطاته الـذاتية ومجهوداته الشخصية لفعـل ارادة الله ، وضمان بركة الثبـات في المسيح يسوع ، مصيره الفشل المحتوم . ذلك أن عمل الله نعوقه نحن بتدخلنـا . فهو ـ تبارك اسمه ـ يستطيع أن يقوم بعمله على الوجه الأكمل فقط عندما تكف النفس عن مجهوداتها . وهو سوف يتمم عمله باقتدار في النفس التى تكرمه عندما تتوقع منه تعالى أن يعمل هو فيها حتى تريد وتفعل مسرته .

وآخر الكل ، وحتى عندما تكون النفس جادة في سعيها لتدخل طريق الايمان ، نجد أن الجسد يتدخل بطبيعته العديمة الصبر ، ويبنى أحـكامه بخصوص الحياة ونمو النفس ليس بحسب المقيـاس الالهى لكن بحسب البشر .

وفي تعاملنا مع كل هذه ، واكثر منها بكثير ، طوبى للانسان الذى يتعلم درس الهدوء ، ويقبل تماما كلمة الله التى تقول :« بالهدوء والطمأنينة تكون قوتكم ». وفي كل مرة نستمع فيها الى كلمة الله ، او ندخل الى حضرة الآب السماوى مصلين ، دعونا الا نتجاسر ونبدأ تأملاتنا الكتابية أو صلواتنا دون أن تكون لنا أولا فـرصة للصمت والهدوء والانتظار أمـام الرب ، فنسكن نفوسنا في الحضرة الالهية السرمدية الجليلة . واذ تمتلىء النفس بالاحساس بقرب الرب ، فانها تخضع ذاتها بفعل ارادى هادىء لتعليم وعمـل الروح القدس ، عالمة وشاعرة بمدى حماقتها بسبب استعدادها الدائم أن تثبت ذاتيتها ، وتقتحم بأفكارها ومجهوداتها الخاصة حتى أقدس الأشياء . لذلك فهى تهدأ وتنتظر في صمت مقـدس ، حتى تصير بكليتها في هـدوء وعلى استعداد أن تستقبل الاعلان بخصوص الارادة الالهية والحضرة الالهية . وهكذا تصبح قراءة الكتاب والصلاة بالنسبة للنفس بمثابة انتظار أمام الله

بقلب مفتوح وأذن مختونة على استعداد لتستقبل تماما ما يقوله هو وحده له المجـــد .

« اثبتوا في المسيح ! ». لا يخدعن أحد نفسه فيظن انه يقدر أن يفعل هذا دون أن يكون له الوقت الهـادىء اليومى ، وأوقات التأمـل الخاصة وانتظار الرب . واذ يمارس المؤمن هذه الأمور ، فان النفس تقتنى ولا شك عادة حميدة ، حيث يخرج المؤمن الى العالم الخارجى بما فيه من مشاغـل ومشغوليات تشتت الذهن ، أما هو فيمتلىء من سلام الله الذى يفوق كل عقل ليحفظ قلبه وفكره في المسيح يسوع . ان نفسا هادئة مطمئنة كهـذه لتستطيع حياة الايمان أن تضرب جذورها فيها بعمق ، الأمـر الذى يمكن روح الله القدوس من أن يعلم تعليمه المبارك ، وهكذا يتمم الآب السماوى عمله المجيد . ليت كل واحد منا يتعلم أن يقول كل يوم « انما لله انتظرت نفسي ». وليت كل احساس بصعوبة بلوغ هذا المرتقى في الحيـاة الروحية يدفعنا بالحرى لأن ننظـر ببساطة وفي ثقة الى ذاك الـذى حضوره يسكن العاصفة . ليتنا ننمى فينا عادة الهدوء كوسيلة للثبات في المسيح ، ونتوقع كثمرة للثبات في المسيح — أن تتعمق في نفـوسنا على الدوام أحـاسيس الراحة والهدوء والسلام التى مصدرها السماء .

اليوم التاسع عشر

اثبتوا فى المسيح فى الآلام والتجارب

« كل غصن في ياتى بثمر ، ينقيه ليأتى بثمر أكثر » (يو ١٥:١)

في كل المملكة النباتية لا يوجد مثل الكرمة أكثر ملاءمة لصورة الانسان في علاقته بالله . ولا يوجد في عالم النبات مثل الكرمة في ثمرها وما يشتمل عليه من عصير ممتلىء بالحيوية ، ينعش وينشط . لكن لا يوجد أيضا نبات نظير الكرمة يميل بطبعه وطبيعته لأن يصبح شرا بالكامل ـ وليس ما يماثل الكرمة عندما تصير عقيمة وبلا ثمر فتتحول بذلك الى خشب لا قيمة له على الاطلاق الا أن يقطع ويلقى في النار . وبين كل أنواع النبات لا يوجد أكثر من الكرمة حاجة لسكين البستانى للتشذيب والتنقية بشكل يكاد يكون دائما وغير منقطع . كما أنه لا يوجد نبات نظير الكرمة يعتمد في نموه واتيانه بثمر على السهر والعناية ، لكنه أيضا لا يوجد نظير الكرمة التى اذ يتبع معها البستانى هذه المعاملات تعطى له في النهاية أسخى المكافآت . وفي مثل الكرمة الذى أورده المخلص له المجد يستخدم السيد المبارك كلمة واحدة يشير بها الى احتياج الكرمة لهذا التشذيب والتقليم ، وما تؤول اليه هذه العملية المؤلمة من الثمر الوفير . وهذه الكلمة التى استخدمها الرب تخرج منها أشعة نورانية تلقى من نورها السماوى على هذا العالم المظلم ، المملوء هكذا بالآلام والأحزان بالنسبة للمؤمنين ! يا لكنوز التعليم والتعزية التى تفيض على الغصن الدامى في ساعة التجربة الأليمة :« وكل غصن يأتى بثمر ، ينقيه ، ليأتى بثمر أكثر » . وهكذا أعد الرب شعبه ، الذى يميل في ساعة التجربة لأن تهتز ثقته ويتزعزع ثباته في المسيح ، لكى يسمع في وقت الألم صوت المبشر يأتى الى آذانهم متكلما في همس وداعيا اياهم للثبات بقوة أكثر . نعم، أيها المؤمن ، اثبت في المسيح ، وعلى وجه الخصوص في وقت التجربة .

اثبت في المسيح ! هذا بالحق هو قصد الآب من السماح بالتجربة . ففى العواصف تضرب الشجرة جذورها بعمق أكثر في التربة ، وعندما يأتى اعصار يكتسح ما أمامه فان المقيمين بداخل المنزل يثبتون بداخله ، مبتهجين بما يقدمه لهم المنزل من حماية . وهكذا فانه عن طريق الآلام يرغب الآب السماوى أن يقودنا لندخل بعمق أكثر في محبة المسيح . ان قلوبنا على

الدوام تجنح للذهاب بعيدا عنه ، فالنجاح في الحياة والملذات التى في هذا العالم تشبع حواسنا بكل سهولة ، وفي ذات الوقت تقتل فينا التطلعات الروحية أو على أقل تقدير تطمس فينا الحواس الروحية ، وتجعلنا غير صالحين للشركة الكاملة مع شخصه المبارك . انها لرحمة تفوق الوصف تأتينا من لدنه تعالى عندما يمد الآب السماوى عصا التأديب علينا ، ويجعل العالم من حولنا يبدو مظلما كله وبلا جاذبية ، ويقودنا للشعور العميق بفساد طبيعتنا ، فنفقد ، لوقت ما ، فرحنا وبهجتنا بتلك الأشياء ، والتى بدون ذلك التأديب تشكل أكبر الخطر على حياتنا . والآب السماوى يفعل هذا آملا أننا ، اذ نجد راحتنا في المسيح في وقت المتاعب ، سوف نتعلم أن نختار الثبات فيه لأنه نصيبنا الوحيد الصالح ، وعندما تزول التجربة وينتهى الألم ، نكون قد زدنا فيه نموا وثباتا للدرجة التى يصبح فيها ــ تبارك اسمه ــ هو الفرح الوحيد لنا حتى ونحن في قلب النجاح والازدهار العالمى. ولقد جعل الآب السماوى قلبه على هذا الأمر ، الى الحد الذى لن يمتنع فيه عن استخدام أقسي أنواع التأديب ايلاما ، طالما أنه ليس ممكنا عن غير هذا الطريق قيادة أولاده المحبوبين ليأتوا الى البيت ويثبتوا هناك في الابن المحبوب ــ وذلك رغم كون الآب لا يجد ، حقيقة ، أية لذة أو مسرة في ايلامنا أو آلامنا . أيها المسيحى ! صل لكى يهبك الله نعمة لترى ، فى كل مشقة تكتنف حياتك ، صغيرة كانت أم كبيرة ، أن اصبع الآب السماوى يشير لك الى يسوع ، قائلا : اثبت فيه .

اثبت في المسيح : وهكذا سوف تصبح شريكا في كل البركات الغنية التى خصصها الله لك في الألم . وسوف تنكشف لك مقاصد حكمة الله ، وسوف يزداد يقينك رسوخا بخصوص محبة الله غير المتغيرة من نحوك ، وسوف يتمم لك روح الله بقوته ذلك الوعد الثمين « يؤدبنا لأجل المنفعة (أى لأجل منفعتنا) لكى نشترك في قداسته » . اثبت في المسيح ، وسوف يصبح صليبك واسطة الشركة مع صليب المسيح ، وسبيلك للوصول الى أسرار صليبه ــ فسر اللعنة التى حملها لأجلك ، والموت الذى ماته للخطية والذى أصبحت أنت شريكا فيه ، وسر حبه الذى فيه ، كرئيس كهنة يرثى لضعفاتنا قد تنازل الى عمق أحزاننا، كل هذه بعض أسرار صليب المسيح! . اثبت في المسيح حتى تنمو مشابها لسيدك المبارك في آلامه ، وتحصل على اختبار أعمق عن حقيقة ورقة حبه ويصبح هذا اختبارك أنت بالذات . اثبت في المسيح فانك في قلب الأتون المحمى سوف ترى « الرابع الشبيه بابن الآلهة » . يسوع له كل المجد ــ بصورة أمجد مما لم تر من قبل . هناك يتنقى الذهب وينفصل منه الزغل والخبث ، وينعكس عليك شبه المسيح. الا ليتك تثبت في المسيح ! فيه تموت قوة الطبيعة العتيقة ، وهذه الطبيعة

الفاسدة بما فيها من عدم صبر ومن ارادة ذاتية أنانية سوف تتكسر حدتها، تاركة مكانا لوداعة المسيح وحلمه . ان المؤمن قد يمر من خلال آلام وتجارب كثيرة ، ومع ذلك لا يحصل من كل هذه الا أقل القليل من البركة . أما اذا كان ثابتا في المسيح في قلب الآلام فهذا هو السر الوحيد للتمتع بكل البركات التى قصدها الآب السماوى من السماح لسحابة هذه الآلام أن تعبر أفق حياته لكى يحصل منها على تلك البركات .

اثبت في المسيح . ففيه سوف تجد التعزية الوفيرة والأكيدة . والشخص المتألم يتمتع غالبا بالتعزية أول كل شيء ، ثم يحصل بعد ذلك على فوائد الألم . ان الآب السماوى يحبنا لدرجة أن أمر ثباتنا ـ باعتباره المنفعة الحقيقية لنا ـ يشكل بالنسبة لله غرضا أساسيا ، لكنه ـ تبارك اسمه ـ لا ينسي أن يعزينا أيضا . وعندما يعطينا التعزية فهو يفعل ذلك لعله يحول قلوبنا المجروحة نحو شخصه لكى تنال البركة في الشركة معه ، وقد يحجب الهنا التعزية عنا ، لكن قصده من الألم يبقى لا يتغير . ذلك أن التعزية الحقيقية تأتينا عندما يجعل منا شركاء في قداسته . ان الروح القدس هو المعزى ، ليس فقط لأنه يمكنه أن يوحى للانسان بأفكار التعزية النابعة من محبة الله ، لكن أكثر من ذلك ، لأنه يجعلنا مقدسين ، ويحضرنا الى شركة وثيقة مع الآب ومع ابنه يسوع المسيح . انه يعلمنا أن نثبت في المسيح ، وعندما نفعل نجد الله هناك ، واذ ذاك نتمتع حقيقة بأفضل أنواع التعزية وأسماها . ففى المسيح ينكشف لنا قلب الآب المحب ، ونناك هناك أسمى التعزيات حيث نرتاح في حضنه . وفي المسيح تستعلن لنا محبة الله في ملئها، متحدة مع رقة قلب الأم في عواطفها ـ وماذا يمكن أن يعزينا أكثر ؟ وفيه نعطى ونال تعويضا أضعاف ما خسرنا . الا ترون معى كيف أن الله عندما يأخذ منا فانه يفعل ذلك لكى يتوفر لدينا مكان لنأخذ من بين يديه ما هو أفضل بما لا يقاس ؟ نعم ، وفي المسيح يتقدس الألم ويصبح لنا عربون مجد ابدى ، ففى الآلام التى نتحملها من أجله نجد أن روح الله والمجد يحل علينا. أيها المؤمن ! هل تريد أن تكون لك تعزية في الألم ؟ اثبت في المسيح .

اثبت في المسيح : وبهذا سوف تأتى بثمر كثير . فانه لم يغرس أحدهم كرمة الا ووضع قلبه على الثمر الذى سوف يحصل عليه منها . هناك أنواع من الشجر تزرع بقصد الزينة ، أو لكى نستظل بظلها ، أو لكى نحصل منها على الأخشاب ـ أما الكرمة فان صاحبها يطلب منها الثمر فحسب . ومن كل كرمة يطلب الكرام جاهدا وعلى الدوام كيف يحصل منها على الثمر ، والثمر الكثير . أيها المؤمن ! اثبت في المسيح في أوقات الألم ، وسوف تأتى بثمر كثير . انك اذا دخلت الى عمق اختبار رقة المسيح ومحبة الله الآب فان هذا سوف يدفعك لأن تحيا لمجده . انك اذ تخضع ذاتك وارادتك في

الألم فهذا سوف يعدك لكى تتعاطف مع الآخرين في محنتهم ، كما أن الرقة التى تتولد فيك نتيجة التـأديب سوف تجعلك مؤهلا لأن تصبح ، نظـير يسوع ، خادما للجميع . انك اذ تتفكر فيما يعتمل في قلب الآب من رغبة وراء عملية التقليم التى يقوم بها كالكرام السماوى ، فان هذا سوف يقودك لأن تخضع ذاتك له من جديد ، بل أكثر من أى وقت مضي على الاطلاق ، وأن تقول بأنه ليس الآن من هدف في هذه الحياة سوى أن تعلن لاخوتك بنى البشر وأن توصل لهم حبه العجيب . انك سوف تتعلم الفن المبارك لانكار الذات ، وحتى في قلب الألم ، سوف تتضرع لأجل رفاهية الآخرين مستفيدا من فرصة انفصالك عن مجريات الحياة العادية بسبب الألم الذى تجتـاز فيه . أيها الأخ العزيز ، يا من أنت واحد من أولاد الله ، اثبت في المسيح في وقت الألم . وعندما ترى الألم مقبلا لاقه فى المسيح . وعندما يحـل بك الألم فعلا دع الاحساس يتملكك بأنك في المسيح أكثر مما في قلب الألم ، ذلك لأن المسيح هو أقرب اليك مما يستطيع الألم أبدا أن يقترب ، وعندما يزول عنك الألم استمر ثابتا في المسيح . وليت لك فكر المسيح بخصوص الألـم أنه تشذيب وتنقية ، وليت رغبة قلبك تتفق مع رغبة قلب الآب بخصوص الألم أنه لابد منه للاتيان بالثمر المطلوب :« كل غصن في يأتى بثمر ، ينقيه لكى يأتى بثمر أكثر ».

وهكذا تصبح أوقات الألم التى تمر بنا أوقات البركات الممتازة ، بل أفضل أنواع البركة . انها الاعداد للثمر المتكاثر ، بل أفضل أنواع الثمر . واذ يقودك الـرب الى شركة أوثق مع ابن الله ، واختبار أعمـق في محبته ونعمته ــ وتتأسس على اليقين المبـارك بأنه قد أصبح ملـكا لك وأنك انت أصبحت ملكا له ــ وانك الآن ــ أكثر من أى وقت مضي ــ قد أصبحت قانعا راضيا بشخصه المبارك وقد سلمته ذاتك بالتمام مكرسا الكل له ــ وقـد صلبت ذاتك من جديد ، وصار قلبك أكثر انسجاما مع ارادة الله أكثر من ذى قبلــ فانك حينئذ سوف تصبح اناء للكرامة ، مقدسا، صالحا لاستخدام السيد ، مستعدا لكل عمل صالح . أيها المؤمن الحقيقى ! ليتك تجرب وتتعلم الحق المبارك ، انه في الألم تكون دعوتك الأولى،والوحيدة ــ والمباركة، أن تثبت في المسيـح . أكثر جـدا من أوقات الخلوة معـه . احترس من التسليات والملاهى التى يجلبها اليك في الغالب أصدقاؤك ومعارفك . ودع يسوع المسيح نفسه يكون صديقك ومعزيك الأهم والأعظم . ولذذ نفسك باليقين بأنه لكى تحظى باتحاد أوثق معه ، ويصبح لك الثمر المتكاثر ، فان كلا الأمرين نتاج التجربة والألم ، لأن الكرام السماوى نفسه هو الذى يقـوم بعملية التشذيب ، وهو سوف يضمن تحقيق رغبة النفس التى أخضعت ذاتها عن حب لعمله فيها .

اليوم العشرون

اثبتوا فى الرب
حتي تأتوا بثمر

«.. الذى يثبت فيّ وأنا فيه هذا يأتى بثمر كثير.
بهذا يتمجد أبى أن تأتوا بثمر كثير» (يو١٥:٥و٨)

اننا جميعا نعرف ما هو الثمر . انه نتاج الغصن ، وهو مصدر تغذية وانعاش للانسان . فالثمر الذى ينتجه الغصن لا يؤول لمنفعة الغصن، بل لأجل أولئك الذين أتوا لكى يجنوه ويستفيدوا به . وحالما ينضج الثمر فان الغصن يهيئه للآكلين ، لكى يبدأ من جديد عمله في انتاج المزيد من الثمر، ويعده لموسم جديد قادم . فالشجرة المثمرة لا تحيا لذاتها ، لكن من أجل أولئك الذين يستفيدون من ثمرها الذى يغذيهم وينعشهم ، وهكذا فان الغصن يوجد فقط وبالكامل لأجل الاثمار . ان غاية وجود الغصن وسلامته، ورفعته ، هو أن يجعل قلب الكرام فرحا على الدوام .

انها صورة جميلة للمؤمن الثابت في المسيح ! فهو لا ينمو في القوة فحسب ، حيث يزداد اتحاده بالكرمة السماوى ثباتا ورسوخا على الدوام، لكنه أيضا يحمل الثمر ، والثمر الوفير . وله السلطان بأن يقدم هذا الثمر للآخرين الذين بامكانهم أن يأكلوا منه ويحيوا . ويصبح ، وسط كل المحيطين به ، مثل شجرة حياة ، يتذوقون من ثمرها فينعشهم . ويكون في الوسط الذى يعيش فيه بمثابة مركز اشعاع للحياة والبركة ، وهذا يرجع ببساطة لأنه ثابت في المسيح ، الذى منه ينال روح الحياة والذى منه أيضا يستطيع أن يوزع على الآخرين . وهكذا لنتمتع بهذا الادراك بأنه اذا كنا نريد أن نكون بركة لغيرنا فلنثبت في المسيح ، وعندما نثبت فعلا فيه فسوف يكون دون شك بركة للآخرين . وكما أن الغصن الثابت في كرمة مثمرة يكون بالتأكيد حاملا للثمر الكثير ، كذلك أيضا ، وبكل تأكيد ، فان النفس الثابتة في المسيح بكل ما فيه من ملء البركة والنعمة سوف تصبح بنعمة الله بركة لكل الذين حولها .

ونحن نستطيع ان نفهم السبب ببساطة . فطالما أن المسيح ، الكرمة السماوى ، قد جعل من المؤمن غصنا فيه ، فهو اذا قد ارتبط به ، وهذه

طبيعة الأشياء ، ليزوده بعصارة حياته القدوسة بما فيها من حيــاة وروح وغذاء لكى يجعله غصنا مثمرا .« من قبلى يوجد ثمركم »، هذه الكلمات تستمد معنى جديدا من المثل الذى أمامنا ــ أى مثل الكرمة والأغصان . فالنفس لا حاجة بها الا أن تهتم اهتماما واحدا ــ وهو أن تثبت بكل قوة ، وبالتمام . وعليه هو أن يعطى الثمر . انه يعمل كل ما هو ضرورى ليجعل من المؤمن بركة .

واذ يثبت المؤمن في المسيح ينال منه روح الحب والعطف على الخطاة، فيصبح راغبــا في خيرهــم ونفعهم ، ذلك لأن القلب الطبيعى أنانى ومملوء بمحبة الذات . وحتى في المؤمن فانه يهتم بأمر خلاصه الشخصي وسعادته جاعلا منهما ، في الغالب الأعم ، هدفه الوحيد . لكن عندما يثبت في المسيح، فانه يأتى الى اتحاد مع حبه اللانهائى ، وتبدأ نيران محبته هذه تشتعل بين جوانح المؤمن وفي قلبه ، فيرى المؤمن جمال الحب ، ويتعلم أن ينظر الى أمر محبة أخوته بنى البشر وخدمتهم وخلاص نفوسهم باعتبار أن هذا الأمر هو الامتياز الأسمى الذى يمكن ان يحصل عليه كتلميذ ليسوع المسيح . واذ نثبت في المسيح ، تتعلم قلوبنا أن تشعر بتعاسة الخطاة الذين مــا زالوا في الظلمة ، ومدى ما يسببه هذا الأمر من اهانة فظيعة لالهنا الصالح . نعم، أيها المؤمن ، انك مع المسيح تبدأ تحمل ثقل النفوس ، وثقل خطايا ليست بالضرورة خطاياك أنت . واذ تزداد اتحادا بشخصه ، تبدأ تتولد فيك من نحو النفوس بعض من تلك العاطفة التى دفعت شخصه المجيد المبارك نحو صليب الجلجثة ، ومن ثم تصبح مستعدا أن تقتفى أثر خطـواته ، وتنبذ سماء سعــادتك الشخصية ، مكرسا حياتك لتربح النفـوس التى علمك المسيح أن تحبها . نعـم ، ان الحب هو ذات عصارة الكرمــة السماوى ، وروح الحب هذا ينساب في الغصن الذى يثبت فيه .

ان الرغبة التى تتولد في داخلك لأن تكون بركة ليست سوى البداية. واذ تأخذ على عاتقك أن تشرع في العمل ، اذا بك تصبح وبسرعة مدركا لمــا أنت عليه من ضعف طبيعى في مواجهة الصعاب التى تكتنف الطريق الذى أمامك . ذلك أن النفوس لن تخلص طوع أمرك أو رهن اشارتك . ومن ثم تجد نفسك وقد صرت مهيأ للفشل من جديد ، مما يدفعــك لأن تكف عن مجهوداتك في هذا السبيل . لكنك اذ تثبت في المسيح ، يجعلك هذا تنــال شجاعة جديدة وقوة جديدة للعمل . وعندمــا نصدق تعليم المسيح ، بأنه هو الذى من خلالنا يمنح بركته للعالــم ، عندئذ سندرك أننــا لسنا سوى أدوات ضعيفة من خلالها تعمل قــوة المسيح الخفية ، وبهذا تكمل قــوته وتتمجد في ضعفنا . انها خطوة عظيمة عندما يصادق المؤمن تماما على حقيقة

عجزه الذاتى ، وادراكه المستمر لهذا الأمر ، وهكذا يعمل باخلاص لسيده، وله اليقين الكامل بأن سيده هو العامل من خلاله . ويبتهج بأن فضل القوة لله وليس منه هو . واذ يدرك المؤمن وحدته مع مخلصه وربه لا يعتبر ضعفه بعد ، لكنه بالحرى يتكل على قوة ذاك الذى عمله الخفى في داخل المؤمن هو أمر لا ريب فيه . نعـم ، ان ذلك اليقين الداخلى هـو الذى يعطى اللمعان لنظرات المؤمن ، والحزم اللطيف لنبراته ، والمثابرة لكل مجهوداته ، باعتبار أن هذه وسائل عظيمة يؤثر بها في الآخرين الذين يريد أن يربحهم للمسيح. انه يذهب في طريقه وقد وثق بأن النصر حليفه ،« لأن هذه هى الغلبة التى تغلب العالم ، ايماننا ». ولن يعود يحسبه اتضاعا أن يدعى بأن الله لا يمكنه أن يبارك مجهوداته العديمة القيمة . لكنه بالحرى يطالب بالبركة ويتوقعها، مدركا أنه ليس هو العامل ، لكن المسيح الذى فيه ، هو الذى يعمل الكل في الكل . ان السر العظيم للثبات في المسيح يكمن في اقتناعنا العميق بأننا لا شيء بالمرة ، وأنه هو كل شيء . واذ نتعلم هذا ، فلن يصبح أمرا غريبا بعـد أن نؤمن بأن ضعفنا وعجزنا لن يعود يشكل عائقا أمام قوته المخلصة . فالمؤمن الذى يخضع ذاته بالتمام للمسيح ــ في روح الطفولة الوديعة وبساطتها ــ لأجل عمل الخدمة ، سوف يأتى ، بكل يقين ، بالثمر الكثير . ولن يخاف المطالبة بحقه في هذا الوعد العجيب :« من يؤمن بى فالأعمال التى أنا أعملها يعملها هو أيضا ،ويعمل أعظم منها ، لأنى ماض الى أبى ». ولن يعود المؤمن الى التفكير بأنه لن يمكنه أن ينال بركة ، وأنه لن يكون في وسعه أن يأتى بثمر، برغم أن هذا يحفظه في حالة الاتضاع . لكنه سيرى ، بالحرى ، أن الأغصان الأكثر تثقلا بالثمر تنحنى أكثر من غيرها الى أسفل . واذ يثبت في المسيح، هذا معناه أنه قد صادق على الاتحاد المبارك بين الكرمة السماوى والأغصان، وبأن الثمر الذى يخرجه الغصن انما لكى يرجع المجد كله للكرام ، ذلك الآب السماوى المبارك .

دعونا نتعلم درسين . فأولا ان كنا ثابتين في يسوع ، دعونا نبدأ العمل. دعونا أولا نسعى لكى نؤثر في أولئك المحيطين بنا في حياتنا اليومية . دعـونا نقبل بوضوح وبفرح دعوتنا المقدسة ، أن نحيا كخـدام لمحبة يسوع المسيح لاخوتنا بنى البشر . يجب أن تتخذ حياتنا اليومية هدفا محددا لها هـو أن نترك انطباعا محببا عن يسوع لدى الآخرين . انك عندما تنظر الى الغصن فانت ترى للوهلة الأولى مشابهته للكرمة . يجب أن نحيا بالكيفية التى بهـا

يمكن أن يشع من خلالنا بعض من قداسة يسوع ولطفه . يجب أن نحيا ممثلين لشخصه . وكما كان الحال بالنسبة له ـ تبارك اسمه ـ وهو بالجسد على أرضنا ، كذلك يجب أن تكون حياتنا خير شاهد لكلامنا وتعد الطريق أمامنا لكى نعلم . ان حاجة الكنيسة والعالم كليهما هى الى رجال ونساء مملوئين من الروح القدس والمحبة ، والذين باعتبارهم تجسيدا حيا لنعمة ربنا يسوع وقوته ، يشهدون له ، ولقوته ، لخير أولئك الذين يؤمنون باسمه القدوس. واذ نحيا هكذا ، بقلوب تتلهف لتمجيد يسوع في النفوس التى يبحث عنها ، دعونا اذا نقدم ذواتنا له للعمل الفورى . فبيوتنا هى احدى مجالات العمل. وهناك عمل وسط المرضى ، والمساكين ، والمنبوذين . وهناك مئات المجالات المختلفة التى يفتحها روح المسيح من خلال أولئك الذين يسمحون له بأن يقودهم . ونحن أيضا علينا أن نقوم بالعمل المنوط بنا والذى طرقه ربما لم يطرقها أحد قبلنا . دعونا نعمل ، ما دمنا ثابتين في المسيح . دعونا نعمل ، وليس كما يسلك البعض الذين يقنعون بالعبادة التقليدية ، ويشاركون على نحو ما في بعض الأنشطة الدينية . كلا ، بل دعونا نعمل نظير أولئك الذين ينمون مشابهين صورة المسيح ، لأنهم ثابتون فيه ، وهم ، نظيره أيضا ، يعتبرون العمل الذى غايته ربح النفوس للآب السماوى هو بذاته فرح السماء ومجدها مبتدئا على الأرض .

والدرس الثانى الذى من واجبنا أن نتعلمه هو : طالما أنت تعمل ، فلتثبت اذا في المسيح . هذه واحدة من بركات العمل لأجل المسيح اذا ما قمت به على الوجه الصحيح ـ انه سوف يعمق وحدتك مع سيدك المبارك . ذلك لأنه سيكشف لك عن الضعف الذى فيك ، ومن ثم يجعلك تطرح نفسك على قوته . وهو سيدفعك لأن تصلى أكثر ، وفي صلواتك لأجل الآخرين ، هذا هو الوقت الذى فيه تتعمق النفس ـ دون وعى منها ـ في معرفة المسيح، وتنمو في النعمة ، ذلك بأن النفس تكون قد نسيت ذاتها تماما في سبيل خلاص الآخرين . وسوف يصبح هذا الأمر باعثا على ايضاح أفضل للطبيعة الصحيحة والحقيقة لحياة الغصن ، أعنى به الاتكال المطلق على الكرمة ، ومن ثم كفايته المجيدة . بمعنى أن الغصن ، لأنه يتكل على يسوع الكرمة الحقيقية، لذا فهو في غنى كامل عن أى شيء آخر . فاذا كنت تعمل ، فاثبت في المسيح.

ان الأخطار والتجارب في الانتظار . ففى بعض الأحيان يكون العمل

لأجل المسيح جاذبا للعامل بعيدا عن المسيح ، حيث يأخذ مكان الشركة مع شخصه المجيد المبارك . وأحيانا أخرى يستطيع العمل أن يضفى على الشخص العامل شكلا من أشكال التقوى دون قوتها . لذا عليك أن تثبت في المسيح ، طالما أنك تعمل لأجله . ليكن لك الايمان الحى بأن المسيح هو العامل فيك ، فيكون هذا لك بمثابة النبع الخفى لكل ما تقوم به من أعمال ، وهذا بدوره سوف يلهمك في الحال فضيلة التواضع وفضيلة الشجاعة . دع روح يسوع القدوس يسكن فيك كمن هو الروح الملهم لعواطف المسيح الرقيقة وقوته الالهية . اثبت في المسيح ، وقدم له دون تحفظ وبلا شروط كل قواك الطبيعية ، لكى يقدسها لذاته . ولو أننا أردنا ليسوع المسيح أن يعمل من خلالنا حقيقة ، فهذا يحتاج منا أن نكرس ذواتنا له بالكامل ، ونجدد هذا التكريس كل يوم . بيد أننا الآن ندرك ، أن هذا بالضبط هو الثبات في المسيح، وأن هذا بالضبط هو ما يشكل بالنسبة لنا امتيازنا وفرحنا الأسمى .

فليكن فرحنا الوحيد هو هذا : أن يكون كل منا غصنا في الكرمة يحمل الثمر الوفير لمجد الله لا أكثر ولا أقل .

اليوم الحادى والعشرون

اثبتوا فى المسيح
فتكون لكم القوة في الصلاة

((ان ثبتم في ، وثبت كلامى فيكم ، تطلبون ما تريدون، فيكون لكم)) (يو ١٥: ٧).

الصلاة هى واحدة من وسائط الاتحاد مع المسيح ، كما أنها أيضا واحدة من ثمرات هذا الاتحـاد . وباعتبار الصلاة واسطـة فهى تعتبر ذات أهمية يقصر دونها كل كلام . ان كل أمور الايمان ، وكـل مشتهيات قلوبنـا التى نتوسل بها ، وكل ما يعتمل في دواخلنا من حنين الى حياة التسليم الكامل، وكل اعترافاتنا بقصورنا وخطايانا ، وكل التدريبات التى عن طريقها تتخلى النفس عن ذاتها وتلتصق بالمسيح ، هذه كلها تجد التعبير عنهـا في الصلاة . ففى كل تأمل يدور حول الثبات في المسيح ، عندما ندرك بعضا من اللمحات التى يعلم بها الكتاب عن هذه الحياة المباركة ، فان أول ما يدفع المؤمن هو أن يوجه نظره في الحال الى الآب ويسكب قلبه لديه ، ويسأل من لدنه أن يمنحه ادراكا كاملا وامتلاكا كاملا لما قـد تنازل واظهره له في الكلمة المقـدسة . ان المسيحى الحقيقى هو الذى لا يقنع بهذا التعبير التلقائى لما يرجوه ، بل يصرف وقتا أطول في المخدع في الصلاة السرية منتظرا حتى ينال ويمتلك ما قد أعلن له في الكلمة ، وهو ذلك المسيحى الذى سوف ينمو حقا بقوة في المسيح . وبغض النظر عن الضعف الذى تكون عليه النفس في أول الأمر من جهة ثباتها في المسيح ، فان صلاتها سوف تسمع ، وسوف تجـد النفس أن الصلاة هى احدى الوسائط العظيمة للثبات في المسيح ثباتا فائضا .

بيد أن المخلص أورد ذكر الصلاة في مثل الكرمة ، لا على أنها وسيلة بل بالأكثر باعتبارها ثمرا للثبات . انه ــ تبارك اسمه ــ لا يفكر كثيرا فى الصلاة كوسيلة للحصول على بركة لنفسه ، كما نفعل نحن للأسف، وبشكل قاطع ، لكنه ــ له المجد ــ نظر الى الصلاة باعتبارها واحدة من القنوات الرئيسية للتأثير والفعالية لأنه عن طريقها ، ومن خلالنا كأشخاص عاملين مع الله ، يقوم الله بتوزيع بركات فداء المسيح على العالم . انه ــ له المجد ــ يجعلنا معه نضع نصب أعيننـا مجد الآب ، عنـدما تتسع دائرة ملكوته المبارك ، باعتبار أن هذا هو الهدف الذى من اجله نحن أغصان في الكرمة،

وهو يؤكد لنا أننا اذا ثبتنا فيه فقط ، فسوف نصبح ، نظير يعقوب الذى دعاه الله اسرائيل ، اى أمير الله اذ قال له « لأنك جاهدت مع الله والناس وغلبت ». وسوف تكون صلواتنا نظير تلك الصلاة التى صلى بهـا ايليا والتى قيل عنهـا « طلبة البار تقتدر كثيرا في فعلها ». وصلاة من هـذا القبيل سوف تكون ثمرة ثباتنا في شخصه المبارك ، وفي ذات الوقت الوسيلة للثمر الكثير في حياتنا لمجد الله .

وبالنسبة للمسيحى غير الثابت ثباتا كاملا في يسوع ، فان الصعوبات التى تتعلق بالصلاة تكون في الغالب من الجسامة الى الحـد الذى تسلبه الراحة والقوة اللتين هما في الحقيقة من معطيـات الصلاة . وتحت رداء التواضع المزيف يتساءل : كيف يمكن لشخص عـديم الاستحقاق بهـذا الشكل أن يتوقع لصلاته أن تكون ذات أثر لدى الاله القدوس ؟! وهو يطيل التفكير في تسامى الاله ، وفي حكمته الكاملة ومحبته ، ولا يستطيع أن يرى كيف يمكن أن تحدث صلاته اى أثر بارز . وهو يصلى ، ولكنه يفعل ذلك بدافع من عدم استطاعته الراحة بدون أن يصلى ، أكثر من كونه يثق ثقة المحبة بأن صلاته سوف يصغى اليها الآب السماوى . أمـا النفس التى تثبت حقيقة في المسيح فانها تتحرر من مثل هذه الأسئلة والارتباكات ، ويا لها من حرية مباركة ! ومثل هذه النفس تدرك بشكل متزايد كيف أننا مقبولون وصلواتنا مسموعة فقط لأننا في وحدة روحية حقيقية مع المسيح. ان وحدتنا مع ابن الله هى ، في الحقيقة ، وحدة حياة . فنحن في واقـع الحال نصبح واحدا معه ، وصلواتنا تصعد الى السماء كأنها هى ذات صلاة الابن الوحيد المبارك. ولأننا نثبت فيه يمكننا أن نطلب ما نريد ، فيكون لنا.

ان هناك عدة أسباب توجب أن يكون الأمـر كذلك . وأحد هـذه الأسباب هو أن ثباتنا في المسيح ، وثبات كلمته فينـا ، يعلمنا أن نصلى بحسب مشيئة الله . واذ نثبت في المسيح فان ارادتنا الذاتية تتراجع الى الخلف ، وكل ما فينا من أفكار ورغبات طبيعية يستأسرها الروح القدس لفكر المسيح ، وينمو فينا يوما فيوما التطابق مع فكر المسيح ، وكل مـا نفعله وكل ما نريده يأخذ في التحول لينسجم مع ارادته هو . وتعتمل في النفس الرغبة العميقة والمتجددة من آن لآخر في فحص القلب لنرى مـا اذا كان تسليمنا كاملا ، مصلين بكل صلاة وطلبة في حرارة الروح طالبين من روح الله القدوس الذى يفحص قلوبنـا جيدا والا يسمح بأن نحتفظ بشيء لأنفسنا ، بل نسلم كل شيء لقوة حياته فينا ، حتى يمكنه أن يمارس تأثيره المقدس حتى بالنسبة لرغباتنـا وأشواقنا العادية . وهـكذا يحيا المسيح فينا بروحه القدوس الذى يتخلل كياننا بأكمله ، وبدون أن نعلم

كيف ، وهكذا نجد أن رغباتنا تتطابق مع ارادة الله كما تتطابق نسمات الحياة الإلهية فينا ، فيتمم الله كل سؤلنا . ان الثبات في المسيح يجدد الارادة ويقدسها ، فنسأل ونطلب ما نريد ، فيكون لنا .

ويرتبط بهذا ارتباطا وثيقا الفكر بأن الثبات في المسيح يعلم المؤمن في الصلاة أن يطلب فقط ما هو لمجد الله . ففي وعده بأن تستجاب صلواتنا، كان فكر المسيح الواحد (راجع يو ١٤ : ١٣) هو هذا « ليتمجد الآب بالابن ». وفي صلاته الشفاعية على الأرض (يو١٧) كان هذا بعينه هو غرضه وسؤل قلبه ، وأيضا في تشفعه أمام وجه الآب لأجلنا ، لم يزل هذا هو أيضا قصده العظيم . واذ يثبت المؤمن في المسيح ، فان المخلص ينفخ فيه هذه الرغبة عينها . وينمو فينا ، أكثر فأكثر ، الفكر المتعلق بمجد الله ، ويصبح هو قرار النغم لحياتنا المستترة مع المسيح في الله . وفي البداية فان هذا الفكر يخضع النفس ويسكنها ، بل يجعلها تكاد تخشى أن تتجاسر وتتوسل من أجل تحقيق رغبة ما ، لئلا يكون في هذا ما لا يتفق مع مجد الله الآب . لكن حالما تقبل النفس سيادة هذا الفكر عليها سيادة مطلقة ، ويصبح كل شيء خاضعا له ، فانه يأتي بقوة مقتدرة لينعش القلب ويوسع تخومه ، ويفتح أبوابه على حقل الخدمة المتسع المفتوح لمجد الله . وفي الثبات في المسيح ، تتعلم النفس ليس فقط أن تشتاق ، لكنها أيضا من الناحية الروحية ـ تميز ما هو لمجد الله ، ويتحقق بهذا واحد من الاشتراطات الأولى للصلاة المقبولة عندما يتوحد الذهن كله ويصبح ـ نتيجة الاتحاد مع المسيح ـ في انسجام مع ذهن ابن الله عندما خاطب الآب بالقول :« أيها الآب مجد اسمك ».

مرة أخرى : ثباتنا في المسيح يمكننا من أن ننفع أنفسنا بالكامل من الاسم المبارك ، اسم المسيح . عندما يستخدم أحدهم اسم واحد آخر فهذا يعني أن ذلك الشخص الآخر قد أعطى السلطان لمن يستخدم اسمه وأرسله ليسأل باسمه ، ويريد من الذين أرسله اليهم أن يعتبروا المرسل نظير شخصه هو تماما فيمنحوه الكرامة التي له عندهم . ان المؤمنين غالبا ما يحاولون التفكير في اسم يسوع وفي استحقاقاته ، ويأخذون في الحوار مع أنفسهم ما اذا كان ايمانهم سيجعل صلواتهم تستجاب ، هذا في الوقت الذي يحسون فيه ببالغ الألم كيف أن رصيدهم من هذا الايمان باسم يسوع هو رصيد قليل وزهيد . والسبب أنهم لا يعيشون تماما في اسم يسوع، انهم فقط عندما يبدأون في الصلاة يريدون أن يأخذوا ذلك الاسم الجليل لأنفسهم ويستخدموه ! وهذا لن يكون . ان الوعد الذي يقول « كل ما طلبتم باسمي » لا يمكن فصله من الوصية الالهية التي تقول :« وكل ما

فعلتم ، فافعلوا الكل باسم الرب يسوع ». فلو أننى أريد لاسم المسيح أن يكون تحت طلبى بالتمام ، حتى يمكننى أن أستأثر بكامل سلطانه لاتمام كل ما أريد ، فان هذا بالضرورة يصير عندما أضع أولا نفسي وبالكامل تحت تصرفه ، حتى يستطيع أن يمارس سلطانه على بالكامل وبكل حرية. ان الثبات في المسيح هو الذى يمنحنا الحق والسلطان لنستخدم اسمه الكريم بكل ثقة . ولن يرفض لنا الآب السماوى طلبا ممهورا باسم المسيح الكريم . عندما أكون ثابتا في المسيح ، فانى أتقدم الى الآب في شخصه المبارك كواحد معه ، بره لى ، وروحه القدوس ساكن في ، والآب السماوى يرى ابنه في ، ويمنحنى سؤل قلبى . كثيرون يعتقدون أن الآب السماوى ينظر الينا نظرته الى اشخاص منتمين الى ابنه ، بمعنى انه يعتبرنا كأننا فيه رغم أننا قد لا نكون فيه حقيقة . وهذا اعتقاد خاطىء . ذلك أن الآب السماوى يريد أن نحيا في ابنه ، وهكذا تصبح صلاتنا فعلا هى تلك الصلاة المقتدرة . ان الثبات في المسيح لا يجدد فقط ارادتنا حتى نصلى الصلاة الصحيحة ، لكنه أيضا يضمن لنا استحقاقاته بكل سلطانها .

أعود فأقول : ان الثبات في المسيح يعمل فينا ايضا ذلك الايمان الذى يستطيع وحده أن ينال الاستجابة . « حسب ايمانك ليكن لك ». هذا واحد من قوانين ملكوت السموات . « وكل ما تطلبونه في الصلاة آمنوا أن تنالوه فيكون لكم ». ان هذا الايمان يستند على كلمة الله ، ويستمد أصوله منها ، لكنه شيء يسمو بما لا يقاس عن ذلك الاستنتاج المنطقى المجرد والذى يقول بأنه ما دام الله قد وعد ، فلى أن أحصل على استجابة الوعد . كلا، لأن الايمان باعتباره عملا روحيا ، فهو يستند على الكلمة الالهية الثابتة فينا كقوة حية ، وبالتالى يعتمد على حالة الحياة الداخلية بأكملها . فبدون أن نمارس الصوم والصلاة (مر ٩:٢٩)، وبدون أن نتحلى بفضيلة الاتضاع ويكون لنا الذهن الروحى (يو ٥:٤٤)، وبدون أن تكون لنا الطاعة من كل القلب لوصاياه (١يو ٣:٢٢)، لا يمكن أن يكون هناك ذلك الايمان الحى. لكن عندما تثبت النفس في المسيح ، ويتزايد ادراكها بحقيقة وحدتها معه، وترى كيف أنه هو وحده ـ ولا سواه ـ الذى يجعل النفس وطلبتها معا مقبولين أمام الآب ، عندئذك تتجاسر النفس وتطالب بالاستجابة لأنها تعلم انها قد صارت واحدا معه وفيه . فالنفس قد تعلمت أن تثبت فيه بالايمان. وكثمرة لهذا الايمان ، فانها تسمو الى ايمان أعظم بكل ما وعد به الله أن يصير وأن يفعله . ومن ثم تتعلم النفس أن تسكب صلواتها ولها اليقين الهادىء ، العميق الواثق بالقول الالهى :« نعلم أن لنا الطلبات التى طلبناها منه ».

والأكثر من هذا ، ان ثباتنا في المسيح يجعلنا فى المكان الذى يمكن أن ننال فيه الاستجابة . ان البعض من أولاد الله يصلون بحماس لأجل البركة، لكن عندما يأتى الله ويبحث عنهم لكى يباركهم فانه لا يجدهم . ان هؤلاء لم يفكروا أبدا بأنه يجب لا أن نطلب البركة فقط ، بل أيضا أن ننتظرها ، وننالها أيضا في الصلاة . ان الثبات في المسيح هو مكاننا الذى فيه نتلقى استجابات صلواتنا . أما بعيدا عن المسيح وخارجا عنه ، فقد تصبح استجابة الصلاة ذات ضرر بالغ لحياتنا ــ اذ اننا قد ننفقها في لذاتنا وشهواتنا (يع ٤:٣). ان العديد من الطلبات لنوال أغنى العطايا ، مثل عطية القوة لأجل الخدمة وبركة الآخرين ، أو لأجل نوال نعمة روحية جديدة ــ مثل هذه العطايا يمكن أن تأتى الينا فقط في شكل اختبار من نوع أعظم وأمجد لما يمكن ان يعلمه الله في المسيح لأجلنا . على أن شرط حصولنا على القوة في الصلاة هو أن نمتلىء فيه ونثبت فيه ، ذلك لأن الاستجابة التى ننتظرها مذخرة ومكنوزة فيه وينعم بها الله علينا من خلاله ولأجل اسمه .

أيها المؤمن ، اثبت في المسيح ، لأنك فيه تجد مدرسة الصلاة ــ الصلاة المقتدرة ، والفعالة ، والتى تحصل على الاستجـابة . اثبت فيه ، وسوف تتعلم ذلك الأمر الذى هو بمثابة سر غامض لدى الكثيرين ، الا وهـو سر صلاة الايمان التى تكمن في حياة الايمان ذاتها ــ تلك الحياة التى تثبت فى المسيح وحـده .

اليوم الثاني والعشرون

اثبتوا فى المسيح وفي محبته

« كما أحبنى الآب كذلك أحببتكم أنا . اثبتوا في محبتى » (يو ١٥:٩).

يا ربنا المبارك ، أنر عيوننا لنرى بجلاء مجد هذه الآية العجيبة . افتح أمام أعين اذهاننا مخدع محبتك الخفى لعل نفوسنا تدخل الى هناك وتجد مكان سكناها الدائم الى الأبد . والا فكيف يتسنى لنا أن نعرف أى شيء عن محبة مثل هذه تفوق الادراك ؟

قبل أن ينطق المخلص بتلك العبارة التى يدعونا بها لنثبت في محبته، فانه يحدثنا أولا عن ماهية هذه المحبة . وما يقوله بخصوص هذه المحبة ينبغى ان يعطى قوة لدعوته ، ويجعل فكرة عدم قبول مثل هذه الدعوة فكرة مستحيلة ، لذا فهو يقول لنا « كما أحبنى الآب ، كذلك أحببتكم أنا ! ».

« كما أحبنى الآب ». كيف يتسنى لنا أن نكون رأيا صحيحا عن مثل هذا الحب ؟ يارب علمنا . ان الله محبة . والمحبة هى ذات كيانه . فالمحبة ليست صفة من صفاته ، بل هى ذات طبيعة جوهره ، وهى المركز الذى تتجمع حوله كل صفاته المجيدة معا . ولأنه كان هو المحبة فقد كان هو الآب المحب ، وكان هناك الابن المحبوب . فالمحبة تحتاج الى من تعطيه ذاتها، وفيه تستطيع أن تفنى نفسها ، ومعه تقدر أن تجعل ذاتها واحدا . ولأن الله محبة فمن الضرورى أن يكون هناك آب وابن . وحب الآب للابن هو تلك العاطفة الالهية التى بها يسر الآب بابنه ، قائلا له :« أنت ابنى الحبيب الذى به سررت ». والحب الالهى أشبه بنار متأججة ، وبكل اللظى الذى فيها واللانهائية التى لها ، فليس من غرض لها الا واحد وليس من فرح الا واحد ، هو الابن الوحيد الحبيب . وعندما نجمع معا كل صفات الله ــ اللانهائية ، والكمال ، والعظمة ، والجلال ، والقدرة ــ ونعتبر هذه كلها ان هى الا أشعة متكسرة لمجد محبته ، فاننا لا نزال نكون مقصرين وقاصرين دون بلوغ أية فكرة عما يجب ان تكون عليه محبة الله . نعم انها محبة فائقة المعرفة .

ومع كل هذا ، يا نفسي ، فان محبة الله هذه الفائقة المعرفة ، يجب أن تكون كمرآة فيهـا ترين وتتعلمين كيف يحبك يسوع . وكواحـد من مفديه ، فأنت يا نفسي لذته ، وكل اشتياقه انما هو اليك ، وهـو شوق المحبة التي هي أقوى من الموت ، والتي لن تستطيع مياه كثيرة أن تطفئها. أيها الانسان ، ان قلبه المحب يشتاق اليك ، طـالبا أن تكون في شركة معه وأن تبادله حبه . ولو كان الأمر يلزم لسكب للموت نفسه من جديد لكي تكون أنت ملكا له . فأنت بالنسبة له عزيز عليه غال في عينيه أكثر جدا مما يمكنك أن تعرف أو تفكر . ذلك لأنك واحد معه . نعم ،« كما أحبنى الآب كذلك أحببتكم أنا ». فيا لها من محبة !

انها محبة أبدية . فمن قبل تأسيس العالم ــ هكذا تقول لنا كلمة الله ــ كـان في قلب الله أن يجعـل من المسيح رأس الكنيسة ، وأن يكون للمسيح جسد يمكن من خلاله أن يظهر مجده . وهنـاك فى تلك الأزمنة الأزلية أحب المسيح واشتاق الى أولئك الذين قد أعطاهم الآب له ، وعندما أتى المسيح الى أرضنا وقال لتلاميذه انه يحبهم ، كان حبه هذا بالحقيقة ليس حبا أرضيا أو زمنيا ، لكنه كان حبا أبديا منذ الأزل . نعم ، وبهذا الحب اللانهائى ذاته لا تزال عينه على كل واحد منا هنا في هـذه الأرض تتطلع الينا لكي نثبت فيه ، وفي كـل نسمة من نسمات حبه هذا نجـد بالحقيقة قوة الأبدية .« محبة أبدية أحببتك ».

نعم ، انها محبة كاملة . انها تبذل الكل ولا تبقى لنفسها شيئا . يقول له المجد :« الآب يحب الابن وقد دفـع كل شيء في يده ». وهكذا تمامـا يحب يسوع خاصته ، وكل ما له فهو لهم . وعندما استلزم الأمر ضحى المسيح بنفسه لأجلك ، ولم يحسب حتى حياته ذاتها ودمه الكريم أغلى من أن يبذلهما لأجلك . وقد أعطى الكل لنا : صلاحه ، بره ، روحه ، سلامه، قوته . الكل أعطى لنا . فان هذه المحبة لم تبق لنفسها شيئا ، لكنها بكيفية لا يستطيع العقل الطبيعى أن يتخيلها أو يدركها تجعل كل واحد منا واحدا معها . ايه أيها الحب العجيب ! أن تحبنا أيها الـرب يسوع كما أحبـك الآب ، وأن تقدم لنا هذه المحبة العجيبة لنسكن فيها ونستريح كل يوم !

انها محبة رقيقة ورحيمة للغاية . وعندما نفكر في محبة الآب للابن، نرى أن كل شيء في الابن يستحق ذلك الحب اللانهائى . وعندما نفكر فى محبة المسيح لنا لا تصادف العين فينا سوى الخطية وعدم الاستحقاق . وهنا يأتى السؤال : كيف يمكن لذلك الحب الـذى يحتوى تلك الحيـاة الالهية وكمالاتها أن يقارن بالحب الذى يستقر على الخطاة ؟ وهل يمكن حقا أن يكون هو نفس الحب في الحالين ؟ مبارك الله ، نحن نعلم انه كذلك.

فطبيعة الحب هى دائما واحدة مهما تباينت الأشياء التى هى موضوع ذلك الحب ـ فالمسيح لا يعرف ناموسا آخر للمحبة سوى ذلك الذى أحبه الآب به . وان شقاوتنا لتفيد في أن تبرز فحسب بشكل أكثر وضوحا جمال هذا الحب ، بما لا يوجد مثيله حتى في السماء ذاتها . وبكل رقة عواطفه تجده يرق لضعفنا ، وبكل صبره الذى لا حدود له يتحمل تباطؤنا . وبحنوه العجيب ولطفه الفائق يعالج مخاوفنا وحماقاتنا . نعم ، انه الحب الذى به يحب الآب الابن ، وقد تلألأ جمالا ، ومجدا ، فى تنازله ، وفى توافقه الرائع مع حاجتنا واحتياجنا .

وهى محبة لا تتغير . « اذ كان قد أحب خاصته الذين في العالم ، أحبهم الى المنتهى ». « فان الجبال تزول ، والآكام تتزعزع ، أما احسانى اليك فلا يزول ». والوعد الذى يبدأ به عمله في النفس هو هذا :« لن أتركك حتى أفعل ما كلمتك به ». وكما كانت تعاستنا هى التى حركت محبته نحونا في البداية ، كذلك ايضا فان خطايانا ، التى تحزن محبته والتى أيضا تجعلنا نخاف ونقع في الحيرة ، ليست سوى دافع جديد لهذه المحبة لتلتصق بنا اكثر جدا من ذى قبل . ولماذا ؟ لا يمكننا أن نجد لهذا سببا غير قوله الكريم :« كما أحبنى الآب كذلك أحببتكم أنا ».

والآن ، الا توحى لنا هذه المحبة بالدافع ، وتضع لنا المقياس ، وتبين لنا الوسيلة لكيفية ذلك الخضوع الذى به نعطى أنفسنا بالتمام لنثبت فيه ؟

نعم ، ان هذه المحبة بالتأكيد تزودنا بالدافع . لك أن تتأمل وتتطلع فحسب الى هذه المحبة كيف تقف لأجلنا وتتوسل وتصلى . تفرس ، آه تفرس ، في هذه الصورة الالهية ، والمجد الأبدى ، والجمال السماوى ، لهذه المحبة المتألمة فوق الصليب تتوسل اليك بكل الحنان والرقة ، مادة اليك يديها المثقوبتين قائلة :« الا تثبت في ؟ ألا تأتى وتثبت في ؟». وهى توجه نظرك الى أزلية هذا الحب من حيث جاء لكى يفتش عليك . انها تلفت نظرك الى الصليب ، وكل ما يحمله هذا الصليب من معنى يؤكد به حقيقة عواطف هذه المحبة ، هادفة بذلك أن تستميلك وتربحك الى نفسها . وهى تذكرك بكل ما وعدت أن تفعله لأجلك ، فقط لو ألقيت بنفسك في أحضانها دون تحفظ . وهى تتساءل ، طالما أنك فعلا قد أتيت لتسكن في كنفها وتتذوق بركاتها ، ألم تفعل كل شىء حسنا لك ! انها تقول لك بسلطان الهى ، يمتزج برقة لا يمكن وصفها الى الحد الذى لا يكاد أحد أن يلمس فيها نبرة التوبيخ :« أيتها النفس ، كما أحبنى الآب كذلك احببتك أنا ، اثبتى في محبتى ». يقينا لن يكون هناك سوى اجابة واحدة لمثل التوسل : « أيها الرب يسوع ! ها أنا . من الآن فصاعدا سيكون حبك هو المسكن

الوحيد لنفسي ، والبيت الذى فيه ترتاح . نعم ، سوف اثبت في محبتك وحـدها ».

ومحبته تلك ليست فقط الدافع ، لكنها أيضا المقياس الـذى نمدد أنفسنا عليه لنعرف مدى خضوعنا للثبات فيها . ان المحبة تعطى كل مـا عندها ، لكنها تطلب الكل أيضا . وهى تفعل ذلك ، لا لأنها تحسدنا على شيء نمتلكه ، لكن لأنه ما لم نعط الكل لا يمكنها أن تمتلكنا لتملأنا بذاتها . ولقد كان هذا دأبها في العلاقة التى تربط الآب بالابن . فكل ما للآب . من خلال المحبة هو للابن ، وكل ما للابن هو للآب . وهى كذلك أيضا بالنسبة لمحبة يسوع لنا . ونحن أيضا اذ ندخل في هذه المحبة لنسكن ونثبت هناك ينبغى أيضا أن يكون الأمر كذلك ، فخضوعنا وتسليمنا لهذه المحبة يجب الا نقيسه بمقياس آخر خلاف مقياس خضوع هذه المحبة وانصياعها لنا . آه لو أننا أدركنا مقدار غنى هذه المحبة الذى لا يستقصي وملء الفرح الذى تذخـره لحياتنا ، وأنه مهما بذلنا في سبيلها سوف يرد الينا مـائة ضعف في هـذه الحياة ! أو بالحرى ، ليتنا ندرك مع جميع القديسين ما هو العرض والطول والعمق والعلو لهذه المحبة ، ونعرف أنها محبة المسيح الفائقة المعرفة ! وليت كل فكر يرد الى خاطرنا مُن ناحية ما نقـدمه أو نضحى به ، أو من ناحية خضوعنا ، يذهب ويتلاشى ، ولتمتلىء نفـوسنا بالعجب والدهشة لهـذا الامتياز الذى يفوق الوصف والتعبير أن أناسا نظيرنا يمكن أن يكونوا موضوعا لهذه المحبة ، وأن يسمح لنا بأن نأتى الى هذه المحبة ونثبت فيها الى الأبد.

واذا ما عاد الشك يساورنا من جديد فيطرح علينا سؤالا قائلا : لكن هل من الممكن لى أنا أن أثبت على الدوام في حبه ؟ لتصغ الى هـذه المحبة ذاتها كيف تمدنا بالوسيلة الوحيدة للثبات في المسيح ، تلك الـوسيلة هى الايمان بأن هذه المحبة عينها هى التى تعيننا لكى نثبت فيها . فطالما كانت هذه المحبة بالحقيقة الهية هكذا ، وهى محبة نارية وملتهبة « لهيبها لهيب نار لظى الرب »، عندئذ يمكننى بكل تأكيد أن أعتمد على هذه المحبة لتحفظنى وتمسك بى بكل قوة وثبات وعندئذ وبكل اليقين يصبح كل عدم استحقاقى وضعفى غير ذى تأثير في هذا الشأن ولا يشكل أية عقبة أو اى مانع في أمـر ثباتى في المسيح حبيبى . وطالما كان هذا الحب الهيا بهذا الشكل ، وعندما يأمر بشيء فله من القوة اللانهائية ما ينفذ به الأمر الذى أصدره ، فمن حقى

بالتأكيد أن اطمئن واثق أنه أقوى من ضعفي وعجزي ، وأن هـذه المحبة بذراعها القديرة القادرة سوف تضمني الى أحضانها ، ولن تسمـح لي بأن أذهب بعيدا مرة أخرى . انني عندئذ أرى كيف أن هناك شيئا واحدا فقط يطلبه الله مني . انه اذ يتعامل معي كمخلوق عاقل أودعني تلك القوة العجيبة التي بها أريد وبها أختار لنفسي ، فهو لا يمكنه أن يقحم كل هذه البركات على دون رغبة مني ، لكنه ينتظر حتى أعطيه مصادقتي وموافقتي القلبية. والعلامة التي تدل على موافقتي هذه تكمن في حنانه العظيم عندما من علينا بالايمان الذي اذ أستخدمه في أمر الثبات فانني أبين مصادقتي القلبية على هذا الأمر ـ ذلك الايمان الذي بواسطته أطرح ذاتي بكل مـا في من طبيعة خاطئة بين احضان هذه المحبة لكي تنقذني ، وبكل ما في من ضعف وعجـز مطلق أطرح ذاتي عليها لكي تحفظني وتجعلني قويا . ايه أيتها المحبة التي لا حدود لها ! المحبة التي بها الآب يحب الابن ! المحبة التي بها الابن يحبنا ! انني أستطيع ان أثق بك ، بل انني أتكل عليك . أيتها المحبة ، أبقيني ثابتا فيـك !.

اليوم الثالث والعشرون

اثبتــوا فى المسيح

كما أن المسيح ثابت في الآب

« كما أحبنى الآب كذلك أحببتكم أنا . اثبتــوا في محبتى ... كمــا أنى أنا قــد حفظت وصايا أبى وأثبت فى محبته » (يو ١٥:٩و١٠).

علم المسيح تلاميذه أن الثبات فيه يعنى أن يثبتوا في محبته . كانت ساعة الآلام قد حانت ، ولم يكن ممكنا أن يتكلم معهــم كثيرا . وليس من شك في أن التلاميذ كان لديهم من الأسئلة الكثير حول معنى هــذا الثبات الذى يطلبه منهم السيد في شخصه وفي محبته . وهو له المجد كان يتوقع منهم هذه الأسئلة ، وقد تجاوب مع رغباتهم ، لذا فقد أعطاهم حياته ذاتها لتكون بذلك أفضل توضيح لوصيته . فعليهم أن يتأملوا في ثباته هو ــ له المجد ــ في محبة الآب ، كمثال وقاعدة لثباتهم في حبه . وفي نور وحدته هو مع أبيه ، سوف يتضح لهم أمر وحدتهم معه . فحياته ــ له المجد ــ فى أبيه السماوى هى النموذج وهى القانون لحياتهم فيه .

والفكرة في حد ذاتها سامية لدرجة يصعب معها أن نقبلها ونقتنع بها، لكنها مع ذلك معلنة بكل وضوح ، وبكيفية لا تدعنا نتجاسر فنهملها . ألــم نقرأ في (يو ٥٧:٤) القول :« كما أنا حى بالآب ، فمن يأكلنى يحيــا بى »؟ والمخلص في صلاته الشفــاعية الواردة في (يو ١٧) يقــول للآب بوضوح : « ليكونوا واحدا كما نحن واحد . أنا فيهم ، وأنت في ». ان الوحدة المباركة التى للمسيح مع الآب وحياته التى هى حياة الآب تعطينا الأساس الوحيد لكل أفكارنا وانتظاراتنا فيما يتعلق بحياتنا وثباتنا فيه .

دعونا نفكر أول شيء في مصدر وأصل حياة المسيح في الآب . انهما واحد ــ واحد في الحياة وواحد في المحبة . وهنا نجد جذور ثباته في الآب تضرب بعمق . ورغم وجوده هنا على الأرض وسكناه في وسطنا ، الا أنه كان يعلم أنه واحد مع أبيه ، وأن حياة الآب فيه ، وحب الآب له . وبدون هذه المعرفة ، يمسي ثباته في الآب وفي محبته ضربا من المستحيل . وهكذا يجب أن يكون الحال معنا حتىيصبح في استطاعتنا أن نثبت في المسيح وفي محبته.

لنعلم أننا واحد معه ـ واحد بمقتضى وحدة الطبيعة . فهو ـ تبارك اسمه ـ بولادته من عذراء قد صار انسانا ، وأخذ طبيعتنا حتى يمكنه أن يصبح واحدا معنا . ونحن عن طريق الولادة الجديدة من الله قد أصبحنا واحدا معه ، وجعلنا شركاء الطبيعة الالهية . لذلك فالرباط الذى يربطنا بشخصه هو رباط حقيقى ومتين تماما كالرباط الذى يربطه بالآب ـ ذلك الرباط هو رباط الحياة الالهية . وما تطالبه به كحق لك هو أمر مؤكد ، ولك أن تنتفع بهذا الحق على الدوام كما هو الحال تماما بالنسبة له مع أبيه السماوى . ان وحدتنا مع شخصه المبارك هى وحدة وثيقة تماما كوحدته هو مع الآب السماوى .

ولأن هذه الوحدة هى وحدة الحياة الالهية ، لذا فهى أيضا وحدة الحب اللانهائى . لقد كان السيد ، في حياة اتضاعه على الأرض ، يتذوق بركة وقوة المعرفة بأن شخصه هو موضوع سرور وحب الآب غير المحدود ، وكان ـ له المجد ـ يعيش في هذه المعرفة كل لحظة من لحظات يومه في كل أيام تجسده ، وهو يدعوك ـ مقدما لك شخصه المجيد كمثال ـ أن تتعلم أنه في هذه المعرفة يكمن سر الراحة والسلام والفرح . انك واحد معه . سلم له نفسك الآن لتكون موضوع حبه . ليت قلبك وعينيك تنفتح على هذا الحب الذى يشرق عليك ويحاصرك ويحصرك من كل ناحية . انه يدعونا قائلا : « اثبتوا في محبتى ».

ثم دعونا نفكر أيضا في الكيفية التى كان عليها ذلك الثبات الذى للمسيح في الآب وفي محبته لكى يكون بمثابة القانون الذى ينظم حياتنا . « حفظت وصايا أبى وأثبت في محبته ». لقد كانت حياته حياة الخضوع والاتكال على الآب ، وبذلك كانت حياته الحياة المباركة بكل ما تعنيه هذه الكلمة من معنى . ان طبيعتنا المتكبرة التى تدور حول الذات تنظر الى أمر الاتكال والخضوع على أنه لا يعنى سوى الاذلال والاستعباد . أما في حياة المحبة التى عاشها ابن الله ، والتى يدعونا لنعيشها ، فقد كان الاتكال والخضوع بالنسبة له سر البركة . فالابن لم يكن يخشي أن يفقد شيئا عندما أعطى الكل للآب ، لأنه يعلم أن الآب يحبه ، وأنه لا يمكن أن تكون للآب أية مصلحة أو منفعة بعيدا عن تلك التى للابن المحبوب . وهو يعلم أنه كما أن الخضوع من جانبه للآب هو خضوع مطلق كذلك أيضا فان كل ما هو للآب قد أصبح له . لذلك فهو عندما قال « لا يقدر الابن أن يعمل من نفسه شيئا ، الا ما ينظر الآب يعمل »، فهو يضيف على الفور قوله « لأن مهما عمل ذاك (أى الآب) فهذا يعمله الابن كذلك . لأن الآب يحب الابن ويريه جميع ما هو يعمله » (يو ٥). ان المؤمن الذى يدرس حياة المسيح هذه

باعتبارها النموذج والوعد الذى يمكن أن تكون عليه حياته ، يتعلم أن يفهم كيف أن قوله « بدونى لا تقدرون أن تعملوا شيئا »، ليس الا المدخل للقول « أستطيع كل شيء في المسيح الذى يقوينى ». ونتعلم أن نفتخر في ضعفاتنا، ونسر في الضرورات والضيقات لأجل المسيح ، لأنه « حينما أنا ضعيف فحينئذ أنا قوى ». ان الرسول بولس يرتفع فوق النغمة المعتادة التى يرددها كثيرون من المسيحيين متعللين بها عن ضعفهم ، بينما هم في الواقع قانعون بالبقاء حيث هم ، ذلك لأنه قد تعلم من المسيح أن حياة المحبة الالهية تقتضى التفريغ من الذات والتضحية بارادتنا باعتبار أن هذا هو الطريق الأمثل والأكيد لكى نمتلك كل ما نستطيع أن نتمناه أو نريده . فالتسليم ، والخضوع ، وتضحية الذات، هى للمسيحى كما كانت بالنسبة للمسيح ، طريق البركة لحياتنا . وكما عاش المسيح على أرضنا من خلال الآب وفيه كذلك ينبغى على كل مسيحى حقيقى أن يعيش هنا من خلال المسيح وفيه .

ثم دعونا نفكر في مجد حياة المسيح في محبة الآب . ولأن المسيح أعطى نفسه تماما لارادة أبيه ومجده ، لذا فقد كلله الآب بالمجد والكرامة. واعترف به الآب كالنائب الوحيد عنه ، وجعله شريكا له في قوته وسلطانه، ورفعه وأعطاه اسماء فوق كل اسم لكى تجثو باسم يسوع كل ركبة ممن في السماء ومن على الأرض ومن تحت الأرض ويعترف كل لسان أن يسوع المسيح هو رب لمجد الله الآب . ونفس هذا الاكرام هو من نصيب كل من يثبت في محبة المسيح . وعندما يجدنا المسيح راغبين أن نستودع أنفسنا واهتماماتنا لمحبته ، وأننا في تسليمنا هذا له نطرح كل اهتمام يتعلق بمجدنا الذاتى وما نريده لذواتنا ، وأن نعتبره مجداً لنا وكرامة أن نتدرب على الاتكال الكامل على شخص المسيح في كل الأشياء ونسلم قلبيا بذلك، واذا كنا نقتنع بأنه لا حياة لنا الا في شخصه ، لأنه هو حياتنا ، فانه ــ تبارك اسمه ــ سوف يفعل لنا نفس ما فعله الآب لأجله . انه سوف يضفى من مجده علينا . واذ يتمجد اسم ربنا يسوع فينا ، نتمجد نحن أيضا فيه . (راجع ٢تس ١٢:١). وسوف يعترف بنا كممثليه الحقيقيين والجديرين به ، ويستأمننا على سلطانه ، ولا يكتمنا أسراره ومشورات قلبه ، فيعطى لتشفعاتنا وتوسلاتنا قيمتها فيكون لها تأثيرها في أحكامه فيما يتعلق بكنيسته والعالم ، ويجعل منا أدوات سلطانه ونفوذه على البشر . ان روحه القدوس لن يعرف عندئذ مكانا لسكناه أفضل منا ، ولن يبحث بعد عن آلات بر أخرى يستخدمها لعمله الالهى . نعم ، ان النفس التى تثبت في المسيح سوف تتمتع بحياة مباركة في محبة المسيح ، كما تمتع هو بتلك الحياة في محبة أبيه !

أيها المؤمن ! اثبت في محبة المسيح . تأمل في علاقته مع الآب ، ولتكن هذه العلاقة موضوعا لدراستك والضمان لما يمكن أن تكون عليه علاقتك أنت . وبالقدر الذى كانت عليه حياة المسيح في الآب مباركة ، ومقتدرة، ومجيدة ، يمكن أيضا أن تصبح حياتك أنت في المسيح . وان هذه الحقيقة، اذ تقبلها بالايمان كما يعلمها لك روح الله القدوس ، القادرة على أن تزيل من قلبك كل أثر للخوف ، يصور لك كما لو كان الثبات في المسيح هو ثقل عليك أو أنه عمل من جانبك أنت ملتزم بأن تعمله . وفي نور حياته المجيدة التى عاشها على الأرض في أبيه الصالح ، ليكن هذا لك من الآن فصاعدا النبراس الذى تهتدى به لحياة مجيدة تحياها أنت فتتمتع بالراحة المباركة في الوحدة معه ، وتصبح حياتك حينئذ ينبوعا فائضا للفرح والقوة. ان أمر ثباتنا في محبة المسيح ، تلك المحبة القادرة ، المخلصة ، الحافظة، والتى فيها كل الكفاية ، كما كان هو ثابتا في محبة الآب ـ يقينا ان مثل هذا الأمر كما تؤكده عظمة الدعوة التى دعينا بها لهو باعث لنا لنتعلم أن مثل هذا الثبات لا يمكن بحال من الأحوال أن يكون عبئا على كاهلنا يلزمنا أن نحمله ، انما هو بالضرورة ، وكما كان الحال معه ـ تبارك اسمه ـ نتيجة حتمية لحياة مباركة تفيض تلقائيا من الداخل ، وعمل مقتدر للمحبة التى من فوق عندما تعمل في داخل الانسان . وكل ما نحتاجه هو هذا فحسب : أن نصرف وقتا نتأمل فيه بعمق حياة المحبة الالهية هذه كما وضعت أمامنا في شخص المسيح . نحتاج أن نسكن نفوسنا في محضر الله ، متفرسين في تلك الحياة التى عاشها المسيح في الآب ، حتى يشرق في قلوبنا النور من السماء ، ونسمع صوت حبيبنا الممتلىء حياة يهمس برقة في آذاننا مكررا ما قاله لتلاميذه في القديم . أيتها النفس أهدئى وأصغى ، لتصمت كل الهواجس والأفكار حتى تدخل كلمته الى قلوبنا :« يا بنى ! اننى أحبك ، كما أحبنى الآب . اثبت في محبتى ، كما كنت أنا ثابتا في محبة الآب . ان حياتك التى تحياها في هنا على الأرض ينبغى أن تكون نسخة متقنة لحياتى ذاتها في الآب ».

وعندما يراودنا الفكر أحيانا بأن هذه الحياة هى أسمى بكثير من أن نبلغ اليها ، وهل يمكن حقا أن تكون مثل هذه الحياة أمرا ممكنا لنا ؟ علينا عندئذ أن نتذكر هذا فحسب : ان سمو الامتياز يبرره سمو الهدف الذى في فكر المسيح . لقد كان المسيح هو اعلان الآب على الأرض . ولم يكن

ممكنا للمسيح أن يكون هذا الاعلان لو لم تكن هناك تلك الوحـدة البالغة الكمال بينه وبين أبيه ، وذلك الاطلاع التام للابن على كل ما لدى الآب . لقد كانت حياة المسيح ما كانت عليه على الأرض ، لأن الآب أحب الابن ، والابن كان ثابتا في تلك المحبة . وعلى نفس هذا القياس فالمؤمنون هـم اعلان المسيح على الأرض . ولن يكون بامكانهم أن يحققوا هذا القصد ما لم تكن هناك وحدة كاملة بينه وبينهم ، حتى يستطيع العالم أن يعرف انه ـ له المجد ـ يحب خاصته وأنه قد أرسلهم الى العالم . وبوسع المؤمنين أن يكونوا كذلك فعلا طالما أن المسيح يحبهم بذلك الحب اللانهائى الذى يبذل ذاته وكل ما يملك ، وطالما أنهم يثبتون في ذلك المحب .

ربنا وسيدنا ، أرنا حبك . أعطنا لندرك مـع جميع القديسين تلك المحبة ـ محبة المسيح ـ الفائقة المعرفة . ربنا ، أرنا بمثال حياتك المباركة ذاتها معنى الثبات في محبتك . وسوف يأخذ هذا المنظر بمجامع قلوبنا ، الى الحد الذى يستحيل علينا حتى لحظة واحدة ، أن نسعى وراء حياة أخرى سوى حياة الثبات في شخصك وفي حبك .

اليوم الرابع والعشرون

اثبتوا في المسيح

مطيعين وصاياه

« ان حفظتم وصاياى تثبتون في محبتى كما أنى أنا أيضا قد حفظت وصايا أبى وأثبت في محبته »
(يوحنا ١٥ : ١٠).

كما هو واضح فان التعليم الذى نتلقاه هنا في هذا الفصل هو عن المكان الذى يجب أن تشغله الأعمال الصالحة في حياة المؤمن ! كان المسيح وهو الابن المحبوب يحيا في محبة الآب . لقد حفظ وصايا أبيه ، وهكذا كان ثابتا في محبته . وهكذا الحال مع المؤمن ، فهو بدون الأعمال يقبل المسيح ويصير خليقة جديدة فيه ، ثم يحفظ وصاياه ، وهكذا يثبت فى محبته . أما الخاطىء فانه اذا اجتهد بأن يعد نفسه بالأعمال لكى يتأهل ــ حسب ظنه ــ للاتيان للمسيح ، فانه حالا يسمع صوت الانجيل يرن فى أذنيه قائلا « ليس من أعمال ». لكنه ، حالما يصبح في المسيح خليقة جديدة. وحتى لا يسيء الجسد ــ اى الطبيعة العتيقة ــ استخدام الكلمات « ليس من أعمال »، يرفع الانجيل صوته عاليا بنفس الدرجة قائلا :« مخلوقين في المسيح يسوع لأعمال صالحة » (أف ٢ :٩و١٠). فبالنسبة للانسان الخاطىء الذى ما زال خارجا عن المسيح ، قد تكون الأعمال هى أكبر معطل يمنعه عن الاتحاد بالمخلص . أما بالنسبة للمؤمن في المسيح فالأعمال هى قوة وبركة ، لأنه عن طريقها يكمل الايمان (رسالة يعقوب ٢ :٢٢)، حيث يزداد الاتحاد بالمسيح صلابة ، وتتأسس النفس وتتأصل جذورها بعمق في محبة الله . « ان أحبنى أحد يحفظ كلامى ، ويحبه أبى ، واليه نأتى ، وعنده نصنع منزلا ». « ان حفظتم وصاياى تثبتون في محبتى ».

ويمكن بسهولة فهم العلاقة بين حفظ الوصايا والثبات في محبة المسيح . ان اتحادنا بالمسيح يسوع ليس شيئا عقلانيا او عاطفيا ، لكنه اتحاد حقيقى وحيوى في القلب والحياة . فحياة يسوع المقدسة ، بما اشتملت عليه من مشاعر وما تظهر به في أولاد الله ، يقوم روح الله القدوس بنفخها في دواخلنا . ان دعوة المؤمن هى أن يفكر وأن يشعر وأن يريد تماما

ما كان يسوع يفكر فيه ويشعر به ويريده . وهو يرغب أن يكون لا شريكا في نعمة يسوع المسيح فحسب لكن أيضا في قداسة ربه وسيده ، أو بالأحرى فهو يتطلع الى القداسة باعتبارها الجمال الأساسي الذى عليه النعمة . وبالنسبة للمؤمن فكونه يحيا حياة المسيح فهذا معناه انه قد تحرر من حياة الذات ، وصارت ارادة المسيح بالنسبة له هى الطريق الوحيد للتحرر من عبودية ارادته الذاتية وهى ارادة شريرة بطبيعتها .

أما المؤمن الجهول أو الكسول فهو يضع فارقا عظيما بين المواعيد والوصايا في كلمة الله . فهو ينظر الى المواعيد باعتبارها الوسادة التى يستريح اليها والغذاء الذى يعيش عليه . لكن بالنسبة للذى يسعى حقيقةلكى يثبت في محبة المسيح ، فلن تكون الوصايا بأقل قيمة . فهى ـ أى الوصايا ـ نظير المواعيد ، تشكل اعلانا لمحبة الله ، وهى المرشد والدليل الذى يقود الى اختبار أعمق في الحياة الالهية ، وهى لنا العون المبارك من الله فى طريق الاتحاد الأوثق مع الرب . انه يرى أن انسجام ارادتنا مع ارادته هو أمر على جانب عظيم من الأهمية وهو واحد من العناصر الرئيسية للشركة معه . ان الارادة هى القوة المركزية في الله كما هى في الانسان . فالارادة الالهية هى القوة التى تتحكم في عالم الأخلاق بأكمله تماما كما تسيطر على العالم المادى . فكيف يمكن أن تكون لنا شركة معه دون أن تكون لنا مسرة في مشيئته ؟. وطالما كان الخلاص بالنسبة للمؤمن مجرد أمان شخصى فحسب ، فهو لا يمكنه الا أن يكون شخصا مهملا في عمل ارادة الله أو خائفا من أن يعملها . لكن ما أن يصل اليه اعلان كلمة الله وروح الله القدوس بشأن هذه الارادة القدسية ـ بأنها هى رد النفس للشركة مع الله والتوافق معه ـ حتى يحس بأنه لا يوجد ناموس أكثر جمالا وأكثر توافقا مع طبيعة الحياة افضل من هذا . ان حفظ وصايا المسيح هو طريقنا للثبات فى محبة المسيح . كما أنه يشعر في أعماق نفسه بالرضا عندما يسمع الرب العزيز وهو يجعل من أمر حفظ وصاياه الأساس الوحيد لانسكاب الروح، واستعلان الآب مع ابنه في المؤمن (راجع يوحنا ١٤: ١٥، ١٦، ٢١، ٢٣).

وهناك أمر آخر يفتح المجال أمام المؤمن لكى يتمتع ببصيرة أعمق وفهم أوضح كما يضمن لديه أيضا قبولا قلبيا أكثر لأهمية حفظ الوصايا، ذلك أن المسيح نفسه ـ له كل المجد ـ لم يسلك طريقا آخر للثبات فى محبة أبيه بخلاف طريق حفظ وصايا الآب . ففى الحياة التى عاشها المسيح على الأرض كانت طاعته لأبيه حقيقة مقدسة . نعم ، لقد زحفت على السيد قوات الظلمة المرعبة التى من شأنها أن تدفع الانسان ليتمرد على الله ، وأتت لكى تجرب يسوع أيضا . وقدمت له ، وهو في الهيئة كانسان ،

عروضا تشمل تمجيد الذات وهى عروض لم تكن هزيلة أو عديمة القيمة، وكان عليه لكى يرفض هذه العروض المغرية باباء ، ان يجاهـد في الصوم والصلاة . لقد تألم مجربا لكى يقدر أن يعين المجربين . لقـد قال بغاية الوضوح انه لم يأت ليفعل مشيئته ، وذلك كمظهر دائم لخضوعه لأبيه الذى التزم به باستمرار . لقد جعل من حفظ وصايا الآب الغـرض الأسمى لحياته ، وهكذا كان ثابتا في محبة الآب . أليس هـو القائل بفمه الكريم : « أنا لا أفعل شيئا من نفسي . . . لم أتكلم من نفسي لكن الآب الذى أرسلنى هو أعطانى وصية ماذا أقول وبماذا أتكلم . . . والذى أرسلنى هو معى ولم يتركنى وحدى لأنى في كل حين أفعل ما يرضيه ». وهكذا فتح الرب يسوع المسيح أمامنا طريق البركة في الحياة التى نعيشها هنا على الأرض في محبة الله ، وعندما يسرى روحه القدوس فينا ، كأغصان في الكرمة السماوى، فان حفظ وصاياه يمثل واحدا من أسمى العناصر وأكثرها يقينا للحياة التى تسرى منه في عروقنا والتى ينفخ نسماتها في كياننا ، مثلمـا تسرى عصارة الكرمة في الأغصان الطبيعية .

أيها المؤمن ! هـل ترغب حقا أن تثبت في يسوع ، احترص جدا أن تعمل وصاياه . احفظها بمحبة قلبك . لا تقنع أن تملك هـذه الوصايا في الكتاب المقدس لتكون لك كمرجع فحسب ، لكن ليت هذه الوصايا تنقش على الواح القلب اللحمية ، عن طريق التأمل والصلاة ، وعن طريق الدراسة المتأنية العميقة ، وعن طريق تعليم الروح القدس . ثم لا تقنع بأن تعـرف بعضا من الوصايا ، تلك التى اصطلح على قبولها أكثر من غيرها بين جمهرة المؤمنين ، ثم تترك باقى الوصايا مهملة ودون معرفة . فانك باليقين ، ومع امتيازات العهد الجديد ، لا يصح أن تكون متخلفا عن قديسى العهد القديم الذين قالوا في حماس شديد :« كل وصاياك أمانة . . . لأجل ذلك حسبت كل وصاياك في كل شىء مستقيمة » (مزمور ١١٩). لنوقن تمامـا بأنه لا يزال أمامنا الكثير جدا من وصية الرب لم نفهمها بعد . ولتكن صلاة بولس الرسول التى رفعها لأجل مؤمنى كولوسي هى صلاتنا وصلاة كل أولاد الله : « مصلين وطالبين لأجلكم أن تمتلئوا من معرفة مشيئته في كل حكمة وفهم روحى ، لتسلكوا كما يحق للرب في كل رضي ، مثمرين في كل عمل صالح ونامين في معرفة الله »، وأيضا صلاة أبفراس المجاهد كل حين بالصلاة « لكى تثبتوا كاملين وممتلئين في كل مشيئة الله ». تذكر أن واحـدا من أعظم عوامل نمونا الروحى هو هـذا ـ أن تكون لدينا بصيرة وادراك أكثر عمقا لمشيئة الله فيمـا يختص بنا . اياك أن تظن أن التكريس الكامل هـو نهاية المطاف . كلا ، انه فقط البداية للحياة المقدسة بحق . لاحظ كيف أن بولس ، بعد أن حث المؤمنين في (رومية ١٢:١) أن يقدموا أجسادهم

على المذبح ، ذبيحة حية مقدسة مرضية عند الله ، يتقدم حالا في (عدد٢) ليقول لهم ماذا يعنيه بمذبح الحياة الحقيقى : انه عملية التغيير والتجديد المستمرة على الدوام التى فيها يدعوهم أن :« تغيروا عن شكلكم بتجديد أذهانكم لتختبروا ما هى ارادة الله الصالحة المرضية الكاملة »· ذلك أن التجديد المتوالى والمتجدد على الدوام والذى يعمله روح الله القدوس فى المؤمن انما يقود المؤمن للنمو في حياة المشابهة للمسيح ، وعندئذ يمتلىء المؤمن بقوة علوية سامية للتمييز الروحى ، أو قل هى حاسة أو غريزة مقدسة ، بها تستطيع النفس ــ وقد تميزت بسرعة الفهم والادراك لمخافة الرب ــ أن تعرف كيف تميز معنى وكيفية تطبيق وصايا الرب في الحياة اليومية بكيفية تظل خافية بالنسبة للمسيحى العادى . لتحفظ اذا وصايا الرب ساكنة فيك بغنى ، مخبئا اياها في أعماق قلبك ، وعندئذ سوف تتذوق البركة التى هى من نصيب الرجل الذى قيل عنه انه « في ناموس الرب مسرته وفي ناموسه يلهج نهارا وليلا »· وسوف تساعدك المحبة أن تجعل من وصايا الرب طعاما لك من السماء تتمثله في أعماق كيانك الداخلى. ولن تكون الوصايا بعد بالنسبة لك ناموسا خارجا عنك يقف ضدك مقاوما لك ، بل بالحرى قوة حية محركة قد حولت ارادتك لتصبح منسجمة تماما مع ارادة سيدك وربك متفقة مع كل ما هو مرضى لديه .

احفظ الوصايا لتطيعها في حياتك . لقد قطعت عهدا مقدسا ــ أليس كذلك ؟ــ أنك لن تتساهل ولن تسكت حتى على خطية واحدة . « حلفت فأبره أن أحفظ أحكام برك »· صل في جهاد وبحرارة لتثبت كاملا وممتلئا في كل مشيئة الله . واسأل الهك في حماس أن يكشف لك عن كل خطية مستترة ، وعن أى شيء لا يتفق مع ارادة الله ولا يتطابق معها في انسجام تام . ولتسر في النور الذى لك باخلاص وبوداعة ، مخضعا ذاتك في تسليم دون تحفظ لتطيع كل ما تكلم به الرب · في سفر الخروج (١٩:٨ ، ٢٤:٧) قطع بنو اسرائيل هذا العهد ، لكنهم سرعان ما نقضوه . أما في العهد الجديد فهناك النعمة التى تجعلنا نقطع العهد وتحفظنا فيه أيضا (راجع ارميا٣١). احترس ألا تعصي الله ولو في أصغر الوصايا · ان عدم الطاعة يجعل الضمير يتبلد ، والنفس تظلم ، ويخدر قوانا الروحية ــ لذلك فلتكن طاعتك لوصايا المسيح طاعة ثابتة بلا تقلقل . لتكن جنديا ليس له من مطلب سوى تنفيذ أوامر قائده .

وان بدا ـ ولو للحظة ـ أن الوصايا ثقيلة ، لتتذكر فحسب من هو صاحب هذه الوصايا . انها وصايا ذاك الذى احبك واسلم نفسه لأجلك. انها وصايا كلهـا محبة ، وهى نابعة من محبته لك ، وتقـودك أيضا الى محبته . وكل تسليم جديد من جانبك لحفظ هذه الوصايا وكل تضحية جديدة تقدمها في حفظها ، انها تقودك الى اتحاد أوثق مع ارادة المخلص ، وروحه ، ومحبته . وسوف تنال مكافأة مزدوجة : فيصير لك دخول تام الى سر محبته ، وتطابق تام مـع حياته المباركة ذاتها . وسوف تتعلم أن تقـدر كلماته هذه وتعتبرهـا ككنز ثمين ضمن أغلى الكنوز لديك :« ان حفظتم وصاياى تثبتون في محبتى ، كما حفظت أنا أيضا وصايا أبي واثبت فى محبته ».

اليوم الخامس والعشرون

اثبتوا في المسيح لكي يكون فرحكم كاملا

«كلمتكم بهذا لكى يثبت فرحى فيكم ويكمل فرحكم» (يوحنا ١٥ : ١١).

الثبات الكامل في المسيح يعطينا حياة السعادة الفائضة التى تفوق الوصف . واذ يمتلك المسيح النفس امتلاكا كاملا ، تتمتع هـذه النفس بفرح الرب . ويصبح فرح المسيح الشخصى ، وفرح السماء ، من نصيب تلك النفس ، وتمتلك النفس هذا الفرح في ملئه ، وكنصيب لا ينزع وثابت على الدوام . وكما يربط البشر في كل مكان بين الفـرح الأرضي والكرمة وثمرها ، هكذا الفرح السماوى هو صفة مميزة أساسية تتصف بها حياة المؤمن الذى يثبت بالتمام في المسيح ، الكرمة السماوى .

جميعنا يعرف قيمة الفرح . انه وحده الدليل والبرهان على أن مـا نمتلكه حقيقة فيه شبع قلوبنا . ان الدوافع التى تؤثر علينا ، مثل قيامنا بالواجب ، أو سعينا الدائب لتحقيق مصالحنا الشخصية ، لا يمكنها أن تجعل الناس الذين من حولنا يعرفون القيمة الحقيقية للهدف الذى نسعى للبلوغ اليه أو الميراث الذى ينتظرنا . لكن عندما يكون ما نقوم به باعثا على الفرح في حياتنا ، ويرى الآخرون أنه موضوع تلذذنا وفرح قلوبنا فعلا ، فانهم حينئذ يدركون أننا نمتلك كنزا ثمينا ــ على الأقل بالنسبة لنا . من ثم فليس من شيء نظير الفرح له جاذبيته ، وليس من كرازة تقنع السامعين نظير القلوب التى قد امتلأت بأفراح السماء . ان هذا فحسب يجعل من الابتهاج عنصرا له قوته واقتداره في الخلق المسيحى : فلا يوجد برهان على حقيقة محبة الله والبركة التى تنبع منها ، ويستطيع أن ينتج حـالا قوة مؤثرة فعالة تؤثر في الناس ، قدر فرح الرب عندما يتغلب فينا على كل تجارب الحياة . وحتى يمكن للانسان المسيحى أن يحيا حياة سعيدة موفقة ، فلا غنى عن مثل هذا الفرح الالهى لحياته . ان فرح الرب هـو قوته . وهذا الفرح في الرب هو الذى يلهم المسيحى الثقة ، والشجاعة ، والصبر . وعندما يمتلىء القلب بهذا الفرح ، فلن يستطيع شيء أن يرهق

المؤمن ، ولا يمكن لأى ثقل أن يصيبه بالاحباط ، اذ أن الله نفسه يصبح قوة المؤمن وترنيمته .

دعونا نسمع ما يقوله المخلص عن الفرح الناشيء عن الثبات في شخصه المجيد . انه يعدنا أن يكون لنا فرحه هو شخصيا :« فرحى » . ولأن مثل الكرمة بأكمله يشير الى الحياة التى ينبغى على تلاميذه أن يقبلوها منه عندما يصعد الى السماء ، فالفرح المقصود اذاً هو فرح حياة القيامة التى للمسيح ، وهذا ما يؤكده قول السيد نفسه في (يو ١٦:٢٢) :« فأنتم كذلك عندكم الآن حزن . ولكنى سأراكم أيضا فتفرح قلوبكم ولا ينزع أحد فرحكم منكم » . لقد كانت القيامة في مجدها هى وحدها فحسب الباعث على تلك الحياة المتجددة أبدا ، والتى فيها وحدها استطاع الفرح الحقيقى الذى لا يتوقف أبدا أن يجد له مصدرا ومنبعا . لقد كانت القيامة هى التى قيل بصددها وتحقق فيها القول :« لأجل ذلك مسحك الله الهك بزيت الابتهاج اكثر من شركائك » . لقد كان صبح القيامة هو يوم تتويج الملك المبارك ، وكان يوم تتويجه هو يوم فرح قلبه . وفرحه ذاك هو فرح العمل الذى قد اكمل الى التمام وأكمل كذلك الى الأبد . انه فرح العودة الى حضن الآب من جديد ، وفرح النفوس المفتداه .

تلك هى عناصر فرح السيد المبارك ، ونحن يمكننا أن نصير شركاء هذا الفرح بواسطة الثبات فيه . ان المؤمن ليشارك تماما في انتصار المسيح وفدائه الكامل ، حتى أن ايمانه يستطيع أن يرنم دون انقطاع ترنيمة الغالبين :« فشكرا لله الذى يقودنا في موكب نصرته في المسيح كل حين » . وهذا الفرح يثمر فرحا آخر ، هو الفرح الناشيء عن الثبات غير المتقلقل في نور محبة الآب ـ مثل هذا الفرح لا تستطيع أية سحابة أن تحجبه طالما ظل الثبات مستمرا دون انقطاع . وجنبا الى جنب مع هذا الفرح في محبة الآب ، وهى محبة يغدقها الله علينا ونقبلها من لدنه ، يتحقق فرح من نوع آخر ، هو فرح محبة النفوس ، وهذه المحبة نعطيها نحن من جانبنا ونبتهج ونفرح برجوع الضالين . ان ثباتنا في المسيح ، ونفاذنا الى عمق أعماق حياته وقلبه ، ساعين لكى نتحد به ونكون واحدا معه وفيه ، هذه الوحدة البالغة حد الكمال ، تجعل هذه الثلاثة الينابيع للفرح الذى في المسيح تتدفق في قلوبنا . وسواء ألقينا بنظرة الى الوراء ورأينا العمل الذى عمل على الصليب ، أو تطلعنا الى فوق لنرى المجازاة التى له في محبة الآب والتى تفوق الادراك ، أو نظرنا الى الأمام الى الفرح الذى يتتابع وصوله الى قلوبنا ، كلما اتينا بالضالين الى بيت الآب ، فان فرح المسيح يكون عندئذ فرحنا . فنحن نمتلك فرح المسيح ويصبح فرحنا نحن ، عندما

تقف أقدامنا على الجلجثة ، شاخصين بأنظارنا الى وجـه الآب الكريم ، وأيدينا تمتد بالعون الى الخطاة مساعدين اياهم للرجوع الى حظيرة راعى الخراف العظيم .

ويتحدث يسوع ـ له المجد ـ عن هذا الفرح باعتباره الفرح الساكن في المؤمن ، فهو فرح لن يتوقف أبدا ولا يمكن أن ينقطع لحظة واحدة :« لكى يثبت فرحى فيكم »،« لا ينزع أحـد فرحكم منكم ». وهذا مـا لا يفهمه الكثيرون من أولاد الله . ان وجهة نظرهم بخصوص الحياة المسيحية أنها تغيرات متتابعة ، فرح الآن وغدا حزن وألم . وهـم في ذلك يستشهدون باختبارات رجل مثل بولس الرسول ، كدليل يتخذونه على امكان حدوث الكثير من البكاء ، والحزن ، والألم . وهم لم يلاحظوا كيف أن بولس يعطينا من ذات هذه المواقف أقوى برهان على هذا الفرح الذى لا يتوقف . لقد أدرك بولس معنى هذا التناقض الظاهرى للحياة المسيحية بأنه الجمع في ذات الوقت بين كل مرارة الأرض وكل حلاوة وأفراح السماء ، اذ يمتزج هذا مع ذاك .« كحزانى ونحن دائما فرحون ». هـذه الكلمات الذهبية الثمينة تعلمنا كيف يستطيع فرح المسيح أن يتغلب على حـزن العالم ، وكيف أنه يستطيع أن يجعلنا نترنم في قلب بكائنا ، ويستطيع أن يحفظ في داخل قلوبنا احساسا عميقا بفرح لا ينطق به ومجيد ، وذلك بالرغم من أننا قـد نكون مكتئبين ومنكسرى الخاطـر بسبب ما نلاقيه من فشل او صعاب . والشرط الوحيد لذلك هو :« سأراكم أيضا ، فتفـرح قلوبكم ، ولا يستطيع أحد أن ينزع فرحكم منكم ». ان حضور يسوع معنا ، حضورا ظاهرا واضحا ، لا يمكن الا أن يبعث على الفرح . وعندما نثبت فيه عن وعى وادراك ، فكيف لا تبتهج نفوسنا فينا وتفرح ؟ وحتى عندمـا نذرف الدموع على الخطاة والهالكين ، فانه يوجد في دواخلنا ينبوع الابتهاج الذى يستمد مياهه من ايماننا بقوته ومحبته العاملة في خلاص النفوس .

وهو ـ تبارك اسمه ـ يريد أن فرحه هذا الساكن فينا ، يكمل ، أى يصير كاملا .وبخصوص هذا الفرح الكامل تعلق حديث مخلصنا المجيد ثلاث مرات في ليلة العشاء الأخير . مرة هنا في مثل الكرمة :« كلمتكم بهذا لكى . . . يكمل فرحكم »، وكلما نفذنا ببصائرنا الى عمق البركة العجيبة لكوننا أغصانا في هـذا الكرمة السماوى ، فاننا نزداد يقينا بكلامه الحلو الذى يكلمنا به . ثم لنلاحظ أنه يربط ما بين هذا الفرح واستجابة صلواتنا (يو ١٦:٢٤) :« اطلبوا تأخذوا ليكون فرحكم كاملا ». ان الذهن الروحى لا ينظر الى الصلاة المستجابة كوسيلة للحصول على بركات بعينها فحسب، بل هى شىء أسمى من ذلك بما لا يقاس . انها علامة على شركتنا مع الآب

ومع ابنه يسوع المسيح في السماء ، وعلامة على اننا موضوع مسرة الثالوث الأقدس ورضاه بأن يكون لنا صوت مؤثر في مجلس الله حيث يتبادل الآب مع ابنه الحبيب مشورات المحبة التى تفوق التعبير ، وحيث يتقرر هناك الارشاد والتوجيه اليومى لأولاد الله على الأرض . وبالنسبة للنفس الثابتة في المسيح ، والتى تتوق الى التمتع باعلانات عن حبه ، والتى تعرف كيف تتلقى استجابات الصلاة في معناها وقيمتها الروحية الحقيقية ، باعتبار الاستجابة انها تجاوب من العرش ورد على كل ما تنطق به النفس في حب وفي ثقة ، فان الفرح الذى يتولد في النفس نتيجة لذلك لهو — في الحق — فرح لا يمكن التعبير عنه . وهكذا نجد أن الوعد صادق :« اسألوا تأخذوا ليكون فرحكم كاملا ». ثم يقول المخلص بعدئذ ، في صلاته الكهنوتية للآب (يوحنا ١٧:١٣) :« وأتكلم بهذا في العالم ليكون لهم فرحى كاملا فيهم ». يا له من مشهد رائع لرئيس الكهنة العظيم وهو يدخل الى حضرة الآب القدوس لأجلنا ، حى على الدوام يشفع فينا ويباشر عمله المبارك في قوة حياة لا تزول ، الأمر الذى يزيل كل علة ممكنة للخوف أو الشك ، ويمنحنا اليقين بتذوق خلاص كامل ووافٍ . اذا فالمؤمن الذى يسعى ، وفقا لتعليم (يوحنا١٥)، ليمتلك الفرح الكامل للثبات في المسيح ، ويسعى أيضا ، وفقا لما جاء في (يوحنا١٦)، لامتلاك الفرح الكامل للصلاة المقتدرة ، دعه يواصل السعى ويتقدم الى (يوحنا١٧)، وهناك يصغى الى تلك الكلمات العجيبة الشفاعية التى تحدث بها السيد ، حتى يصير فرحه كاملا . واذ يرهف السمع الى تلك الكلمات ، يتعلم الحب الذى لا يزال حتى الآن يتوسل من اجله في السماء دون انقطاع ، ويتعلم الأهداف المجيدة التى تدور حولها هذه الشفاعة ، والتى تتحقق كل لحظة من خلال هذه التوسلات المقتدرة على الدوام ، وعندئذاك سوف يكمل فيه فرح المسيح .

فرح المسيح الشخصي ، وفرح المسيح الذى يثبت في المؤمن ، وفرح المسيح في ملئه وكماله — هذا الفرح العجيب يصبح نصيب المؤمن الثابت في المسيح . اذا لماذا ، نعم لماذا يكون فرح عجيب كهذا ضعيف التأثير وقليل الجاذبية في حياتنا ؟ السبب ببساطة يرجع الى أن البشر ، نعم ، وحتى أولاد الله ، لا يصدقونه . وبدلا من أن ينظروا الى الثبات فيالمسيح باعتباره أسعد حياة يمكن أن يحياها الانسان ، اذا بهم يعتبرونها حياة بائسة تدور حول انكار الذات . وهم ينسون أن تعاسة الانسان مرجعها الى عدم انكار الذات بسبب عدم الثبات في المسيح . أما بالنسبة لأولئك الذين سلموا أنفسهم مرة والى الأبد ليثقوا في المسيح ، دون تحفظ ، باعتبار أن مثل هذه الحياة هى حياة مباركة ومشرقة ، فيتحقق ايمانهم بأن فرح الرب

يصبح فرحهم هم . ان كل الصعوبات التى تنشأ سببها نقص الخضوع الكامل لتحقيق الثبات الكامل .

أيها المؤمن بالمسيح ، يا من تسعى لتثبت في المسيح ، تذكر جيداً ما يقوله الرب . انه في ختام مثل الكرمة ، يضيف هذه الكلمات الثمينة : « كلمتكم بهذا لكى يثبت فرحى فيكم ، ويكمل فرحكم ». طالب الرب بهذا الفرح ، باعتباره جزءاً لا يتجزأ من حياة الغصن ، والدليل المبارك على كفاية المسيح ليشبع كل احتياج النفس . عش سعيداً وازرع الابتهاج دائماً . هناك أوقات تأتى تلقائياً يحس القلب فيها بفرح لا يوصف بحضور المخلص ، فلنشكر الله على مثل هذه الفرص ، ولنطلب من الله أن تدوم . واذا جاءت علينا من الناحية الأخرى أوقات تتبلد فيها المشاعر ، ويصبح اختبار الفرح ليس كما نريد وكما كنا نتمنى ، فلنداوم على شكر الله لأجل حياة النعمة الفائقة التى اليها دعينا بعمل الفداء . وفي هذا أيضاً يتم القول الإلهى : « كما آمنت ليكن لك ». وعندما تطالب بكل ما لك من عطايا في يسوع ، ليتك تطالب بهذه العطية أيضاً على الدوام — ليس لأجلك أنت شخصياً بل لأجل مجد المسيح ومجد الآب . هذه من جديد هى كلمات الرب يسوع المسيح ذاتها : « فرحى فيكم »، « لكى يثبت فرحى فيكم »، « ليكون لهم فرحى كاملاً فيهم ». انه لأمر يستحيل أن تقبله قبولاً كاملاً وقلبياً ، ثم لا تتمتع بالفرح الذى ينبع منه أيضاً . لذلك أقول لكم «افرحوا في الرب كل حين ، وأقول أيضاً افرحوا ».

اليوم السادس والعشرون

اثبتوا فى المسيح

وفى المحبة من نحو الاخوة

« هذه هى وصيتى أن تحبوا بعضكم بعضا كما أحببتكم » (يو ١٥ : ١٢) .

« كما أحبنى الآب أحببتكم أنا . كما أحببتكم تحبون أنتم أيضا بعضكم بعضا »

الكلمة صار جسدا . لقد ظهر الله في الجسد . لقد بدأ الحب الالهى يتدفق في قناة قلب بشرى نظيرنا . انه الآن حب الانسان للانسان . ان ذلك الحب الذى يملأ السماء والأبد والأزل ، ذلك الحب اللانهائى قد أصبح الآن وعلى الدوام يرى كل يوم هنا في الحياة التى نعيشها على الأرض وفي دورة الزمان الحاضر .

يقول المخلص الكريم : « هذه هى وصيتى ، أن تحبوا بعضكم بعضا كما أحببتكم » . كان الرب يتكلم في بعض الأحيان عن الوصايا ، أما فيما يتعلق بالمحبة ، التى هى تكميل الناموس ، فلأنها تشمل الكل ، لذلك يسميها الرب باسم خاص فيقول عنها «وصيتى» — « الوصية الجديدة » . ان هذه الوصية لهى الدليل القاطع على حقيقة العهد الجديد ، وعلى قوة الحياة الجديدة المعلنة في يسوع المسيح . وهى تعتبر العلامة الوحيدة التى لا تقبل الجدل على التلمذة للمسيح : « بهذا يعرف الجميع أنكم تلاميذى » ، « ليكونوا هم أيضا واحدا فينا ليؤمن العالم ... » ، « ليكونوا مكملين الى واحد ليعلم العالم أنك أرسلتنى وأحببتهم كما أحببتنى » . وبالنسبة للمؤمن الذى يسعى الى الشركة الكاملة مع المسيح ، فان حفظ هذه الوصية هو بلا جدال البرهان المبارك على أنه ثابت فيه ، كما أنه الطريق الى اتحاد أتم وأكثر كمالا .

دعونا نحاول أن نفهم كيفية هذا الأمر . نحن نعلم أن الله محبة ، وأن المسيح قد أتى لكى يعلن لنا هذا ، ليس كعقيدة نعتنقها ولكن كحياة نعيشها . لقد كانت حياته ، في اتضاعها العجيب وبذلها للذات ، هى فوق كل شيء ، تجسيدا للحب الالهى ، واعلانا للبشر ، بالقدر الذى يفهمونه من مثل تلك

المظاهر الانسانية ، عن مقدار محبة الله من نحوهم . كان المسيح في محبته لغير المستحقين وغير الشاكرين ، وفي شدة تواضعه حتى انه سار بين البشر كخادم لهم مع أنه سيد الجميع ، وفي تسليمه لنفسه حتى الى الموت ، انما كان ببساطة يعيش ويتصرف مظهرا حياة الحب الالهى الذى في قلب الله . لقد عاش ومات لكى يبين لنا محبة الآب .

وكما جاء المسيح الى عالمنا لكى يظهر لنا محبة الآب ، هكذا المؤمنون بالمسيح عليهم الآن أن يظهروا للعالم محبة المسيح . ينبغى عليهم أن يبرهنوا للناس أن المسيح يحبهم ، وفي محبته لهم يملؤهم بمحبة ليست من هـذه الأرض . وعليهم أن يكونوا شهودا على الدوام لذلك الحب الذى أسلم ذاته للموت . لقد أحب المسيح الى الحد الذى جعل حتى اليهود يصرخون ، كما في أمر لعازر في بيت عنيا ، قائلين :« انظروا كيف كان يحبه !». على أولاد الله أن يحيوا بكيفية تجبر الناس أن يصرحوا قائلين :« انظروا كيف يحب هؤلاء المسيحيون بعضهم بعضا ». وفي المعاملات اليومية العادية ، على أولاد الله أن يلاحظوا أنهم قد صاروا منظرا للعالم ، للملائكة ، والناس . وعندما يحبون بعضهم بعضا بمحبة المسيح ، انما يكون هذا برهانا للآخرين على نوعية الروح الذى فيهم . ورغم اختلافهم في الجنس ، أو اللغة ، أو الثقافة ، أو العقيدة الايمانية ، أو الطباع ، عليهم أن يبرهنوا أن محبة المسيح قد جعلتهم أعضاء في الجسد الواحد ، وأعضاء بعضا لبعض ، وجعلت كل واحد فيهم ينسى ذاته ويضع نفسه لأجل الاخوة . ان حياة المحبة التى يعيشونهـا هى البرهان الرئيسي على المسيحية ، انها البرهـان للعالم بأن الله قـد أرسل المسيح ، وأنه ــ تبارك اسمه ــ قد سكب في قلوبهم نفس هذه المحبة التى بها أحبهم . ومن بين كل البراهين التى تدل على المسيحية ، يبقى برهـان المحبة أعظمها وأقواها وأكثرها اقناعا .

ان محبة تلاميذ المسيح هذه كل واحد للآخر انما تحتل مركزا وسطا بين محبتهم لله ومحبتهم للبشر قاطبة . فمن ناحية ، فان هـذه المحبة هى الاختبار الذى يبرهن على أنهم يحبون الله ، الذى لا يقدرون أن يروه . ذلك أن المحبة التى تتجه الى شخص غير منظور قد تكون بكل بساطة نوعـا من مجرد الشعور العاطفى ، أو حتى ربما تكون خيالا . أما فيما يتعلق بأولاد الله وما يجرى بينهم وبين الآخرين من تعامل ومعاملات ، فان محبة الله تأخذ شكلا عمليا وتدخل دور الممارسة الفعلية ، اذ تظهر نفسها في أفعال المحبة للآخرين والتى يتقبلهـا الآب السماوى كأنها قد قدمت له هـو شخصيا . وهكذا بهذه الكيفية وحدهـا يمكن أن نبرهن على أن محبتنـا لله هى محبة صحيحة وحقيقية . ان المحبة التى نظهرها للاخوة هى الزهر وهى الثمر

للجذور التى لا ترى والمخبوءة في القلب ، تلك هى جذور محبتنا لله . وهذا الثمر يصير من جديد بذور المحبة لكل الناس . ان المعاملات والتعامل اليومى مع بعضنا البعض هى المدرسة التى فيها يتدرب أولاد الله ويتقووا ليحبوا اخوتهم بنى البشر ، الذين لا زالوا حتى الآن بعيدين عن المسيح ، ليس فقط ذلك الحب الذى يرتكز على نقاط الاتفاق ، لكنه أيضا الحب المقدس الذى يهتم بغير المستحقين الذين ينظر اليهم الآخرون على أنهم أحقر الناس ، وهو حب يحتمل أكثر الناس ازعاجا ومدعاة لنفور الآخرين ، وذلك كله من أجل يسوع . انه ذلك الحب الذى نحب به بعضنا بعضا كتلاميذ للمسيح والذى هو على الدوام في مقـدمة الصورة كحلقة الاتصال بين محبتنا لله وحـده ومحبتنا لاخوتنا بنى البشر على وجه العموم .

لقد رسم السيد له المجد قانون السلوك بالمحبة الأخوية في معاملاته مع تلاميذه أيام جسده على الأرض . واذ ندرس غفرانه لأصدقائه واحتماله لهم ، بمقياس وحيد هو « سبعون مرة سبع مرات »، واذ نتأمل في صبره الذى لا ينفذ وفي اتضاعه الذى لا حدود له ، واذ نشهد وداعته وانسحاقه ساعيا لكى يكسب مكانا كخادم لهم ، مكرسا ذاته بالتمام لخيرهم ومنفعتهم الا نقبل ، بكل ابتهاج وسرور ، وصيته التى قال فيها « لأنى أعطيتكم مثالا حتى كما صنعت أنا بكم تصنعون أنتم أيضا » (يو ١٣ :١٥)؟. واذ نتبـع مثاله ، كما أوصانا ، فان كل واحد منا سيعيش فيما بعد ليس لذاته لكن لأجل الآخرين . وسنحمل على ألسنتنا قانون الشفقة والرأفة ، ذلك بأن المحبة قد قطعت العهد بأن لا تخرج من بين شفاهنا كلمة قاسية على الاطلاق. بل ان عهد المحبة ليس فقط يرفض أن يتكلم بكلام السوء ، بل حتى مجرد السمع أو التفكير في الشر ليس واردا على الاطلاق . بل انه يغار على اخوته في المسيح أن يخدش أحد صيتهم أو صفاتهم بأكثر مما يغار على نفسه . ذلك أن صيتى الحسن عندما يخدش فانى أترك ذلك الأمر للآب السماوى، أما فيما يختص بأخى فقـد اؤتمنت من الله عليه . وهكذا في رقة ولطف، وفي سماحة وكرم ، وفي انكار للـذات وايثار ، وفي حياة مفعمـة بالبركة والجمال ، تشرق في قلوبنا وتشع منها أنوار تلك المحبة الالهية التى قـد سكبها روح الله القدوس في قلوبنا ، لكى يستنير بها الآخرون كما فعلت في حياة يسوع عندما كان بالجسد على أرضنا .

أيها المسيحى ! ماذا انت قائل في دعوتك المجيدة هذه أن تحب كما فعل السيد المسيح ؟ الا يقفز قلبك ابتهاجا لفكر كهذا عن امتياز يفـوق الوصف بأن يظهر أمام الآخرين صورة ومثال ذلك الحب الأبدى ؟ أم انك يا ترى على استعداد أن تزفر زفرة حارة أمام فكرة عدم امكان الـوصول

الى هذا الكمال السامى الذى هكذا اليه دعيت لكى ترتقى الى قممه ؟ ايها الأخ العزيز ، لا داعى أن تتنهد على شيء هو في واقع الأمر أسمى دليل على محبة الآب السماوى ، الذى قد دعانا لنكون مشابهين المسيح في محبته، تماما كما كان هو مشابها للآب في حبه . لتفهم أن من أعطانا الوصية ولها ما لها من مثل هذه العلاقة الوثيقة بتعليمه عن الكرمة والثبات في شخصه المبارك ، قد طلب منا أن نثبت فيه فحسب حتى يمكننا ان نحب كما أحب هو . لنقبل وصيته كحافز جديد لنا الى ثبات أكثر كمالا في المسيح . لننظر أكثر من أى وقت مضى ، الى أمر الثبات فيه كأنه أمر للثبات في محبته ، واذ نتأسس ونتأصل كل يوم في تلك المحبة الفائقة المعرفة ، فاننا ننال من ملئها ، ومن ثم نتعلم أن نحب غيرنا . وبحلول المسيح وسكناه فيك ، يسكب روح الله القدوس في قلبك محبة الله ذاتها ، وبها تحب الاخوة ، حتى أكثرهم مدعاة لنفاذ الصبر والنفور وعدم المحبة ، ذلك لأنها محبة ليست نابعة منك أنت ، لكنها محبة المسيح الذى فيك . وهكذا تتحول الوصية المتعلقة بمحبة الاخوة من ثقل الى فرح وبهجة ، اذا فقط ابقيت على صلتها، كما ربطها يسوع ، بوصيته عن محبته هو لك :« اثبتوا في محبتى ، أن تحبوا بعضكم بعضا كما أحببتكم ».

« هذه هى وصيتى أن تحبوا بعضكم بعضا كما أحببتكم ». أليس هذا هو قليل من الثمر الكثير الذى وعد يسوع بأن نحمله ؟ انه في واقع الحال عنقود عنب من أشكول الموعد ، يمكننا عن طريقه أن نبرهن للآخرين بأن أرض الموعد هى في الحقيقة أرض جيدة . دعونا نحاول بكل بساطة وأمانة أن نخرج ذاهبين الى بيوتنا والى العالم من حولنا لنترجم لغة هذا الايمان السامى والحماس السماوى الى نظم بسيط واضح في سلوكنا اليومى ، حتى يستطيع جميع الناس أن يفهموه . لنضع طباعنا تحت سلطان محبة يسوع ــ انه ليس بقادر فقط على أن يذلل هذه الطباع ، بل انه قادر أن يجعلنا لطفاء وشفوقين وصبورين . دعونا نضع ــ واثقين ــ عند قدميه تعهدنا بأنه لن تخرج من أفواهنا ابدا كلمة قاسية أو ردية ضد الآخرين . وليكن شعارنا الذى نرفعه عمليا في حياتنا هو أن نتعامل مع الآخرين باللطف المسيحى الذى يرفض أن يتكدر او يغضب ، والذى هو دائما على استعداد أن يصفح ، وأن يفكر ويرجو الأفضل على الدوام . ولتكن المحبة التى لا تطلب ما لنفسها ، بل على الدوام تسعى لتغسل أرجل

الآخرين ، حتى الى حد بذل ذاتها من أجل الآخرين ، هى هدفنا اذ نثبت في يسوع . ولتكن حياتنا هى حياة التضحية ، التى تطلب على الدوام رفاهية الغير ، نائلين لذتنا الكبرى في بركة واسعاد الآخرين . ودعونا عندما ندرس الفن الالهى في عمل الخير ، أن نسلم ذواتنا كتلاميذ طائعين لارشاد الروح القدس ، الذى بنعمته ، يمكن للحياة العادية جدا أن تتجلى ببهاء جمال سماوى ، اذ تشع من خلال بشريتنا الضعيفة أشعة المحبة غير المحدودة للطبيعة الالهية التى قد صرنا شركاء فيها . أيها الأخ المسيحى، دعنا نشكر الله ! نحن قد دعينا لنحب كما يحب يسوع ، وكما يحب الهنا.

« اثبتوا في محبتى ، أحبوا بعضكم بعضا كما أحببتكم ». مبارك الله أبو ربنا يسوع المسيح ، لقد أصبح هذا الأمر ممكنا . ذلك أن الطبيعة الجديدة المقدسة التى صارت لنا ، والتى تنمو على الدوام بأكثر قوة عندما تثبت في المسيح الكرمة ، يمكنها أن تحب أيضا كما أحب هو . ان كل اكتشاف نقع عليه بخصوص شر الطبيعة العتيقة ، وكل شوق عارم لنطيع وصية الرب يسوع المسيح ، وكل اختبار جديد لقوة وبركة المحبة النابعة من محبة يسوع ، لا من ذواتنا ، سوف تحثنا لكى نقبل بايمان متجدد هذه الوصية :« اثبتوا في ، وأنا فيكم »،« اثبتوا في محبتى ».

اليوم السابع والعشرون

اثبتوا في المسيح لكي لا تخطئوا

« ليس فيه خطية . كل من يثبت فيه لا يخطىء »
(١يو ٣ : ٥ و ٦).

في رسالته الأولى الى المؤمنين يخاطبهم الرسول يوحنا قائلا : « وتعلمون أن ذاك اظهر لكي يرفع خطايانا »، وهكذا يظهر لنا الرسول الخلاص من الخطية باعتباره هدفا عظيما لأجله قد صار الابن انسانا نظيرنا. والقرينة في الآية تظهر بوضوح أن رفع أو نزع الخطايا لا يشير فقط الى الكفارة والعتق من الخطية والذنب ، بل والتحرر من قوة الخطية ذاتها، حتى لا يعود المؤمن الى فعلها من جديد . ان قداسة المسيح الذاتية هى قوته الفعالة لتحقيق هذا الغرض في حياة المؤمنين . انه يقبل الخطاة فى علاقة اتحاد حيوى مع شخصه المجيد المبارك . ولأنه في هذه العلاقة الجديدة يصبح المسيح هو حياتنا (كو ٣:٤)، فان حياتهم تصبح مشابهة لحياته له المجد . « ليس فيه خطية . كل من يثبت فيه لا يخطىء ». وطالما يثبت المؤمن في المسيح ، وبقدر ثبات المؤمن ، فهو لن يخطىء . فقداسة حياتنا تستمد جذورها من قداسة يسوع الذاتية لأنه « قدوس بلا شر ولا دنس »،« وان كان الأصل مقدسا فكذلك الأغصان ».

وهنا حالا يقفز سؤال : كيف يتفق هذا مع ما يعلم به الكتاب من وجود الطبيعة العتيقة الفاسدة الساكنة في الانسان ، أو مع ما يقول به الرسول يوحنا نفسه عن الزيف المطلق للادعاء :« ان قلنا انه ليس لنا خطية »، وأيضا الادعاء « ان قلنا اننا لم نخطىء »؟ (راجع ١يو ١:٨و١٠). ونقول ان هذا الجزء بالذات من كلمة الله ، لو أننا فحصناه فحصا جيدا، سوف يقودنا لنتعلم فهم آية موضوعنا فهما صحيحا . وأنا أرجو أن تلاحظوا الفرق بين القول الوارد في عدد ٨ « وان قلنا انه ليس لنا خطية »، والقول الورد في عدد ١٠ « ان قلنا اننا لم نخطىء ». لا يمكن أن تكون هاتان العبارتان على درجة واحدة من المعنى ، والا فان العبارة الثانية لن تخرج عن كونها ترديدا وتكرارا مملا لا داعى له للعبارة الأولى . ان عدد٨ يتكلم عن « وجود الخطية » في المؤمن ، وهو ليس ذات المعنى الوارد في عدد١٠

والذى يتكلم عن « فعل الخطية »· ذلك أن أقدس مؤمن ينبغى عليه كل لحظة أن يعترف بأن الخطية تسكن بداخله ـ هذا هو الجسد الذى تكلم عنه بولس قائلا انه لا يسكن فيه شيء صالح . أما فعل الخطية ـ أى أن يطيع الانسان ناموس الخطية الساكن فيه ويفعل الخطية ـ فهذا شيء مختلف تماما . اذ أن هذا يعنى الخضوع للطبيعة العتيقة الموجودة في الانسان ، ومن ثم السقوط في التعدى سقوطا فعليا . وهكذا فان لدينا تصريحين يجب على كل مؤمن حقيقى أن يقر بهما . الأول انه لا يزال ينطوى على طبيعة الخطية في داخل كيانه (وهذا ما يقرره العدد٨ من الأصحاح الأول من رسالة يوحنا الرسول الأولى)، والتصريح الثانى هو أن مثل تلك الطبيعة الخاطئة قد صدر عنها بالفعل فيما مضى الأفعال الخاطئة (وهذا ما يعبر عنه عدد١٠) فلا يمكن للمؤمن أن يدعى قائلا « ليس لى خطية »، أو « اننى لم أخطىء على الاطلاق فيما سلف من الزمان » . فنحن انما نخدع أنفسنا لو اننا زعمنا باننا قد تحررنا من الانسان العتيق في الوقت الحاضر ، أو بأننا لم نخطىء قط في ما مضى من الزمان . بيد انه بالرغم من أن العتيق فينا ، لكن ليس مطلوبا منا ان نستمر نخطىء ومن ثم نعترف بأننا نفعل الخطية أيضا في الوقت الحاضر ، ان الاعتراف بارتكاب الخطية وفعلها مقصود به ما مضى من الزمان . حين كنا نعيش في الخطية . على انه يمكن أن يحدث هذا أيضا في حياة المؤمن الحاضرة ، كما يتضح من الأصحاح الثانى من ذات الرسالة الأولى ليوحنا والعدد الثانى ، لكن القرينة تشير الى أن هذا أمر غير عادى ولا ينتظر حدوثه من المؤمنين . وهكذا فاننا نرى ان اعترافنا العميق بأننا قد أخطأنا في ماضى حياتنا (كما في اعتراف بولس بأنه كان مجدفا ومضطهدا ومفتريا)، وادراكنا الواعى بأنه لا تزال فينا الطبيعة العتيقة الفاسدة في الوقت الحاضر ، كلا الأمرين معا يمنحاننا أن نشكر الله في اتضاع لكن أيضا بفرح لأنه القادر أن يحفظنا غير عاثرين .

لكن كيف يمكن لمؤمن تسكن فيه الخطية بما لها من هذه الضراوة العنيفة والقوة المرعبة ، كما نعلمه عن طبيعة الجسد الذى فينا ، أن لا يفعل خطية ولا ينبغى له أن يفعل خطية ؟ الاجابة هى :« ليس فيه خطية . كل من يثبت فيه لا يخطىء »· وعندما يصبح الثبات في المسيح متينا دائما وغير منقطع ، الى حد أن تعيش النفس في اتحاد كامل أو في كمال الاتحاد مع الرب حارسها وحافظها ، فهو ، تبارك اسمه ، يستطيع حقيقة أن يقمع قوة الطبيعة العتيقة ، فلا تستعيد بذلك سلطانها على النفس . لقد سبق أن رأينا أن هناك درجات في الثبات . وبالنسبة للغالبية من المسيحيين فان الثبات عندهم هش ومتقطع ، للدرجة التى تسمح للخطية أن يكون لها السيادة باستمرار ، وتجبر النفس على الخضوع لسلطانها . أما الايمان

فله الوعد الالهى القـائل « فان الخطية لن تسودكم ». لكن هذا الوعـد تصحبه الوصية القائلة :« اذا لا تملكن الخطية في جسدكم المائت ». فالمؤمن الذى يطالب بالوعد في ايمان كامل تصبح له القوة بأن يطيع الوصية ، وهكذا تعجز الخطية عن تمكين سيادتها عليه ، أو تثبيت سلطانها . أما ان نجهل الوعد ، أو لا نصدقه ، أو لا نسهر على نفوسنا ، فان هـذا يفتح الباب للخطية حتى تملك وتسود . وهكذا تجد ان حيـاة الكثيرين من أولاد الله عبـارة عن سلسلة متصلة من العثرات والسقطات والخطأ . لكن عنـدما يسعى المؤمن حثيثا الى الدخول التام في يسوع ، والثبات الـدائم فيه ، ذلك الشخص المجيد القدوس المعصوم من الخطية ، فان حياة المسيح في المؤمن سوف تحفظه عندئذ من التعدى .« ليس فيه خطية . كل من يثبت فيه لا يخطىء ». ان يسوع يخلص ذلك الانسان فعلا من الخطية الساكنة فيه . وهو يفعـل ذلك لا بأن ينزع منه طبيعته الخاطئة ، لكن بالأحـرى يحفظه من الاستسلام لها والخضوع لناموسها .

قرأت عن شبل أسد لم يكن ليرعبه شيء أو يخضع لشيء سوى لنظرة يرمقه بها حارسه . وعندما يكون الحارس موجودا معه كان يمكن لأى انسان أن يقترب منه ، حيث يقبع في مكانه ، وتختفى طبيعته المتوحشة تماما وكذا تعطشه للدماء ــ مرتعدا عند قدمى حارسه . بل انه يصبح في وسعـك أن تضع قدمك على عنقه ، طالما كان الحارس موجودا معك . أما اذا تجاسرت على الاقتراب منه والحارس ليس هناك فلا تتوقع سوى الموت السريع وفى الحال . وهكذا يمكن القول بأن المؤمن تقبع بداخله الخطية ، ومع ذلك فهى لا تنقض عليه ولا توقعه تحت سلطانها طالما انه في المسيح . ذلك أن الطبيعة الشريرة ، التى هى الجسد أو الانسان العتيق فينا ، يبقى على حاله دون أدنى تغيير من ناحية عداوته لله ، لكن حضور يسوع المقيم فينا يقمع هـذه الطبيعة الشريرة ويلجمها . فالمؤمن يستودع نفسه في ايمان للحفظ الالهى الذى هو عمل ابن الله الساكن فيه . وعن طريق الوحدة أو الاتحاد بابن الله والشركة المقدسة معه يستطيع أن يتمتع بسر الحياة المقدسة .« ليس فيه خطية . كل من يثبت فيه لا يخطىء »».

وهنا يتداعى سؤال آخـر : اذا سلمنا بأن الثبات الكامـل في ذلك الشخص القدوس سوف يحفظنا من أن نخطىء ، فهل مثل هذا الثبات أمر ممكن ؟ هل يمكننا بأن نرجو ثباتنا بهذا الشكل في المسيح ، ولو ليوم واحد، مثلا ، حتى يمكننا أن نحفظ من التعدى وكسر الوصية ؟ على أننا لو وضعنا هذا السؤال بكيفية منصفة واخذناه في الاعتبار بمفاهيم سليمة فحسب ، عندئذ سوف يوحى هذا السؤال نفسه بالاجابة عليه . فعندما أوصانا المسيح

أن نثبت فيه ، ووعدنا بأننا سنأتى بثمر كثير لمجد الآب ، وبأن تكون لنا مثل هذه القوة المقتدرة في الشفاعة لأجل الآخرين ، هل كان يمكن أن يعنى شيئا آخر سوى الوحدة الكاملة ، والسليمة ، والشديدة القوة على مثال الغصن بالكرمة ؟ وعندما وعدنا أنه كما نثبت فيه فهو أيضا يثبت فينا ، هــل كان يعنى سوى أن سكناه فينا سوف تصبح حقيقة واقعة للقوة والمحبة الالهية العاملة في حياتنا ؟ او ليست مثل هذه الطريقة للخلاص من الخطية هى تماما الكيفية التى بها يتمجد في حياتنــا ؟. انه اذ يحفظنا يوميا في روح الاتضاع والشعور بالعجز ازاء الطبيعة الشريرة التى فينا ، نظل ساهرين وحذرين مدركين لقوتها المرعبة ، متكلين على قوته ولنا الثقة في أن حضوره ووجوده في حياتنا هو وحده الكفيل بأن يقمع فينا هــذا الأسد الضارى ، أعنى به انساننا العتيق . آه ! ليتنا نؤمن بأن يسوع عندمــا قال « اثبتــوا في وانا فيكم »، انما كان يعنى حقيقة أننا ، في الوقت الذى لا فكاك لنا فيه عن العالم الحاضر ومضايقاته ، ومن الخطية الساكنة فينا وتحريضاتها ، فاننا على الأقل قد ضمنا هذه البركة لحياتنا ضمانا كاملا . انهــا النعمة التى تتيح لنا الثبات بالتمام في ربنا يسوع المسيح وحــده ولا سواه . لأن الثبــات في شخصه المبارك يجعل من الممكن لنا أن نحفظ من السقوط في الخطية ، ويسوع نفسه هو الذى يجعلنا نستطيع أن نثبت فيه .

أيها الأخ المحبوب ! انني لا أعجب اذا ظهر لنا الوعد الذى تضمنته آية موضوعنا أنه وعد سام يكاد يكون بعيد المنال . ارجوك الا تجعل انتباهــك يتحول بعيدا مشدودا بالسؤال عمــا اذا كان ممكنا أن نحفظ دون فعــل الخطية ، مدة عمرنا بأكمله ، أو حتى لبضع سنين . ان الايمان يتعامــل دائما مع اللحظة الراهنة فحسب . اسأل نفسك هذا السؤال : هل يستطيع يسوع في اللحظة الحاضرة ــ اذا أنا ثبت فيه ــ أن يحفظنى من تلك السقطات الفعلية التىظلت وصمة عار في حياتى وأعيتنى وأصابتنى بالكلل ؟ ولن يمكنك الا أن تجيب بالقول : نعم انه يقدر . خذ يسوع اذا في هذه اللحظة عينها ، وقل له :« سيدى احفظنى الآن ، يسوع خلصنى الآن ». سلم نفسك له في صلاة حارة ملؤها الثقة واليقين بانه يحفظك ثابتا فيه ، وان يثبت هو بذاته فيك ــ وتقدم بثبات الى اللحظة التالية ، ثم الساعات التى تليها ، مجددا على الدوام هذه الثقة بشخصه . وكلمــا سنحت لك الفــرصة في وسط مشغولياتك اليومية ، جدد ايمانك به فى عمل تكريسى بأن تقول : نعم يسوع يحفظنى الآن . انه يخلصنى الآن . وليكن الفشل الذى تلاقيه والسقطات التى تقع فيها ــ بدلا من أن تثبط همتك ــ دافعا لك بل دافعك الوحيد الى مزيد من السعى الحثيث لتجد الأمان عن طريق ثباتك في ذلك الشخص الفريد المعصوم من الخطية . ان الثبات في المسيح هــو نعمة بامكانك ان

تنمو فيها بشكل مدهش ، لو أنك فقط سلمت له ذاتك الآن وبالتمام ثم تداوم مثابرا يحدوك باستمرار الرجاء في المزيد من هذه النعمة . ولتعتبره أنه صميم عمل المسيح أن يحفظك ثابتا فيه ، وان عمله كذلك هو أن يحفظك أيضا من أن تخطىء اليه . وصحيح أنه عملك أنت أيضا أن تثبت فيه ، لكن هذا الثبات من جانبك يندرج في طبيعة عمله كالكرمة السماوى الذى يحمل الغصن ويحفظه ثابتا فيه . تفرس في طبيعته الانسانية المقدسة باعتبار أنه قد جهزها لك أنت لكى تكون شريكا له فيها ، وعندئذ سوف ترى أنه لا يزال هناك شيء أعظم وأسمى من مجرد حفظك من السقوط في الخطية ، ذلك بأن تمتنع عن الشر بقوة الهيبة فلا يقوى عليك الشر ولا تغلبنك الخطية بعد . هذه هي البركة الايجابية والعظمى اذ تصبح الآن اناء للكرامة طاهرا ومقدسا ، تمتلىء الى كل ملء الله ، ويجعل منك الهك قناة للبركة يظهر من خلالك قوته ، وبركته ، ومجده .

حاشيـــة

وهو عبارة عن مجموعة عظات لأدولف سافير .
نقلها المؤلف عن كتاب « المسيح والكنيسة »

هل سقوطنا في الخطية يوميا اضطرار لا مفر منه ؟

لماذا نمتلىء في أغلب الأحيان بالخوف والقنوط بينما لنا مخلص محبته وقوته لا حدود لهما ؟ نصاب بالاعياء والكلل ، وتضطرب افئدتنا ، لأننا لا ننظر بثبات الى يسوع ، رئيس الايمان ومكمله ، الذى قد جلس عن يمين العظمة في الأعالى ـ يسوع الذى سلطانه يهيمن على السماء والأرض ، وهو قوى وقادر في تديسيه الضعفاء الواهنين .

وبينما نتذكر ما نحن عليه من ضعف وعجز ، ننسي قوته التى فيها كل الكفاية . وبينما نقر ونعترف بأننا بدون المسيح لا نقدر أن نعمل شيئا، لا نستطيع أن نرتفع الى سمو الفكر المسيحى في عمق الاتضاع والذى يتمثل في القول : « أستطيع كل شيء في المسيح الذى يقوينى » . وفي حين نثق بأن قوة موت المسيح كفيلة بأن تمحو ذنب الخطية ، لا نمارس ايماننا للسلوك فيه بما يتناسب مع ثقتنا بفائدة موته لأجلنا ، فنؤمن أيضا بمخلص حى

له القدرة المطلقة بأن يحررنا من ربقة الخطية وسلطانها في حياتنا اليومية . نسي أن يسوع المسيح يعمل فينا بقوة ، وأننا عندما نكون واحدا معه ، فاننا نمتلك القوة الكافية لغلبة أية تجربة . اننا ميالون اما ان ننسي تفاهة قدرنا وبأننا لا شيء ، فنتصور أنه يمكننا أن نعيش دون خطية ، وأن الواجبات التى علينا والمحن التى تصادفنا في حياتنا اليومية في مقدورنا أن نجابهها وأن نتحملها بقوانا الذاتية ، امـا أننا من الجانب الآخر نعترف بعجزنا لكننا لا نستفيد من قوة المسيح اللامحدودة ، فهو القادر أن يخضع لنفسه كل شيء ، وأن يحفظنا من سقطاتنا وتقصيراتنا اليومية والتى نميل الى الاعتقاد بأنها اضطرار لابد منه . ولو أننا اتكلنا حقيقة على يسوع فى كل شيء وفي كل الأوقات ، فلسوف نحظى بالانتصار في كل شيء وفي كل الأوقات ـ من خلال يسوع الذى قوته هى بلا حدود ، والذى عينه الآب ليكون رئيس خلاصنا . وعندئذاك تكون أعمالنا معمولة ليس فقط أمام الله بل بالله ايضا معمولة . وعندئذ نفعل كل شيء لمجد الله الآب ، في اسم يسوع الكلى القدرة ، والذى هو قداستنا . لنتذكر أن يسوع قد دفع اليه كل سلطـان في السماء وعلى الأرض ، ولنحيى عمـرنا كله في ممارسة دائمة للايمان بقدرته هذه . ليكن لنا اليقين التام بأننا في ذواتنا ليست لنا حياة الثمر الذى يمجد الله ، لأن ذلك ليس بمستطاع عند الانسان ، لكن عندما نثبت في المسيح ، وتسكن فينا كلمته بغنى ، عندئذ نستطيع أن نأتى بثمر لمجد الله ويدوم ثمرنا ».

اليوم الثامن والعشرون

اثبتـوا فى المسيح

فهو قوتنـــا

« دفع الى كل سلطان في السماء وعلى الأرض »

(مت ٢٨ : ١٨).

« تقووا في الرب وفي شدة قوته » (أف ٦:١٠).

« قوتى فى الضعف تكمل » (٢كو ١٢ : ٩).

لا توجد حقيقة تلقى قبولا عاما لدى جمهرة المسيحيين الغيورين المخلصين قدر حقيقة عجزهم المطلق ، كما لا يوجد أيضا شيء يساء فهمه واستخدامه قدر هذه الحقيقة ذاتها . وهنا ، كما في أى مكان آخر ، نجد أن أفكار الله تسمو عن أفكار البشر بمقدار ما علت السماء عن الأرض .

وغالبا ما يحاول أولاد الله أن يتناسوا ضعفهم ، أما الله فيريدنا أن نذكر ضعفنا ونتذكره ، ونحس به بعمق . والمؤمن يريد أن يتغلب على ضعفه ويتحرر منه ، أما الله فيريد منا أن نرتاح ، بل وأكثر من هـذا أن نفرح بهذا الضعف . والمسيحى ينوح على ما فيه من ضعف وعجز ، أمـا المسيح فيعلم خادمه أن يقول :« أسر بالضعفات . افتخـر بالحرى فى ضعفاتى ». ان المسيحى يتصور أن ضعفاته هى العقبة الكؤود والمعطـل الأكبر في الحياة وفي خدمته لله ، أما الله فيخبرنا بأن هذا الضعف هو سر القوة والنجاح . ذلك أن ضعفنا هذا عندما نقبله على علاته بكل قلوبنـا مدركين على الدوام عجزنا ، فانه يدفعنا لأن نطالب الله بما لنا فيه من قوة حقيقية وننال ما طلبنا لأنه هو القائل :« قوتى في الضعف تكمل ».

عندما كان ربنا يسوع المسيح على وشك أن يصعد الى أبيه ليجلس عن يمين العظمة في الأعالى ، كانت واحدة من آخر العبارات التى فاه بهـا فمه الكريم هى :« دفع الى كل سلطان (أو قوة) في السماء وعلى الأرض». لقد كان جلوسه عن يمين القوة في الأعالى شيئا جديدا وحقيقيا ، وكـان هذا بمثابة اعلان متقدم في تاريخ ابن الانسان الذى هو في ذات الوقت ابن الله ، وهكذا تسربل ولبس كل سلطان وقـوة اللاهوت في ناسوته المبـارك

العظيم . وهكذا أؤتمن الانسان يسوع المسيح على كل قوة الله وسلطانه، حتى انه من تلك اللحظة فصاعدا ومن خلال قنوات الطبيعة البشرية تستطيع تلك القوة العجيبة أن تمدنا نحن البشر بكل طاقاتها القادرة . من ثم فقد ربط ـ له المجد ـ بين هذا الاعلان عن ما هو مزمع أن يناله من سلطان مطلق ، وبين الوعد الذى أعطاه لتلاميذه أنهم سيكونون شركاء في هذا السلطان .« وها أنا أرسل اليكم موعد أبى . فأقيموا في مدينة أورشليم الى أن تلبسوا قوة من الأعالى » (لو ٢٤:٤٩)، وأيضا :« لكنكم ستنالون قوة متى حل الروح القدس عليكم ..» (أع ١:٨). نعم ، ينبغى على المؤمن ان يجد القوة للحياة التى يعيشها والعمل الذى كلف به من خلال قوة وسلطان المخلص الكلى القدرة والسلطان .

لقد كان الأمر هكذا مع التلاميذ . ففى خلال عشرة أيام كانوا يتعبدون منتظرين عند أقدام العرش . لقد عبروا عن ايمانهم به كالمخلص ، وعن تعبدهم له كالرب والسيد ، وعن محبتهم له كمن هو صديقهم وحبيبهم، كما عبروا عن تكريسهم واستعدادهم أن يعملوا من أجله كمن هو سيدهم. كان يسوع المسيح هو الهدف الأوحد لفكرهم ، وحبهم ، ومسرة قلوبهم.

وفي تعبد ايمانى وتكريسي مثل هذا كانت أنفس التلاميذ تدخل بذلك في علاقة شركة مع شخصه المجيد المبارك وهو على عرشه ، علاقة من أوثق وأقوى ما يكون ، وعندما تهيأت قلوبهم لنوال البركة ، أتت معمودية القوة . لقد امتلأوا من روح القوة وتشبع الجو من حولهم بهذه القوة : قوة تحيط بهم من كل جانب ، وقوة تملؤهم من الداخل .

لقد أتت القوة لكى تؤهلهم للعمل الذى اخضعوا ذواتهم لاتمامه بأن يشهدوا بحياتهم وكلامهم لمخلصهم وربهم غير المنظور . ولقد تنوعت طرق الشهادة للسيد العظيم ، فكانت الحياة المقدسة هى الشهادة الرئيسية للبعض من أولاد الله ، حيث أظهروا ، بحياة كهذه ، السماء والمسيح الذى أتى من فوق . لقد أتت القوة من الأعالى لكى تؤسس ملكوت السموات بداخلهم ، ولتعطيهم النصرة على الخطية والذات ، وتؤهلهم عن طريق الاختبار الحى أن يشهدوا لقوة يسوع على عرشه ، حتى يرى الناس امكانية حياة القداسة في العالم ويعيشوا هم ايضا قديسين . والبعض الآخر من التلاميذ أعطوا أنفسهم بالتمام للكرازة باسم يسوع . لكن الجميع كانوا في حاجة الى منحة القوة والجميع قبلوا هذه العطية المجيدة ، وذلك حتى يبرهنوا للعالم بأن يسوع قد تسلم الآن ملكوت أبيه السماوى ، وأنه بالحقيقة قد دفع اليه كل سلطان في السماء وعلى الأرض ، وأنه يعطى هذا السلطان لشعبه بالقدر الذى يحتاجون اليه ، سواء للحياة المقدسة أو

للخدمة المؤثرة . ولقد قبل المؤمنون عطية القوة ، ليثبتوا للعالم أن ملكوت الله ، الذى أعلنوا انهم اليه ينتسبون ، لم يصر في هذا العالم بالكلام فقط بل بقوة الله . واذ امتلأوا من روح القوة ، امتلكوا القوة المؤثرة في الخارج وفي الوسط المحيط بهم . نعم ، لقد أحس بقوة الله حتى أولئك الذين لم يخضعوا ذواتهم له . (راجع أع ٤٣:٢ ، ١٣:٤ ، ١٣:٥).

وكما كان يسوع بالنسبة لهؤلاء التلاميذ الأوائل ، فهو كذلك بالنسبة لنا أيضا . ان حياتنا بأكملها والدعوة التى بها دعينا تجد مصدرها ونبعها كما وأيضا ضمانها وأمانها في هـذه الكلمات النورانية :« دفـع الى كل سلطان في السماء وعلى الأرض ». ان ما يفعله يسوع فينا ومن خلالنا ، انما يفعله بقوته القادرة . كما أن ما يطالبنا به وما يطلبه منا ، يتممه هـو بشخصه فينا بذات القوة عينها . وكل عطاياه لنا يعطيها مصحوبة بالقوة . وكل بركة يغدقها علينا ، وكل وعد يتممه لنا ، وكل نعمة يعطيها لنا ـ الكل ، كل هذه انما تكون مع القوة . فكل شىء يأتى من يسوع هذا الجالس على عرش العظمة والقوة انما يحمل طابع القوة وخاتم السلطان . ان أضعف مؤمن يمكنه ان يتيقن بأنه عنـدما يسأل ربه أن يحفظه من الخطية ، وأن ينميه في حياة القداسة ، وأن يعمل فيه ليأتى بثمر كثير ، فان طلباته هذه سوف تتحقق مصحوبة بقوة الهية . فالقوة هى في يسوع ، ويسوع بكل ملئه هو لنا ، وقوته تلك عاملة فينا ، وتفعل تأثيرها من خلالنا نحن لأننا أعضاء جسمه من لحمه ومن عظامه وهو رأسنا ورئيس ايماننا .

وان أردنا أن نعرف كيف يمنحنا يسوع هذه القوة ، فالجواب فى غاية البساطة : ان المسيح يعمل بقوته فينا بأن يحيا هو بذاته فينا . فهو ، بخلاف ما يتصوره الكثيرون من أولاد الله ، لن يأخذ الحياة الضعيفة التى فينا ، ويعطينا القليل من القوة لكى يساعدنا في مجهوداتنا الهزيلة . كلا ، انما هو يعطينا حياته ذاتها وفيها يمنحنا قوته القادرة . لقد أتى الروح القدس على التلاميذ مباشرة من قلب الرب الممجد ، وأحضر معه حيـاة السماء المجيدة التى دخل هو ـ تبارك اسمه ـ اليها بعد الصعود . لذلك فان شعب المسيح لا يزال يقبل التعليم بأن يتقووا في الرب وفي شدة قوته . فعندما يشدد المسيح شعبه ويمنحهم قوته ، لا يفعل هذا بأن ينزع منهم شعور الضعف والعجز ، ويمنحهم بدلا منه الاحساس بالقوة . كلا مطلقا ، لكنه بطريقة عجيبة جـدا يترك فيهم احساس العجز المطلق بل ربما حتى يزيد منه ، لكنه يمنحهم في ذات الوقت الوعى والادراك بأن قوتهم هى فيه وحده .« لنا هذا الكنز في أوان خزفية ، ليكون فضل القوة لله لا منا ». فالعجز والقوة يسيران جنبا الى جنب ، واذ يتزايد الواحد يتعاظم الآخر

معه باطراد ، حتى نصل الى ادراك القول :« لانه حينما أنا ضعيف فحينئذ انا قوى . افتخر بالحرى في ضعفاتى ، لكى تحل على قوة المسيح ».

فتلميذ المسيح ، المؤمن بشخصه ، يتعلم بأن يتطلع الى المسيح وهو على العرش ، المسيح القادر على كل شيء ، كمن هو حياته . وهو يتأمل ويدرس هذه الحياة في كمالها وقداستها غير المحدودة ، وفي قوتها ومجدها . انها الحياة الأبدية الساكنة في انسان ممجد . وعندما يتأمل المؤمن في حياته الداخلية الخاصة ، ويحتدم الشوق في داخله الى حياة القداسة ، لكى يحيا الحياة المرضية لله ، أو يشتاق الى القوة ليعمل العمل الذى أعطاه له الآب السماوى ، فانه يتطلع الى فوق . واذ يبتهج بأن المسيح هو حياته ، يحسب بكل ثقة ويقين أن تلك الحياة بعينها سوف تعمل بقوة فيه متممة كل احتياج . وهكذا سواء في الأمور الصغيرة أو العظيمة ، يبقى محفوظا من الخطية لحظة فلحظة ناظرا الى يسوع مستمدا منه العون لأجل اتمامه ، وهذا ما يفعله أيضا في صراعه ضد صعوبات من نوع معين ، أو تجارب ذات طابع خاص . وفي كل هذه فان قوة المسيح هى غرض وغاية توقعاته وانتظاراته . وهو يحيا حياة مباركة مبتهجة كأحسن ما تكون ، ليس لأنه لم يعد بعد ضعيفا ، لكن بالحرى ، لأنه عاجز تماما ، ولذلك فهو يتوقع أن المخلص العظيم القادر سوف يعمل فيه وهو يقر بهذا تماما .

ان هذه الأفكار التى طرحت تعلمنا دروسا لكى نمارسها في الحياة العملية ، ورغم أنها دروس بسيطة لكنها ثمينة جدا . وأول درس هو أن كل قوتنا هى في المسيح ، مذخرة لنا وفي انتظار ان نستخدمها . وهى هناك كحياة قادرة مقتدرة ، محفوظة لنا في شخصه ، وتنتظر أن تسرى فينا وتتدفق أيضا وفقا للمعيار الذى تجد فيه قنوات الحياة فينا مهيأة لقبولها واستقبالها . لكن سواء كان سريانها قويا أم ضعيفا ، ومهما كان نوع خبراتنا بها ، فهى في جميع الأحوال موجودة مذخرة في شخص المسيح . نعم ، كل قوة أو سلطان في السماء وعلى الأرض . دعونا نصرف وقتا فى دراسة وفحص هذا الأمر . دعونا نملأ أذهاننا بهذه الفكرة : أن يسوع لكى يستطيع أن يصير بالنسبة لنا مخلصا كاملا ، فقد أعطاه الآب كل سلطان . وهذا ما يجعله ــ تبارك اسمه ــ قادرا أن يملأ كل احتياج لنا . يعطى لنا كل قوة السماء مضافا اليها كل سلطان على الأرض ، ليعمل في قلوبنا وفي حياتنا على السواء .

والدرس الثانى هو ان مثل هذه القوة تسرى فينا عندما نثبت فيه في شركة وثيقة معه . فعندما تكون وحدتنا معه ضعيفة ، ضحلة الجذور او قليلة القيمة ، يكون سريان القوة فينا ضعيفا . أما عندما يكون اتحادنا

به هو موضوع سرورنا وتلذذنا باعتباره خيرنا الأعظم في الحياة ، باذلين كل نفيس وغـال لأجل الحفاظ على هـذه الوحدة معه ، عندئذ تعمل قـوته فينا بكل اقتدار ، ويتحقق القول الكريم :« لأن قوتى في الضعف تكمل ».

لذلك فان واجبنا أن نوحد اهتمامنا نحو الثبات في المسيح قوتنا . وأن يكون واجبنا الوحيد أن نصبح أقوياء في الرب ، وفي شدة قوته . وليت ايماننا يزرع بداخلنا المدارك الواضحة والعظيمة لما عليه قوة الله من عظمة فائقة تعمل فينا كمؤمنين ، وأن هذه القوة هى قوة ذلك المخلص المقـام والممجد التى بها حقق النصر على كل الأعـداء (أف ١: ١٩-٢١). وليت الايمان الذى فينا يصادق على ترتيب الله العجيب والمملوء بكل بركة ، أنه ليس فينا سوى العجز كحقيقة طبيعتنا ورغم ذلك فان كل قوة المسيح، هى في متناول أيدينا ونستطيع أن نجعلها تعمل في داخلنا . وليت هـذا الايمان يخرج عن دائرة الذات وتسلطها علينا الى حياة المسيح ذاته فينا، واضعين كياننا بأكمله تحت تصرفه ليعمل فينا بقوته . وفوق كـل شيء ليبتهج ايماننا في ثقة متيقنين أنه ـ تبـارك اسمه ـ سوف يكمل بقـوته القادرة عمله الذى بدأه فينا كما خاطب الرسول أهـل فيلبى قائلا لهم : « واثقا بهذا عينه أن الذى ابتدأ فيكم عملا صالحـا يكمل الى يوم يسوع المسيح ». واذ نثبت هكذا في المسيح ، فان الروح القدس ، روح القـوة والقدرة ، سوف يعمل فينا باقتدار ، وسوف نترنم نحن أيضا مـع من قال :« الرب قوتى وخلاصي »، وأيضا :« انما بالرب البر والقوة ». وأيضا نقول مع بولس :« أستطيع كل شيء في المسيح الذى يقوينى ».

اليوم التاسع والعشرون

اثبتوا فى المسيح

وليس فى الذات

« لأنه ليس ساكن فى أى فى جسدى ، شيء صالح » (رومية ٧ : ١٨).

قال المسيح له المجد : « كما أن الآب له حياة في ذاته كذلك أعطى الابن أيضا أن تكون له حياة في ذاته » (يوحنا ٥:٢٦). فالله وحده تبارك اسمه هو الذى له هذا الامتياز أن تكون له الحياة في ذاته . أما المخلوق فان أعظم مجد بالنسبة له هو أن يطلب ويبحث عن الحياة ، ليس في ذاته ، بل فى الله . وكما أن حماقة الخاطىء وإثمه أن يعيش متقوقعا في ذاته ولذاته ، كذلك فان سعادة المؤمن وبركته أن يحيا لا لذاته بل لله في المسيح . ثم ان سر حياة الايمان هو أننا ننكر ذواتنا ، بل ونبغضها ، وننبذها ، الى حد أن نخسرها لأجل المسيح . كما يقول بولس : « أحيا ، لا أنا ، بل المسيح يحيا في » ، « لا أنا بل نعمة الله التى معى » . مثل هذه هى شهادة كل مؤمن قد اكتشف معنى أن يسلم حياته الذاتية ، ويقبل بدلا منها حياة المسيح المباركة في داخله . فلا يوجد طريق نسلكه يؤدى بنا للحياة الحقيقية ، حياة الثبات في المسيح ، سوى ذلك الطريق الذى سار فيه السيد أمامنا كسابق لنا ــ ألا وهو طريق الموت .

وفي أول بداية الحياة المسيحية ، لا يوجد سوى القليلين الذين يدركون هذه الحقيقة . ففى غمرة فرحهم بغفران خطاياهم يحسون بأنهم تحت التزام بأن يعيشوا للمسيح ، ويثقون أنهم ــ بمعونة من الله ــ سوف يقدرون أن يفعلوا هذا الأمر . وهم حتى الآن يجهلون عداوة الطبيعة البشرية لله ، وهذه الطبيعة ــ أى الجسد أو الانسان العتيق ــ في المؤمن ترفض تماما أن تخضع لناموس الله . وهم لا يزالون يجهلون أنه لا شيء سوى الموت ، وتسليم كل ما هو من الطبيعة العتيقة تسليما كاملا بلا قيد ولا شرط للموت ، هو وحده الذى يفى بالغرض ، اذا كانوا يرغبون أن تستعلن فيهم حياة الله بقوة . على أن اختبار الفشل المرير سرعان ما يعلمهم عدم كفاية ما قد عرفوه حتى الآن عن قوة المسيح للخلاص ، وتستيقظ في أعماقهم أشواق القلب العميقة نحو معرفة أفضل لشخص المسيح المبارك .

وبكل الحب يحول ـ له المجد ـ انظارهم الى الصليب ، قائلا لهم ، انه كما أن ايمانهم بموته على الصليب كالبديل والنائب عنهم ، قد أعطاهم وثيقة امتلاكهم للحياة ، فكذلك أيضا في الصليب سوف يدخلون هناك الى اختبار هذه الحياة في ملئها . وهو يقدم لهم السؤال عما اذا كانوا حقيقة يرغبون أن يشربوا من الكأس التى شرب منها هو ـ أن يصلبوا وأن يموتوا معه . وهو يعلمهم أنه فيه قد صلبوا وماتوا حقيقة ، وأنهم عندما تغيرت حياتهم وتجددت فقد اصبحوا ـ دون أن يدروا ـ شركاء موته . لكن ما يحتاجونه الآن هو أن يصادقوا تماما وعن ادراك وفهم على ما قد قبلوه قبل أن يفهموه، وذلك بعمل يأتونه هم نابعا من محض اختيـارهم ورغبتهم في أن يريدوا المـوت مع المسيح .

ان هذا الطلب الذى يطلبه المسيح منا هو طلب له قدسيته وجلاله بما يفوق الوصف . وانك لتجـد أن الكثيرين من أولاد الله ينفـرون منه ويتراجعون . ذلك أن المسيحى لا يكاد يفهم معناه . لقد تعود على حيـاة منخفضة المستوى متعثرة الخطوات بصفة مستمرة ، لدرجة أنه قد أصبح بالكاد يرغب في أمر تحريره من تلك الحياة التعسة ، ناهيك عن انعـدام الرجاء لديه أو يكاد . وأصبحت أمور القداسة ، والتشابة الكامل مـع يسوع ، والشركة التى لا تنفصم عراها مع حبه ، أصبحت مثل هذه الأمور بالجهد تدخل في الحسبان كبنود متميزة واضحة في دستور ايمانه المسيحى . وحيثما لا تجد اثرا للشوق المحتدم في المؤمن أن يحفظ الى أقصى درجـة ممكنة من الخطية ، وأن يصل في شركته مع مخلصه الى أقصي ما يمكن من الوحدة والاتحاد ، فان فكرة الصلب مع المسيح لن تستطيع أن تجد لهـا سبيلا الى الدخول . والانطباع الوحيد الذى تتركه لدى المؤمن الذى من هذا الصنف هو الألم والخزى . ذلك أن مثل هذا المؤمن قد قنع بأن يسوع قد حمل لأجله الصليب ، وهكذا ظفر له بالاكليل الذى يرجو بأن يكلل به .

لكن ما أعظم الفارق لدى المؤمن الذى يسعى حقيقة لأن يثبت بالكامل في المسيح ، اذ يتطلع في النور الذى عنده ليرى هذا الأمر ! لقد علمه الاختبار المرير كيف أنه ، سواء في أمر التسليم الكامل أو الثقة البسيطة . فان ألد عدو للثبات في المسيح ، هو الذات . فهى تارة ترفض أن تتخلى عن ارادتها، وطورا آخر تعطل عمل الله عن طريق تدخلها بالعمل من جانبها . ومثل هذه الحياة التى للذات ، بكل ما تريده وما تعمله ، ما لم تزح جانبا لتحل محلها حياة المسيح ، بما لها من ارادته الصالحة وعمله ، فان أمـر الثبات فى المسيح يصبح شيئا مستحيلا تماما . وعندئذ يرد الى أذهاننا سؤال جليل من ذاك الذى أسلم نفسه على الصليب لأجلنا :« هل أنت على استعداد أن

تسلم ذاتك للموت ؟». انك أنت بالذات ، يا من نلت حياة جديدة بالولادة من الله ، قد صلبت معى ومت معى فعلا عن الخطية وأنت الآن حى لله ، لكن هل أنت مستعد الآن ، في قوة هذا الموت ، ان تميت أعضاءك التى على الأرض ، وتسلم ذاتك بالتمام للموت الذى ماتته معى الذات في الصليب، وأن تبقيها هناك حتى تفنى تماما وتهلك ؟ ان سؤال المسيح هذا هو سؤال يفحص أعماق قلوبنا . هل انا على استعداد أن أقول بأن الطبيعة العتيقة سوف تخرس تماما ولن تكون لها كلمة بعد ، واننى لن أسمح لأفكارها أن تدخل الى ذهنى أيا كانت ، وأن تبطل كل أحاسيسها . مهما كانت طبيعية ، وأن تنتهى كل أعمالها ورغباتها مهما بدت صوابا ؟.

وهل هذا حقا يا ترى هو ما يطلبه الرب منا ؟ أو ليست طبيعتنا هذه هى عمل يدى الله ، وألا يمكنه تقديس ما عندنا من قوى وامكانات طبيعية لخدمته ؟ نعم ، انه يستطيع ، وهو يفعل ذلك حقا . لكن لعلك يا صديقى لم تر بعد أن السبيل الوحيد لامكان تقديسها هو أن نأخذها من تحت قوة الذات ، ونحضرها تحت قوة حياة المسيح . واياك أن تظن أن هذا العمل في امكانك أن تقوم به ، لأنك تشتاق أن يتم في حياتك ، لأنك واحد من أولاده المفديين . كلا ، فلن يوجد طريق يؤدى الى مذبح التكريس الا من خلال الموت . وبما أنك قدمت ذاتك ذبيحة على مذبح الله كمن قام حيا من بين الأموات (رومية ٦:١٣ ، ١٢:١) ، لذا فان كل قوة من قواك الطبيعية وكل وزنة ، وكل موهبة ، وكل ما تمتلكه ، وما تريده أن يكون بحق قدسا للرب — يجب فصله عن قوة الخطية والذات ، ثم يوضع على المذبح حتى تلتهمه النار الموجودة هناك على الدوام . انه فقط عن طريق اماتة الذات، وتقديمها ذبيحة ، يمكن أن تتحرر تلك القوى المدهشة التى جهزنا بها الله لخدمته ، لتصبح خاضعة بالتمام لله ، وتقدم لجلاله ، ليقبلها ، ويقدسها، ويستخدمها . ورغم انه طالما نحن في الجسد فلن يراودنا الفكر بامكان القول بأن الذات قد ماتت ، لكن مع ذلك فعندما نسمح لحياة المسيح أن تمتلك كياننا بالكامل ، فان الذات يمكن أن تبقى في مكانها على الصليب ، وتحت عقوبة الموت ، الى الحد الذى فيه تفقد سيادتها على حياتنا تماما . ذلك أن يسوع المسيح يصبح بالنسبة لنا ذاتا ثانية .

أيها المؤمن ! هل تريد أن تثبت في المسيح حقيقة وبالكامل ، اذا عد نفسك لتنفصل الى الأبد عن الذات ، ولا تسمح لها اطلاقا ، أن يكون لها شيء تقوله في حياتك الداخلية . واذا كنت راغبا أن تخرج تماما من دائرة الذات ، وأن تسمح ليسوع المسيح أن يصبح هو الحياة في داخلك ، ملهما اياك كل أفكارك ، ومشاعرك ، وتصرفاتك ، في الأمور الزمنية والروحية،

فهو ـ له كل المجد ـ على استعداد أن يتحمل مسئوليته . وبكل ما تعنيه كلمة حياة من معنى ، فسوف يكون المسيح هو حياتك أنت ، مشعا بخيره وتأثيره الى كل واحد من المحيطين بك ، شاملا كل أمر من الأمور ، حتى أصغرها وأحقرها شأنا ، من بين آلاف الأمور التى تكون حياتك اليومية. ولكى يفعل المسيح هذا فهو انما يسألك شيئا واحدا : اخرج وانفصل من الذات ومن حياة الذات ، واثبت في المسيح وفي حياة المسيح ، وعندئذ سوف يصبح المسيح حياتك . وسوف يمتلىء كيانك بقوة حضوره المقدس فتطرح خارجا الحياة القديمة أى الانسان العتيق الذى فينا .

ولكى تتحقق هذه الغاية انبذ الذات في الحال والى الأبد . واذا لم تكن قد تجاسرت بعد أن تفعل هذا الأمر ، خوفا من أن تفشل في تعهدك، فليتك تفعل ذلك الآن ، في نور وعد المسيح لك بأن حياته سوف تحل محل الحياة العتيقة . جرب هذا الأمر متحققا من أنه رغم كون الذات لم تمت، الا أنك أنت حقيقة ميت بالنسبة لها . ان الذات لا تزال قوية وحية ، لكن ليس لها سلطان عليك . فأنت ، بالطبيعة الجديدة التى صارت لك ـ أنت، وقد أصبحت انسانا جديدا له ذات جديدة ، بالولادة ثانية من الله فى يسوع المسيح حيث أقامك الله معه من الأموات ـ وأنت ، بهذا الشكل ، قد أصبحت في الحقيقة ميتا للخطية ولكن حيا لله بالمسيح يسوع . ذلك لأنك بموتك مع المسيح أو في المسيح قد تحررت بالتمام من سلطان الذات: وقد فقدت الذات سيادتها عليك ، الا اذا أنت رضيت ، في جهل منك ، أو في عدم تيقظ وغفلة ، أو في عدم ايمان ، أن تخضع لسلطتها المغتصبة . تعال واقبل بالايمان في بساطة ومن القلب ، المركز المجيد الذى لك فى المسيح . وكشخص قد نال في المسيح حياة قد ماتت عن الذات ، وكمن قد تحرر من سيادة وسلطان الذات ، وقبل بدلا منها حياة الله ، لتصبح بالنسبة له مصدر الهام وانعاش لحياته ، ليتك تقدم بجسارة فترسخ قدمك على عنق عدوك هذا وعدو سيدك . تشدد وتشجع ، آمن فقط ، لا تخف أن تأخذ هذه الخطوة الحاسمة التى لا رجوع فيها ، وقل أنك سلمت ـ مرة والى الأبد ـ ذاتك للموت حيث قد صلبت حقا مع المسيح (رومية ٦:٦). ثم ثق بيسوع المصلوب أنه يبقيها هناك على الصليب ، ويملأ مكانها فيك بحياته المباركة المقامة من الأموات .

وبهذا الايمان ، أثبت في المسيح ! التصق به ، أرح نفسك عليه ، ضع رجاءك فيه . جدد تكريسك كل يوم ، وكل يوم اقبل من جديد المركز الذى صرت اليه كشخص قد تحرر من الطاغية الذى كنت يوما ما في قبضته وقد جاء دورك الآن لتصبح المنتصر والظافر . وبخوف مقدس تطلع الى

العدو ، الذى هو الذات ، وهى تصارع لتتحرر من الصليب ، محاولة أن تغويك لتعطيها أقل القليل من الحرية ، وهى مستعدة أن تخدعك بادعائها الرغبة الآن أن تخدم المسيح . لكن تذكر ، أن الذات وهى تسعى لتخدم الله تكون أكثر خطرا منها وهى تأبى الطاعة له . تطلع اليها في خوف مقدس، وخبىء نفسك في المسيح ، ففيه وحده الأمان والملجأ الحصين . وهكذا اثبت فيه ، وهو قد وعد أن يثبت فيك . ولسوف يعلمك أن تكون متواضعا ويقظا . وسوف يعلمك أن تكون سعيدا وممتلئا بالثقة . أحضر لديه كل ما ترى فيه نفعا لك في الحياة ، وكل قوة من القوى الطبيعية التى فيك، وكل سيل من سيول الفكر التى لا تنقطع عندك ، وكذا الارادة ، والمشاعر، وكل ما يصنع الحياة لديك ، وثق بيسوع أنه يأخذ المكان الذى احتلته الذات الكريهة يوما ما بشكل طبيعى وعادى كهذا . ان يسوع المسيح سوف يمتلك كيانك حقيقة ويسكن فيك ، وفي حياتك الجديدة هذه حيث الراحة والاستقرار والسلام ونعمة الحياة الجديدة المجيدة ، سوف تتمتع بفرح دائم لا ينقطع بسبب هذا التبديل المدهش الذى حدث لحياتك ـ ألا وهو خروج الذات من حياتك ليصبح ثباتك في المسيح وحده .

حاشيــــة

كتب مارشال مؤلفه الرائع عن القداسة ، وفي الفصل الثانى عشر، وتحت عنوان « القداسة عن طريق الايمان وحده »، ينبر بشدة بالغة عن الخطر الذى يتربص بالمسيحى في سعيه لنوال القداسة بقوة الجسد الطبيعية ، ملتمسا مساعدة المسيح له على ذلك ، بدلا من التطلع الى المسيح وحده ، ونوال القداسة منه بالايمان . ويذكرنا مارشال كيف أنه توجد طبيعتان في المؤمن ، وبالتالى فهناك طريقان نسلكهما في سعينا للتقديس ، وفقا لما نسمح به من تغليب الأسس التى تعمل بها احدى الطبيعتين على الأخرى فننقاد وفقا لأيهما . وأحد هذين الطريقين هو طريق الجسد ، وفيه نبذل أقصى الجهد وغاية العزم ، مع وضع ثقتنا فى المسيح لكى يمد يد العون لنا . أما الطريق الآخر فهو الطريق الروحى ، وفيه ـ كأناس قد ماتوا ولا يمكنهم عمل أى شيء ـ يكون اهتمامنا الواحد هو أن نقبل المسيح يوما فيوما ، وعند كل خطوة نخطوها في هذا السبيل ندعه هو يعمل ويحيا فينا .

« لتقطع الأمل في تطهير الجسد أو الانسان الطبيعى من شهواته وميوله الشريرة ، ومحاولتك ممارسة القداسة عن طريق الارادة والتصميم بأن تفعل كل ما في وسعك ، منتظرا العون من الله أن يساعدك في محاولاتك

وما عزمت عليه . الأفضل من ذلك انك تثق بالمسيح أن يعمل فيك لتريد وتعمل بقوته هو حسب مسرة مشيئته . ان أولئك الذين قد اقتنعوا بخطاياهم وبؤسهم يفكرون عادة في البداية ان يروضوا الجسد الذى فيهم، وأن يقمعوا شهواته ويقتلعوها ، ويحسنوا من طبيعتهم الفاسدة لتكون على صورة أفضل وتميل الى القداسة وذلك عن طريق نضالهم وصراعهم ضدها ، وهم يتصورون أنهم اذا استطاعوا فقط ان يصلوا بقلوبهم الى بلوغ العزم الكامل مع التصميم بأن يفعلوا كل ما بوسعهم ، فهم عندئذ يأملون أن يحققوا انجازات عظيمة في مجال قهر الشهوات والقيام بأصعب الواجبات . والبعض من اللاهوتيين الغيورين يجعلون همهم الأعظم في وعظهم وفي كتاباتهم تحريض الناس على عقد مثل هذا العزم ، ويعتبرون هذا الأمر نقطة التحول الرئيسية من الخطية الى حياة القداسة . وهم يعتقدون أن هذا ليس ضد حياة الايمان ، لأنهم ــ بحسب زعمهم ــ يضعون ثقتهم في نعمة الله في المسيح لمعونتهم ومساعدتهم في مثل هذه التصميمات والمحاولات . وهكذا هم يبذلون المحاولات لاصلاح حالتهم العتيقة ، وان يصبحوا كاملين عن طريق استخدام قوى الجسد الطبيعية ، وذلك بدلا من خلع الجسد تماما والسير بحسب الانسان الجديد المخلوق على صورة الله في البر وقداسة الحق . انهم يتكلون على القوى الجسدية الوضيعة بغرض استخدامها لتقودهم الى حياة القداسة ، وعلى أعمال ارادتهم الذاتية ، وما قصدوه ، وعزموا عليه ، ويحاولونه بكل قوتهم ، ويعتمدون على المسيح ليساعدهم في هذا الطريق الجسدانى ، بينما الايمان الصحيح يريد أن يعلمهم بأنهم في ذواتهم لا شيء على الاطلاق ، وأن كل مجهوداتهم الذاتية انما هى عبث في عبث ودون جدوى بالمرة ».

اليوم الثلاثون

اثبتوا فى المسيح

كالضامن للعهد

« صار يسوع ضامنا لعهد أفضل » (عب ٧:٢٢)

يتكلم الكتاب المقدس عن العهد الأول أو العتيق أنه لم يكن بلا عيب، والله اشتكى من أن اسرائيل لم يثبت في ذلك العهد ، ولذا فقد أهملهم (عب ٨:٧-٩). وذلك العهد لم يحقق القصد الواضح منه ، في ربط اسرائيل بالله : فقد ترك اسرائيل الهه ، فلم يثبتوا في عهده ، وهو أيضا أهملهم وتركهم . لذا فالله يعد بأن يقطع عهدا جديدا ، خاليا من عيوب العهد الأول ، ومؤثرا في فعله حتى يمكن أن يحقق القصد منه . واذا كان لهذا العهد الجديد أن ينجز الغاية منه ، فهو يحتاج أن يضمن أمانة الله بالنسبة للشعب ، كما وأيضا أمانة الشعب من نحو الله . وشروط العهد الجديد تبين بكل الوضوح أن هذين الغرضين سوف يتحققان . فمن ناحية الله يقول :« أجعل نواميسي في أذهانهم ». وبهذا يضمن الله عدم تغير أمانتهم من نحوه .« وخطاياهم وتعدياتهم لا أذكرها فيما بعد » (راجع عب ٨:١٠-١٢). وهكذا يعطيهم الضمان من جهة أمانته التى لا تتغير من نحوهم ، وهكذا نرى الها غافرا وشعبا طائعا : وهذان هما الطرفان اللذان يتوجب أن يلتقيا معا ويتحدا مع بعضهما الى الأبد في العهد الجديد .

ان أجمل ما يزودنا به العهد الجديد هو ذلك الضمان الذى بواسطته نضمن اتمام هذا العهد بين طرفيه . ولذا فقد صار يسوع ضامنا لعهد افضل . لقد صار يسوع بالنسبة للبشر الضامن بأن الله سوف يتمم بأمانة ما يختص به ، حتى بذلك يمكن للانسان ان يعتمد بثقة على الله فى غفران خطاياه ، وقبوله لدى الله ، وبأن الله لن يعود يهمله أو يتركه . أما بالنسبة لله فقد صار يسوع أيضا الضامن بأن الانسان سوف يقوم باتمام ما عليه بأمانة ، حتى يمكن لله أن يغدق عليه بركات العهد . وهو - تبارك اسمه - يوفي هذا الضمان بالكيفية الآتية : انه باعتباره واحدا مع الآب فى الجوهر ، وله كل ملء الله حالا وساكنا في طبيعته البشرية ، فهو - بهذه الصفة - الكفيل شخصيا للبشر بأن الله سوف يفعل ما تعهد به . فكل ما لله مكفول لنا ومضمون في شخصه المجيد المبارك كانسان ، ثم أيضا -

باعتباره واحدا معنا ـ وقد جعلنا فيه كأعضاء جسده الخاص ، فهـو ، بهذه الصفة ، قد صار ضامنا لله بأن حقوقه علينا كبشر سوف نؤديها لله ، ونحرص على اتمامها . فكل ما يجب على الانسان أن يكونه وأن يفعله مضمون فيه . ان مجد العهد الجديد هو أن له في شخص ابن الله المتأنس الضمان الحي ، والضمان الدائم الأبدى . وهكذا يمكننا أن نفهم بسهولة ، كيف أنه على قدر ثباتنا في شخص المسيح كالضامن للعهد ـ على قدر ما تتحقق فينا مقاصد هذا العهد وبركاته العظيمة بحق .

وسوف نفهم بصورة أفضل هذا الأمر لو أننا نظرنا اليه في ضوء واحد من الوعود التى تشير الى هذا العهد الجديد . خذ مثلا ذلك الوعد الوارد في سفر (ارميا ٣٢:٠٤) « وأقطع لهم عهدا أبديا أنى لا أرجع عنهم لأحسن اليهم واجعل مخافتى في قلوبهم فلا يحيدون عنى ».

أى تنازل عجيب من ذلك الاله القدوس غير المحدود اذ يحنى نفسه البارة ليتقابل مع ضعفنا وعجزنا ! انه الاله الأمين الذى لا يتغير ، والذى كلامه هو حق ، ومع كل ذلك وحتى يظهر لورثة الوعد عدم تغير قضائه، فقد ربط نفسه في العهد بقوله انه لن يتراجع عما وعد به ، يا له من فيض فائض لنعمته الغنية !« وأقطع معهم عهدا أبديا أنى لا أرجع عنهم »٠ وطوبى لذلك الانسان الذى خصص لنفسه هذا الوعد تماما وامتلكه ، فيجد راحته وسلامه في هذا العهد الأبدى للاله الأمين !

لكن كل عهـد له طرفان . فمـاذا لو ان الانسان خان هـذا العهد ونقضه ؟ لابد أن مثل هذا الأمر قد أخذ في الحسبان ، طالما أن هذا العهد قد قدر له أن يكون مرتبا في كل شيء ومضمونا ، وذلك حتى لا يصير نقضه، وحتى يظل الانسان أمينا أيضا من نحو الله ٠ والانسان بطبيعته لا يقدر ابدا أن يضطلع بمثل هذا الضمان . فانظر ، كيف أن الله هنا ايضا يأتى لكى يكفينا مؤونة هذا الأمر ٠ انه لا يتعهد في العهد أن لا يرجع عن شعبه فحسب ، بل أيضا بأن يضع مخافته في قلوبهـم حتى لا يحيـدوا عنه . فبالاضافة الى التزامه الذى التزم به شخصيا كأحد طرفي العهد ، فهو أيضا يضطلع بمهام الطرف الآخر كذلك .« وأجعل روحى في داخلكم وأجعلكم تسلكون في فرائضي وتحفظون أحكامى وتعملون بها ». وطـوبى للانسان الذى يفهم أيضا هذا الشق من العهد ! ففيه يرى أن أمانه وضمانه ليس في العهد الـذى قطعه مع الله ، والـذى لا يملك الا أن يكسره من جديد بسبب فساد طبيعته ، انما يجد أن عهدا قد قطع ، فيه يبقى الله صالحا وأمينـا ، ليس فيما يختص به فحسب ، لكن أيضا بالنسبة للانسان . وهكذا يدرك الحقيقة المباركة بأن دوره في هذا العهد هو أن يقبل ما وعد

به الله أن يفعله ، وأن يتوقع أن يقـوم الله ـ تبارك اسمه ـ بانجاز العهـد انجازا كاملا وبكل اليقين حتى يضمن استمرار أمانة شعبه من نحو الهه . « واضع مخافتى في قلوبهم ، فلا يحيدون عنى »[٤].

وهنا تماما ينفسح المجال للعمل المبارك الذى يضطلع به يسوع الضامن للعهد الأفضل ، والذى تعين من الآب لكى يباشر استمراره وانجازه على الوجه الأكمل . لقد قال الآب للابن « جعلتك عهدا للشعب »[٥]. ويشهـد الروح القدس قائلا « لأن مهما كانت مواعيد الله فهو فيه النعم وفيه الأمين لمجد الله »[٦]. ان المؤمن الذى يثبت في شخصه المبارك يصبح لـديه اليقين الالهى باتمام كل وعد من مواعيد الله جاء به العهد الجديد على الاطلاق .

لقد صار المسيح ضامنا لعهد أفضل . انه الضامن لنا كملكى صادق الوارد ذكره في عبرانيين (٧). لقد انقضى عهد هارون الكاهن ونسله ، أما المسيح فهو المشهود له بأنه حى . انه الكاهن الأعظم الذى له قـوة حياة لا تزول . ولأنه يبقى الى الأبد له كهنوت لا يزول . ولأنه حى على الدوام ليشفع فينا ، لذا فانه يقدر أن يخلص أيضا الى التمام ، خلاصه خلاص كامل . ولأن يسوع هو الحى على الدوام فضمانه للعهد هو ضمان فعال ومؤثر . انه الحى الذى لا يموت واذ يشفع فينا على الدوام ، فانه يستطيع أن يخلصنا الى التمام . ففي كل لحظة وعلى الدوام ، تصعد من حضرته القدسية التشفعات التى يرفعها من أجلنا أمام وجه الآب ، وهكذا يترضي وجهه من أجلنا فيضمن لنا ـ نحن شعبه ـ كل بركات وكل قوات الحياة السمائية . نعم ففى كل لحظة من لحظات عمـرنا على الأرض تنفمر من محضره في السماء ، كل التأثيرات المقتدرة لتشفعاته الدائمة التى لا تنقطع من أجلنا ، حاملة الينا دون انقطاع قوة حياة السماء . وكضامن لنا لمجد الآب ، فهـو لا يكف عن الصلاة من أجلنا وتقديمنا أمام وجهـه الكريم ، وكضامن لمجد الآب فينا ، فهو لا يكف أبدا عن ان يعمل فينا ، ويعلن لنا الآب في داخلنا ، فقط علينا قبول هذا العمل المبارك .

ان سر كهنوت ملكى صادق ، الذى لم يقدر العبرانيون أن يستوعبوه (عب ٥: ١٠ـ١٤)، هو سر حيـاة القيامة . وفي هذا يكمن مجـد المسيح كضامن للعهد : ذلك أنه حى الى الأبد وعلى الدوام وهو يباشر عمله فى السماء لأجلنا ، في قوة حياة الهية مقتدرة ، بل كلية الاقتدار . نعم ، انه

حى الى الأبد ليشفع فينا ، فهو ـ كالضامن لنا ـ لا يكف عن الصلاة من أجلنا لحظة واحدة وتصعد صلواته أمام وجه الآب كبخور مقدس لتضمن لنا اتمام الآب السماوى لعهده معنا . كما أنه ـ تبارك اسمه ـ اذ يعمل فينا بروحه ونحن هنا على الأرض ـ انما يعمل عمله هذا بقوة تلك الحياة الالهية ذاتها . ذلك أن القوات السمائية التى تهب لنجدتنا ، استجابة لصلواته الدائمة ، لا ينقطع فيضها فينا لحظة واحدة لتضمن للآب السماوى وفاءنا بالعهد معه . ففى هذه الحياة الأبدية لا يوجد نقض أو نكث للعهد ، فكل لحظة من لحظات هذه الحياة الالهية انما تحمل معها قوة الحياة الأبدية . انه حى على الدوام ، في كل لحظة ، ليشفع فينا . وهو حى على الدوام ، ليباركنا في كل لحظة . ولأن له قوة هذه الحياة التى لا تزول ، ولأنه حى في كل حين ليشفع فينا ، لذلك فهو يقدر أن يخلص أيضا الى التمام ، خلاصا كاملا وتاما ، الذين يتقدمون به الى الله .

أيها المؤمن ! تعال وانظر كيف أن امكانية الثبات في يسوع كل لحظة من لحظات العمر ، وعلى الدوام ، مضمونة بهذه الطبيعة ذاتها للكهنوت الدائم لذلك المخلص الحى الى الأبد والضامن للعهد . ولحظة فلحظة ، اذ يتراءى أمام وجه الآب لأجلنا متشفعا فينا ، مصعدا صلواته لأجلنا ، تهبط الينا في ذات الوقت كل التأثيرات المباركة التى تولدها تلك الصلوات والتشفعات . ولأن يسوع قد أخذ على عاتقه أن يضمننا في الوفاء بالعهد ـ حيث قال « أضع مخافتى في قلوبهم فلا يحيدون عنى »ـ لذا فهو لا يقدر أن يحتمل تركنا لحظة واحدة لذواتنا . انه يعلم هذا تماما ، لأنه هو القائل اننا بدونه لا نقدر أن نعمل شيئا . لذا فهو لا يجازف بأن يتركنا لحظة واحدة ، والا فاحتمال نكث العهد من جانبنا قائم باستمرار . وبسبب عدم الايمان فينا ، قد نفشل في ادراك البركة ، لكنه هو ـ تبارك اسمه ـ لا يقدر أن ينكر نفسه وأمانته لا تتغير . آه لو أننا فقط ننظر اليه ، ونتأمل في قوته تلك غير المحدودة لحياة تبقى على الدوام ومن ثم كهنوت لا يزول ولا يتغير ، عندئذ سوف يرتفع ايماننا ليرقى الى الثقة بأن لنا فيه حياة ثابتة ، لا نهاية لها ، ولا تتغير ، ولا تزول ، ولن نقنع بأقل من هذا فى انتظارنا لشخصه المجيد المبارك .

اننا بالقدر الذى نرى يسوع عليه ، ومن هو بالنسبة لنا ، يصبح

ثباتنا فيه النتيجة التلقائية والطبيعية لمعرفتنا هذه به . فاذا كانت حياة يسوع ، تصعد للآب من أجلنا ، وتنزل من لدن الآب الينا ، وذلك لحظة فلحظة ، بدون انقطاع ، عندئذ يصبح أمر الثبات فيه لحظة فلحظة شيئا سهلا وهينا . وفي كل لحظة نتخاطب معه فيها بوعى وادراك ، فاننا نخاطبه بثقة البنين قائلين له :« يا يسوع ، يا من انت لنا الضامن ، والحافظ ، والمخلص الحى على الدوام ، والذى أنت هـو حياتنا ، اننى أثبت فيـك يا سيدى ». وفي كل لحظة من لحظات احتياجنا ، أو عندما تكتنفنا الظلمة، او تحيط بنا مخاوف ، فان القول يظل يتردد على ألسنتنا :« أيا رئيس كهنتنا الأعظـم ، اننى اثبت فيه بقوة حيـاتك التى لا تتغير ولا تزول ». وعندما تأتى علينا اللحظات التى فيها تفسح شركتنا الواضحة والمباشرة معه المكان لمواقف فيها نمسي في أشد الاحتياج الى تدخله لنجدتنا ، عنـدئذ يمكننا ان نعتمد على الضمان الذى يقدمه لنا ، في كهنوته الدائم ، وما له من كفاية الهية ، وعلى قـوته التى بها يخلص الى التمام ، بأنهـا لا تزال تحفظنا ثابتين فيه .

اليوم الحادى والثلاثون

اثبتوا في المسيح
رب المجد

« حياتكم مستترة مع المسيح في الله . متى أظهر المسيح حياتنا فحينئذ تظهرون أنتم أيضا معه في المجد » (كولوسى ٣:٣و٤).

ان الشخص الذى يثبت في المسيح المصلوب ، يتعلم أن يعرف معنى الصلب معه وفيه حتى يصبح حقيقة ميتا بالنسبة للخطية . والشخص الذى يثبت في المسيح المقام والممجد ، يصبح بنفس الطريقة شريكا فى حياته المقامة ، وفي المجد الذى قد توج به الآن في السماء . ولا يمكن وصف البركات التى تسرى في النفس نتيجة اتحادها بيسوع في حياته الممجدة.

فهذه الحياة هى حياة الانتصار التامْ والراحة . فقبل موته عنا ، كان على ابن الله أن يتألم وأن يصارع ، وكان معرضا للتجارب ، تتعبه الخطية بمناوأتها وهجماتها ، أما كالشخص المقام ، فقد انتصر على الخطية، وكالشخص الممجد فقد أصبحت طبيعته الانسانية شريكة في مجد اللاهوت. والمؤمن الذى يثبت في المسيح بهذه الصفة ، سوف يقوده روح الله ليرى كيف أن قوة الخطية والجسد قد تحطمت حقيقة ، ويزداد الوعى قوة ووضوحا في المؤمن بأنه قد تحرر تماما والى الأبد ، وتملك في حياته الراحة الحقيقية والسلام ، اللذان هما ثمرة الاقتناع بأن النصرة على الخطية والتحرر من عبوديتها عمل قد تم وأكمل . ان الثبات في يسوع ، الذى فيه أقامنا الآب وأجلسنا معه في السماويات ، يعطى للمؤمنين به حق قبول ونوال هذه الحياة المجيدة والتى تنبع من رأسنا الممجد في الأعالى وتسرى، من ثم ، في كل عضو من أعضاء جسده نحن المؤمنين .

وهذه الحياة هى أيضا حياة الشركة الكاملة في محبة الآب وفي قداسته . لقد كان يسوع ، في حياته على الأرض ، يبرز ، في أغلب الأحيان، هذه الفكرة لتلاميذه . فلقد أشار الى موته المزمع أن يتم بأنه كان فى الواقع ذهابا الى الآب . لقد صلى :« أيها الآب مجد ابنك ، مجده عند ذاتك ، بالمجد الذى كان لى عندك ». واذ يسعى المؤمن ، الثابت في المسيح الممجد ، ليدرك ويختبر المعنى المتضمن لاتحاده بيسوع على عرشه ، سوف

يفهم عندئذ أن حضرة الآب النورانية التى لا يحجب نورها سحابة ما ، هذه الحضرة هى بذاتها مجد المسيح الأسمى ، وبالتالى فان المؤمن الثابت فيه ينال نصيبه أيضا من ذلك المجد عينه . ويتعلم المؤمن كذلك الفن المقدس للسكنى الدائمة في حضرة الآب في الخفاء ، عن طريق الشركة مـع يسوع رأسنا المجد في السماء ، ولذلك فان المؤمن الذى يثبت في المسيح يختبر أنه في هذه الشركة السامية تتقدس روحه في توافق ينمو باطراد مع مشيئة الآب . ان حيـاة يسوع السماوية هى القوة التى تطـرح الخطية وتلغى سيادتها على النفس .

وهذه الحياة هى حياة النشاط الدائب والأريحية أى فعـل الخير واتيان الجود في محبة وحنان . فاذ قد جلس المسيح على عرشه ، فهو يوزع عطاياه وهباته ، ويمنح روحه القدوس ، ولا يكف أبدا ـ في محبته ـ عن السهر على خاصته والعمل من أجل راحتهم وخير نفوسهم . ولا يمكن للمؤمن أن يثبت في يسوع المجد ، الا ويشعر بنفسه مدفوعا ومتشددا لأن يعمل : فروح المسيح الذى فيه ومحبة يسوع المسيح تنفخ فيه حياة الارادة والقوة ليكون بركة للآخرين . والـرب يسوع كالكرمة السماوى يوصل هذه البركة عن طريق وبواسطة شعبه فحسب باعتبارهم الأغصان الى الآخرين المحيطين بهـم . لذلك ، فكل من يثبت فيه ، أى في يسوع هذا المجد ، يحمل الثمر الكثير الوفير ، بفعل الروح القدس والقوة ، قوة الحياة الأبدية لرأسه المجد ، وهكذا يصبح المؤمن بمثابة القناة التى يتدفق من خلالها للآخرين مـلء يسوع المسيح ، الذى قـد رفعه الله لكى يصبح رئيسا ومخلصا .

هناك فكر آخر أيضا بخصوص هذه الحياة التى ليسوع المجـد ، وحياتنا نحن فيه . انها حياة الرجاء والانتظارات المدهشة . لقد كان الأمر هكذا مع المسيح . فهو يجلس عن يمين العظمة في الأعالى ، مترقبا ومنتظرا الوقت الذى فيه ينال مكافأته الكاملة ، عندما يعلن مجده على الملأ ، وشعبه المحبوب يكون معه الى الأبد في ذلك المجد . ورجاء المسيح هذا هو رجاء مفديه :« آتى أيضا وآخـذكم الى ، حتى حيث أكـون أنا تكونون أنتم أيضا ». ان هذا الوعد كما هو ثمين بالنسبة للمسيح هو كذلك على الدوام بالنسبة لنا . ففرحة اللقاء لن تكون ـ باليقين ـ عند العـريس الآتى من مجده بأقل منها عند العروس التى تنتظر . ان حياة المسيح في المجد هى حيـاة الترقب التواق : والمجـد في كماله يأتى فقط عندمـا يجتمع به مفديوه ومحبوبوه .

ان المؤمن الذى يثبت في المسيح بأكثر قرب سوف يشاركه في روح

الانتظار هذه . والمؤمن في اشتياقه لرؤية سيده المبارك ، انما يفعل هذا بدافع من ولائه واخلاصه الحماسي لملكه المجيد ، باكثر من مجرد رغبته في ان تزداد سعادته الشخصية بهذا المجيء ، ذلك لان مجيء الملك في مجده سوف يضع نهاية للأعداء ، اذ انه سيأتي ليملك على كل اعدائه ويتحقق القول الكريم عن انتظار السيد اذ يقول « لانه يجب ان يملك حتى يضع جميع الأعداء تحت قدميه ، وهذا هو الاعلان الكامل لمحبة الله الأبدية . ان كلمة السر وشعار كل مؤمن حقيقى هو هذا « الى ان يجى »،« المسيح سوف يظهر ، وحينئذ نظهر نحن ايضا معه في المجد ».

قد تكون هناك اختلافات عميقة جدا ومتباينة في تفسير الوعود الخاصة بمجيئه . فالبعض يرى أنها ظاهرة الوضوح كالنهار لأن مجيئه يعنى لديهم انه سوف يأتى سريعا بشخصه ليحكم على الأرض ، ويجد هؤلاء لذتهم وراحة قلوبهم ورجاءهم في هذا المجيء . والبعض الآخر ، وهم ليسوا أقل من الأولين في محبتهم لمخلصهم ولكلمته ، يرون ان هذا المجيء لا يمكن أن يعنى شيئا أكثر من يوم الدينونة والقضاء ـ هو الانتقال الرهيب والجليل من الزمن الحاضر الى الأبدية ، وانتهاء التاريخ على الأرض ، وبداية السماء ، وهذه الفكرة عن استعلان مجد المخلص المجيد تهبهم من الفرح والقوة ما لا يقل عن الفرح والقوة اللذين يتمتع بهما أصحاب الرأى السابق . وعلى اى حال ، وفي كل الأحوال فالأمر كله يتعلق بالمخلص المبارك ، الرب يسوع : انه يسوع الذى سيأتى ثانية ، انه يسوع الذى يأخذنا لنكون معه ، انه يسوع الرب المعبود من الكل ، فهو بالنسبة للكنيسة كلها محور رجائها وغايتها الوحيدة .

وعن طريق الثبات في المسيح المجد يسرى الانتعاش في المؤمن ليحيا متطلعا الى مجيئه . وهذه هى النظرة الروحية الصحيحة ، والتى وحدها تجلب البركة الحقيقية للنفس . هناك اهتمام في الأوساط الروحية بدراسة الأشياء المستقبلية ، وهناك اقبال ملحوظ غالبا للتلمذة في مدارس من هذا النوع اكثر من التلمذة للمسيح المتواضع ، وفي تلك المدارس تبرز الخصومات والمنازعات في الرأى وادانة الاخوة وتحجب بسحبها الكئيبة اية علامات للمجد العتيد . اما الاتضاع فهو وحده الذى يرغب أن يتعلم من اولئك الذين قد يكون لديهم أكثر مما لدينا من مواهب وعطايا ولهم اكثر مما لنا من اعلانات اعمق وأقوى عن الحق ، والمحبة هى وحدها التى على الدوام تتحدث بلطف

ورقة عن الآخرين الذين لا يرون راينا ، والحياة السماوية في المؤمن هى وحدها التى تظهر ان يسوع الآتى هو بالحقيقة حياتنا ، الأمر الذى له تأثيره وسط المؤمنين وبين اهل العالم على حد سواء بأن ايماننا هذا ليس بحكمة الناس ، بل بقوة الله . وحتى نستطيع أن نشهد عن المخلص كالشخص المجيد الذى سوف يأتى ثانية ، يجب علينا أن نكون ثابتين فيه منطبعة فينا صورته كمن هو الشخص الممجد في السماء . فليس ما نتمسك به من آراء صائبة ، او ما يعتمل في داخلنا من حماس به ندافع عن تلك الآراء ، هو ما يعدنا للتقابل معه عندما يأتى ، كلا ، انما الثبات في شخصه الممجد هو الذى له هذه القدرة فحسب . عندئذ فقط يمكن أن يتحقق المعنى المقصود من القول بأننا سوف نظهر معه في المجد — ان هذا يعنى التجلى ، أو انبثاق المجد الساكن فينا أى انبلاجه كما ينبلج الصبح الذى ينتظر بشوق يوم الاستعلان.

يا لها من حياة مباركة ! تلك « الحياة المستترة مع المسيح في الله ». والتى مقامها فى السماويات مع المسيح — اى الثبات في المسيح الممجد ! ويعود السؤال من جديد يرد على اذهاننا : هل يستطيع الانسان الترابى الضعيف أن يسكن حقيقة في شركة مع ملك المجد ؟ ومن جديد يلزم أن نكرر الاجابة المباركة : ان بلوغ هذه الوحدة هو ذات العمل الذى من اجله يملك المسيح كل سلطان في السماء وعلى الأرض ليكون تحت أمره . وستكون البركة من نصيب كل من يضع ثقته فى الرب من جهة هذا الأمر ، وفي ايمان وانتظار واثق لا يكف عن أن يخضع ذاته ليكون بالتمام واحدا معه . اننا عندما سلمنا أنفسنا في البداية للمخلص ، كان هذا عملا عجيبا من أعمال الايمان رغم بساطته . وهذا الايمان عينه ينمو ليأخذ صاحبه الى بصيرة أعمق وتمسك اقوى بالحق الالهى بأننا واحد معه في مجده . وبذات الايمان العجيب هذا ، العجيب في بساطته ، العجيب أيضا في اقتداره ، تتعلم النفس ان تطرح ذاتها كلية لتحفظ بقوة المسيح المقتدرة ، وما تجريه فيها حياته المجيدة الأبدية . ولأن النفس تعلم أن الروح القدس يسكن فيها ليوصل اليها كل ما هو للمسيح ، فهى لا تعود تنظر الى هذا الأمر كأنه حمل ثقيل او عمل عليها أن تعمله ، لكنها بالحرى تدع الحياة الالهية تأخذ طريقها، وهذه الحياة الالهية عليها أن تقوم بالعمل كلية ، وايمان النفس يتركز في مزيد من تسليم الذات ، وانتظار وقبول كل ما يمكن للمسيح الممجد أن يفعله من خلال محبته وقوته . وفي ذلك الايمان تستمر أواصر الشركة التى لا تنفصم

عراها ، وتتحقق المشابهة والمطابقة التى تأخذ في النمو على الدوام . وكما كان الأمر مع موسي ، فقد صيرته شركته مع الله شريكا في مجد الله ، هكذا يكون الأمر معنا ، اذ تبدأ حياتنا تشع بلمعان وببهاء ليس من هذا العالم .

يا لها من حياة مباركة ! ان هذه الحياة لنا لأن يسوع لنا . ايه أيتها الحياة المباركة ! اننا نمتلكها في داخلنا بكل قـوتها الخفية ، وأمامنا يمثـل مظهرها المرتقب في كمال مجده . ليت حياتنا اليومية تكون البرهان الساطع والمبارك بأن القوة الخفية الساكنة فينا ، انما تعدنا لذلك المجد الذى سوف يستعلن فينا . وليت ثباتنا في المسيح الممجد يكون هو قوتنا لنحيا لمجـد الآب ، والمؤهل الذى يؤهلنا للمشاركة في مجد الابن .

والآن

أيهـا الأولاد

اثبتـــوا فيه

حتى اذا أظهر يكون لنا ثقة

ولا نخجل منه فى مجيئه . **آمين .**

الفهـــرست

صفحة

رقم الايداع ٥٤١٠ / ١٩٨٥
الترقيم الدولى ٦ — ١٤ — ١٣٩ — ٩٧٧